دولة ليبيا
وزارة الثقافة والتنمية المعرفية

مجلة
مركز البحوث والدراسات الأفريقية

مالي بين الأزمة السياسية والتهديدات الأمنية

العلاقات الغينية السوفيتية 1958 - 1984

مكانة دول الساحل الأفريقي الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية

مجلة فصلية
بحثية محكمة تعنى
بدراسات وشؤون
القارة الأفريقية
الرقم القانوني
202220

العدد الثاني عشر

مجلة البحوث والدراسات الأفريقية

مجلة فصلية بحثية محكمة تعنى بقضايا ومشكلات القارة الأفريقية

تصدر عن مركز البحوث والدراسات الأفريقية

رئيس المركز : **د. أحمد الشيباني**

المشرف العام: **أ. محمد سالم بن سعيد**

رئيس التحرير: **أ.د فتحي مفتاح سليمان خليفة**

مدير التحرير: **أ. عز الدين مختار فكرون**

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. ايدير مصطفى غنيات — د. عمر إبراهيم المنشاز

د. طه محمد والي — د. ناصر ساسي طويري

د. يحيى عمر القويضي — د. عبد السلام ولد يحيى

اللجنة الاستشارية

أ.د مفتاح بلعيد غويطة (ليبيا) — أ.د محمد المختار جي (السنغال)

أ.د الأمين عمر أبوفارس (ليبيا) — أ.د أمينة العريمى (الإمارات)

أ.د سمير أبو زويتـــــــــــة (المغرب) — أ.د عبد القادر التومي (الجزائر)

أ.د فتحي عمر نصار (فلسطين) — أ.د فتحي محمد أميمه (ليبيا)

أ.د حامد الشريف بركان (ليبيا) — أ.د مارين الكسندر مارينوف (بريطانيا)

أخراج وتصميم : أ. م ـ أشرف رحومة الحر

الآراء والأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها...والمجلة ترحب بمناقشة تلك الآراء وإثرائها.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ۝

من الآية ﴿ 1 ﴾ إلى الآية ﴿ 5 ﴾

من سورة العلق

الفهرس

ر.ت	الموضوع	المؤلف	الصفحة
1	الافتتاحية	رئيس التحرير	ه
2	العلاقات الغينية- السوفيتية 1958-1984م	د. علي متولي أحمد	1
3	النشاط السياسي لبشير السعداوي (1948-1951م) وإسهاماته في استقلال ليبيا	د. جميلة مفتاح الجنزوري أ. عزيزة سليمان أقجام	54
4	مكانة دول الساحل الإفريقي الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية	د. هشام خليفة الكاسح	105
5	انتشار داعش في أفريقيا _ التمدد في موزمبيق نموذجا_	أ. محمد عادل عثمان	157
6	مالي بين الأزمة السياسية والتهديدات الأمنية	د. محمد عبد الكريم أحمد أ. عز الدين مختار فكرون	176
7	دور المؤرخ الهادي الدالي في توثيق تاريخ القبائل الإفريقية	د. ناجية سليمان عبد الله	202
8	مساحة انتشار غبار مصانع الإسمنت بشمال غرب ليبيا (مصنعي لبدة وزليتن نموذجاً) باستخدام برنامج SPSS الإحصائي ونظم المعلومات الجغرافية GIS	د. عمر إبراهيم المنشاز د. فرج مصطفى الهدار	229

الافتتاحية

مرّت مجلة مركز البحوث والدراسات الإفريقية في السنوات القليلة الماضية بكثير من العقبات يسّر الله تعالى تذليلها وتجاوزها، وعلى الرغم من هذه العقبات تحاول المجلة أن تتبوأ موقعاً مهماً بين الإصدارات والمجلات العلمية المتخصصة في الشأن الإفريقي، فتناوله العديد من القضايا والموضوعات والملفات الشائكة والملحة عن القارة الإفريقية، ومن هذا المنطلق أخذت المجلة على عاتقها منذ صدورها جمع شتات الجهود والطاقات العلمية والمهتمة بشؤون أفريقيا، ما أمكن ذلك لتنطلق رسالاتهم من منبر يثق به أبناء القارة ووصلت بذلك حبل ما كان منبتاً من علاقات بين هذه النخب المتميزة من العلماء والباحثين والكتاب، وفتحت المجال للتفاعل بينهم وبين القراء والمهتمين من شعوب القارة وغيرها، ومجلة مركز البحوث والدراسات الإفريقية تحفظ لأهل الفضل فضلهم من النخبة من الكتاب والباحثين من شتى بلدان القارة الإفريقية، وتقدر لهم المجلة والقائمون عليها وقراؤها على السواء، الاستجابة والسبق إلى تقديم الدراسات والمقالات والبحوث فور استكتاب المجلة إياهم ودعوتهم للمشاركة فيها بجهودهم، كل بحسب تخصصه ومجاله العلمي، كما تسعى المجلة إلى أن تكون مرجعا موثوقاً للمهتمين بشأن القارة الإفريقية وقضاياها ومشكلاتها التنموية السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، مستعينة على ذلك بعد فضل الله وحده بجهود عدد من الأكاديميين والباحثين المتخصصين مع الأخذ بالمنهج العلمي في البحث والتوثيق، ومن ثم فقد حرصنا على أن تكون مجلة مركز البحوث والدراسات الإفريقية مجلة علمية محكمة، يشرف على تحكيمها نخبة من الأكاديميين والمتخصصين في الشأن الإفريقي، وذلك بتوظيف المنهج العلمي في تقويم البحوث المقدمة إليها قبل

نشرها، وطلب إجراء التعديلات العلمية اللازمة من الباحثين على بحوثهم، وتنظيم كتاباتهم ودراساتهم وبحوثهم لتكون أكثر علمية ومنهجية، وهو ما يعلي من قيمتها العلمية والبحثية، والمجلة تتحف قراءها خاصة والمهتمين بالشأن الإفريقي عموماً بهذا العدد الجديد(الثاني عشر) بما يتضمنه من بحوث متنوعة للواقع الإفريقي، ازدانت بها صفحاته وقد حمل عناوين شتى مما يشغل بال المهتمين من موضوعات طغت على غيرها في معظم المجالات السياسية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والثقافية وغيرها، قام على معالجتها بمنهجية وموضوعية نخبة من الكتاب والباحثين من أصحاب التخصصات و ذوي الخبرة العلمية من أبناء القارة، ونسأل الله لهم السداد والتوفيق والإخلاص في القول والعمل.

رئيس التحرير

العلاقات الغينية ـ السوفيتية

1984-1958

د. على متولى أحمد
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب- جامعة السويس

المقدمة

أعلنت غينيا كوناكري استقلالها في الثاني من أكتوبر 1958، وأصبحت بذلك أول دولة في غرب أفريقيا الفرنسية تحصل على استقلالها، ويعتبر هذا الحدث أبرز تطور دراماتيكي في اتجاهات الحركة التحررية في أفريقيا عامة وغرب أفريقيا خاصة، نتيجة لأن عملية استقلال الدولة الناشئة تبنّت استراتيجية الكفاح والنضال السلمي ضد الاستعمار، وذلك بتحديها استفتاء الجنرال شارل ديجول وللسلطة الفرنسية المركزية ممثلة في شخص الحاكم العام الفرنسي في كوناكري، ورغم تأكيد التقارير التي قُدمت لديجول قبل الاستفتاء بموافقة جميع أقاليم غرب أفريقيا الفرنسية على الدستور، إلا أن غينيا كوناكري رفضت استفتاء ديجول في 28 سبتمبر 1958، وأصبحت بذلك نموذجًا لقدرة الدول الصغيرة على معارضة السياسات الإمبريالية.

واجهت الجمهورية الجديدة بعد استقلالها عام 1958، صراعًا شرسًا بين معسكري الحرب الباردة؛ والسباق لملء الفراغ الناجم عن إنهاء الاستعمار

الكلاسيكي الفرنسي في غينيا، وقد نجح المعسكر السوفيتي في لعب هذا الدور بعد الاستقلال مباشرة حتى نهاية فترة الستينيات، إلا أن الوضع تغير بحلول فترة السبعينيات التي شهدت انفتاحًا في سياسة غينيا الخارجية تجاه المعسكر الغربي عامة والولايات المتحدة خصوصًا.

لذا نحاول في هذه الدراسة الإجابة على العديد من الإشكاليات المثارة حول كيفية اختراق المعسكر السوفيتي للدولة الغينية بعد استقلالها، وماذا عن الإستراتيجية التي انتهجها المعسكر السوفيتي لاختراق دولة غينيا الجديدة؟ وكيف تطورت العلاقات الغينية- السوفيتية؟ وهل نجح السوفيت في ضمان موطئ قدم له في غينيا أم لا؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فما هي ملامح هذا النجاح ؟

أما عن **الفترة الزمنية للموضوع** فتبدأ الدراسة بعام 1958، وهو العام الذي حصلت فيه غينيا على استقلالها، وتنتهي بعام1984 حيث وفاة الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري أول رئيس لغينيا.

أما عن مصادر الدراسة، فقد اعتمدت على الوثائق البريطانية غير المنشورة،والمودعة بدار المحفوظات العمومية البريطانية Public Record Office وخصوصا ملفات وزارة الخارجية البريطانية(F.O.) Foreign Office، والتي ضمّت العديد من المراسلات بشأن اعتراف المعسكر السوفيتي باستقلال غينيا، ورصد للمساعدات العسكرية والاقتصادية والثقافية السوفيتية لغينيا، كما تناولت الوثائق الزيارات التي قام بها أحمد سيكوتوري لدول المعسكر السوفيتي، وما أسفرت عنها من نتائج، أضف إلى ذلك وثائق المخابرات الوطنية الأمريكية National Intelligence Estimate ، والتي

تناولت سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه دول أفريقيا جنوب الصحراء، والمساعدات العسكرية السوفيتية لدول العالم الثالث بوجه عام.

كما اعتمدت الدراسة أيضا على العديد من الصحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية، والتي تحدثت عن العلاقات الغينية ـ السوفيتية في هذه الفترة التاريخية، مثل، صحيفة The New York Times، وصحيفة the Washington Post، وصحيفة لوس أنجلوس تايمز los Angeles Times اللوموند Le Mondeوصحيفة التايمز Times، والجارديان The Guardian والفاينانشيال تايمز The Financial Times، وغيرهم.

هذا بالإضافة للعديد من المراجع العربية والمعربة والأجنبية، والرسائل الجامعية العربية والأجنبية، والتي تناولت بالتحليل تاريخ العلاقات الغينية السوفيتية، كما اعتمدت الدراسة على العديد من المقالات والدوريات العربية والأجنبية، والتي تحدثت عن تطور العلاقات الغينية بالمعسكر السوفيتي.

وقد تضمنت الدراسة أربعة محاور كالآتي:

أولاً: العلاقات السياسية

ثانيًا: العلاقات الاقتصادية

ثالثًا: العلاقات العسكرية

رابعًا: العلاقات الثقافية

بعد حصول غينيا على استقلالها مباشرة كانت سياستها الخارجية أكثر انسجامًا وقبولًا من جانب المعسكر السوفيتي، وفي الوقت نفسه كانت تمثل تهديدًا لمصالح المعسكر الغربي نتيجة للرفض الدراماتيكي لدستور شارل

ديجول من قبِل غينيا، مما جعل العلاقات مع فرنسا وحلفائها في منظمة حلف شمال الأطلنطي وبخاصة الولايات المتحدة متوترة، وهذا أدى إلى عدم التوازن في سياسة غينيا الخارجية لصالح المعسكر الشرقي كما سنرى.

أولاً-العلاقات السياسية

مثّلت غينيا بعد حصولها على الاستقلال فرصة للسوفيت لعمل رأس جسر ساحلي في غرب أفريقيا، والانطلاق منه للتغلغل داخل القارة الأفريقية، حفزّهم على ذلك الالتقاء الأيديولوجي بين الاتحاد السوفيتي المُعادي للاستعمار، وماركسية سيكوتوري الثقافية المناهضة للإمبريالية والاستعمار، مما أدى لأن يكون سيكوتوري تابعًا متعاطفًا للسوفيت،[1] بالإضافة إلى الفراغ الذي تركه الفرنسيون وحلفاؤهم من الدول الغربية الرأسمالية بعد انتزاع غينيا استقلالها، كلّ هذه أدوات استغلها السوفيت لاستقطاب غينيا المستقلة.

تجلّى ذلك عندما أعلن سيكوتوري استقلال دولته في 2 أكتوبر 1958، وانتهاز الاتحاد السوفيتي ورفقاء حلف وارسو[2] Warsaw، تلك المناسبة،

(1)Garrison,Lioyd, East and West reach a cold war truce in Guinea, Jul,24,1964, p. 4

(2)في عام 1956 انعقد مؤتمروارسو للكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتي، وأسفر هذا المؤتمر عن توقيع معاهدة حلف وارسو بين ثمانية من البلاد التي تسير في فلكه،وهي بالإضافة للاتحاد السوفيتي بولندا وتشيكوسلوفاكيا وألمانياالشرقية ورومانيا وبلغاريا والبانيا وهنغاريا، ومن بنود ميثاقه تنظيم قيادة عسكرية موحدة تُعهد للمارشال السوفيتي. لمزيد من التفاصيل انظر: نبيل عبدالله محمد الشوادفي، الأحلاف والتكتلات السياسية الدولية المعاصرة، ط 1، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، 2016 ص ص 28-29.

بإعلان اعترافهم مباشرة بدولة غينيا المستقلة،[3]حيث جاء اعتراف السوفيت في الخامس من أكتوبر 1958 [4] أي بعد ثلاثة أيام من إعلان الاستقلال،[5] ومباشرة استقبل سيكوتوري وفد سوفيتي في 4 ديسمبر 1958 لتهنئته وحكومته بالاستقلال،[6] ولإعلان التبادل الدبلوماسي معها، ومن ثمّ تأسست العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، وافتتح السوفيت سفارتهم في كوناكري في أبريل عام 1959،[7]حتى يكون لهم السبق في الاعتراف بالدولة الوليدة.[8] ومن ثمّ وصل السفير السوفيتي بافل جيراسيموف Pavel Gerasimov إلى كوناكري واستقبله سيكوتوري بحفاوة كبيرة.[9]

(3)Rakove, Robert B.,Kennedy, Johnson, and the Nonaligned world,Cambridge University Press,2013 , p. 19

(4)Tevoedjre,Eric,the limits and uses of deviance in Franco-African relations: The relations of Guinea (Conakry), Congo, and Benin with France, 1958-1981,Ph.D., the Johns Hopkins Univ., 1990, p. 132, See also, The New York Times, Schimidt, Dana Adams, Guinea arms bid explained by U.S., 1st May 1959, p. 5

(5)Landolo,Alessandro, the rise and fall of the " soviet model of development" in westAfrica, 1957-64, Cold War history, Vol.12,No.4, Nov. 2012,P.,691

(6)the New York Times, Soviet delegation in Guinea, 5th Dec. 1958, p. 12

(7)Landolo,Alessandro, Op. Cit, p. 691, see also, The Christian Science Monitor, New African State Catches Soviet Eye, Oct 7, 1958, pg. 4.

(8)the New York Times, Raymond, Jack ,Rising red influences in Guinea Stir US Concern about Africa, 4th Apr. 1959, p. 1

(9)Landolo,Alessandro, Op. Cit, p. 691

تبع الروس في الاعتراف باستقلال غينيا دولًا شيوعية أخرى منها بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ففتحوا سفارات لهم في تلك الدولة الناشئة،[10] بالإضافة إلى بولندا التي امتلكت هي الأخرى طاقم عمل دبلوماسي كبير في كوناكري.[11] أيضا قدمت موسكو ومعسكرها مساعدات لسيكوتوري لكي يطوّر الحزب الديمقراطي الغيني أكثر الأحزاب السياسية الأفريقية كفاءة وقتئذ، حيث انتشر هذا الحزب في كل أنحاء غينيا، وتمتع بشعبية كبيرة، بفضل المساعدات التي كان يقدمها للشعب.[12]

وهكذا وبعد الاعتراف باستقلال غينيا من قبِل المعسكر السوفيتي، وسرعة إعلان التبادل الدبلوماسي مع غينيا، بدأت الزيارات والتفاعلات السياسية بين البلدين، تلك الزيارات التي كانت على جميع المستويات من القادة والوزراء والمسئولين من البلدين، حيث ذكرت صحيفة البرافدا السوفيتية Pravda بتاريخ 14 سبتمبر 1959 وصول وفد الحزب الشيوعى السوفيتى، ووفدي الحزب الشيوعي لجمهوريتي تشيك ورومانيا إلى كوناكرى لحضور مؤتمر الحزب الديمقراطي الغيني، وتمت مناقشة العديد من المشاكل التي تواجهها غينيا بعد استقلالها.[13]

(10) Amin, Julius A.,United States peace corps volunteers in Guinea: a case study of US-African relations during the cold war, Journal of Contemporary African studies, 16,2,1998, p. 201

(11)The New York Times, Raymond, op. cit., p. 1

(12) los Angeles Times, Guinea black Africa's only socialist nation: Regime of sekou toure manages to extract aid from both East and West, 11st Dec. 1968,p.A2.

(13)FO 371-138825, Ju 10338/16,No. 1337, from Moscow to FO , Guinea Democratic Party Congress, 16th Sep. 1959

هذا وقد استغل رئيس مجلس السوفييتي الأعلى نيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev مناسبة الذكرى السنوية الأولى لاستقلال غينيا، فأرسل برقية تهنئة لسيكوتوري، جاء فيها:" أن الشعب الغيني قدّم مساهمة كبيرة لنضال الشعوب الأفريقية لتصفية النظام الاستعماري"، وفي رده على تلك البرقية قال سيكوتوري:" إن العزم على مواصلة النضال ضد الاستعمار، والحصول على الاستقلال، ووحدة أفريقيا، كلّ هذه القضايا دعمتها الحكومة السوفيتية دعمًا قويًا، وفي القريب العاجل ستنال الشعوب الأفريقية استقلالها".[14]

وبعد فترة وجيزة من مناسبة الذكرى السنوية الأولى لاستقلال غينيا ذكرت الصحافة السوفيتية استجابة سيكوتوري لدعوة خروشوف لزيارة الاتحاد السوفيتي في منتصف شهر نوفمبر 1959،[15]أي بعد الانتهاء من زيارته لواشنطن ولندن، وبالفعل فى الفترة من 19 إلى 27نوفمبر 1959 وصل الرئيس الغيني في زيارة رسمية للاتحاد السوفيتى، وجرت مناقشات ودية بينه وبين خروشوف، وتبادلا وجهات النظر حول العلاقات الغينية السوفيتية، والعديد من القضايا الدولية الطارئة، وأدرك كلا الجانبين أنه من الضروري

-FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs " Satterthwaite" to the Under Secretary of State " Dillon", Subject: Aid to Guinea, 6th Oct. 1959, p. 694

- Thompson,W.Scott,Ghana is Foreign Policy 1957-1966,Princeton University press,Princeton,New Jersey,1969, p. 185.

(14) Le Monde, échange de télégrammes entre MM. Khrouchtchev et Sekou Touré, 9 octobre 1959.

(15)FO 371-138825, Ju 10338/18, No. 1578, Telegram from Moscow to FO, 12 Nov.1959

خلق جو من الود والثقة بين الدول لزيادة تخفيف حدة التوتر الدولي وقتذاك، وحل قضايا نزع السلاح بأسرع ما يمكن وتأمين التوقف التام للتجارب النووية بدون تأجيل، [16] وإعادة توجيه الأموال المتوفرة من نزع السلاح لتطوير الدول المتخلفة،[17] واتفق الطرفان على ضرورة التخلص من النظام الاستعماري الغربي، وحق الأفارقة وباقي الشعوب في الحصول على الاستقلال.[18]

كما خطب سيكوتوري بالكريملين فى 25 نوفمبر 1959، ذاكرًا أن جمهورية غينيا تعتبر أداة محفزة لعملية التحرير الكاملة لشعوب أفريقيا[19]، وخصص خطبته لدعم العلاقات الودية بين البلدين، ومناهضة الاستعمار الغربي، وتحدث نيابة عن القارة الأفريقية، قائلًا:" بينما يناضل الأفارقة لمناهضة الاستعمار، سيكون هناك حلفاء للعالم الذي اختار الحرية والسلام للشعوب جميعًا، لذلك يجب على أفريقيا ألا تختار بين الشرق والغرب، ولكن بين التقدم والاستعمار، بين السلم والحرب".[20] وهنا إشارة للميل للمعسكر الشرقي غير المتورط في الحركة الاستعمارية، والابتعاد عن المعسكر الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة لتورطهم في دعم استعمار أفريقيا.

(16)Ibid.

(17) FO 371-138825, Ju 10338/20, No. 1648, Telegram from British Embassy in Moscow to FO, 28th Nov. 1959.

(18) Ibid., See also, The Guardian , M. Toure invites Mr Khrushchev to Guinea, 27th Nov. 1959, p. 17

(19) FO371-138825, Ju 10338/ 21, No.115 (10362/1//12), British Embassy in Moscow to FO, report about visit Sekou Toure to Moscow, 1st Dec. 1959

(20)FO371-138825, Ju 10338/20, No. 1648, Telegram from British Embassy in Moscow to FO, 28th Nov. 1959

وفي نهاية الزيارة وجّه سيكوتوري دعوة لخروشوف لزيارة غينيا متمنياً أن تلقى القبول.[21]ومن جانبه وافق خروشوف واعدًا بأن غينيا ستكون أول زياراته للقارة الأفريقية. [22] ومن دلالات انبهار سيكوتوري بهذه الزيارة، أنه بعد عودته إلى كوناكري أرسل برقية إلى خروشوف في 10 ديسمبر 1959، متضمنة الإشادة بالعناية التي استقبل بها الوفد الغيني بموسكو، ومعبرًا عن سعادته وسعادة شعبه بهذه الزيارة التي أكدت على قوة العلاقات بين البلدين. [23]

وبعد طرق سيكوتوري أبواب السوفيت بهذه الزيارة أعلنت الصحافة السوفيتية بأن ليونيد بريجنيف Leonid Brezhnevالرئيس السوفيتي وافق على دعوة من سيكوتوري للقيام بزيارة غينيا،وبالفعل تمّت الزيارة في النصف الأول من فبراير عام 1961،[24] وفي 30 أبريل من العام نفسه حصل سيكوتوري على جائزة لينين للسلام من البروفيسور ديميتري سكوبيلتسين

(21)The Guardian , M. Toure invites Mr. Khrushchev to Guinea, 27th Nov. 1959, p. 17

(22)Los Angeles Times, Khrushchev gets bid from Guinea, 26th Nov. 1959, p. 14, See also, Los Angeles Times, Polyzoides, Nikita Basks in Political Climate , 3rd Apr. 1960, p . D9

(23) FO 371-138825, Ju 10338/24, Letter from British Embassy in Moscow to FO, 14th Dec. 1959

(24) FO 371/ 155575,Ju 103/38/1, No. 187,Telegram from Moscow to FO, 3rd Feb, 1961.

Dimitri Skobeltsin - رئيس لجنة جائزة لينين الدولية-،[25] وهي جائزة لا تُمنح إلا للشيوعيين.[26]

لم تستمر مرحلة التعاون الأوّلي بين غينيا والمعسكر الشرقي طويلًا، إذ سرعان ما تعرضت لعاصفة خطيرة كادت أن تعصف بجميع ملامح التعاون على كافة الأصعدة بينهما، أطلقت عليها الحكومة الغينية "مؤامرة المعلمين" في منتصف شهر نوفمبر 1961، ويبقى السؤال ماذا عن أسباب تلك الأزمة؟ وهل أثرت على علاقات غينيا بالمعسكر الشرقي؟

- أزمة المعلمين وتداعياتها السياسية على العلاقات الغينية - السوفيتية

مثّلت أزمة المعلمين وتداعياتها محطة مهمة في علاقات غينيا بالمعسكر الشرقي. وبدأت تفاصيل أزمة المعلمين بقيام اللجنة التنفيذية لنقابة المعلمين الغينيين بتوزيع منشور أدانت فيه التغيرات التي لحقت بمكانة المعلمين، وأكدت أن المعلمين كانت أحوالهم أفضل في مرحلة ما قبل الاستقلال، وجاء رد فعل سيكوتوري عنيفا، فأدان ما قام به قادة المعلمين في

(25)Department of State, Chief of State and Head of Government, visit of Guinean president to Washington, October 1962, See also :

- FO 371/ 155575, Ju 103138/8, Letter from British Embassy with Moscow to FO, 25th Aug. 1961
- New York Times,Lenin Peace Prices go to Castro and Toure, May 1, 1961, p. 3

(26)Amin, Julius A., Op. Cit, p. 206

مؤتمر كوناكري أمام اتحاد النقابات الغينية في 16 نوفمبر 1961، [27] وتم إخبار نقابة المعلمين باختيار لجنة جديدة، وإلقاء القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية السابقة، ووجهت لهم تهمة الخيانة العظمى، وحكم على بعضهم بالأشغال الشاقة بعد اتهامهم بالارتباط مع السفارة السوفيتية في كوناكري بروابط قوية.[28]

اندلعت المظاهرات والإضرابات من قبل المعلمين والطلاب ضد الحكومة الغينية،[29] واستمر هذا الإضراب لمدة أربع وعشرين ساعة، لزم فيه المضربون أماكنهم في مدرسة ليسيهLycees الأطفال في كوناكرى، وتم إخماد هذا الإضراب بوحشية عن طريق رجال الجيش والشرطة، ونتج عن ذلك عملية اعتقالات واسعة، وأدان توري تلك الحركة واعتبرها مؤامرة معادية لغينيا، وأعلن: " بأن المؤامرة نظمها تحالف من موسكو، وألمانيا الشرقية[30] وباريس وداكار"، [31] واتهم توري الجماعات الشيوعية وسفارات الكتلة الشرقية في كوناكري بمحاولة قلب نظام الحكم.[32] بعد أن فشلت في الضغط

(27)Guinea after five years, the world today,Vol.20, No. 3, Mar.,1964,P.116,See also, The Guardian,Zorza, Victor, Guinea gives Russia notice: No interference, , 21st Dec. 1961, p. 7

(28)Guinea after five years, Op. Cit, p.116

(29) See Footnote n.1, FRUS 1961-1963, Vol. XXI, Telegram from the Department of State to the Embassy in Guinea, 3rd Jan. 1962, p.401

(30)Guinea after five years, Op. Cit. , p.117

(31)**The Guardian ,** Marxists accused of attempted Guinea coup , 27th Dec. 1961, p. 7

(32)See Footnote n.1, FRUS. 1961 - 1963, Vol. XXI, Telegram from the Department of State to the Embassy in Guinea , Jan. 3,1962,Op.

على سيكوتوري وحزبه ليكونوا أكثر قربًا لليسار، وللفلك السوفيتي، وتمسكه بسياسة الحياد الإيجابي تجاه الصراع الشرقي- الغربي.[33]

وحاول أحد الباحثين تأكيد هذا الاتجاه باتهام السفارات الشيوعية في كوناكري بارتكاب أنشطة معادية،[34] وخصوصا سفارة الاتحاد السوفيتي حيث أكد أن السفير الروسي على اتصال بعدد كبير من المتآمرين، كما اشترك الطلبة الغينيون المبعوثون للدراسة في موسكو في مهاجمة سياسة الحكومة ورفضوا العودة إلى بلادهم، وتزعم المظاهرات طلبة معاهد دول الكتلة الشرقية في كوناكري، فكان هناك عدد كبير من المدرسين السوفيت في المدارس الغينية، وكانوا يشجعون الطلبة على الإضراب، وانتشار الخبراء الروس داخل البلاد، وتكوين صداقات مع الأهالي واستطاعتهم التأثير عليهم.[35]

اتخذت الحكومة الغينية ردّ فعل سريع بلفت أنظار سفراء الكتلة الشرقية، وطلبت منهم عدم الاتصال بأفراد الشعب وعدم إرسال منشورات

Cit,p.,401, See also, **New York Times**, Toure says reds plotted a coup, 13rd Dec. 1961

(33)Natufe, O. Igho, Soviet Policy in Africa from Lenin to Brezhnev, United States of America, 2011, p. 266, See also, The Guardian, Zorza, Victor,op.cit

(34) عن أنشطة سفارات الكتلة الشرقية فى كوناكري: ادعت الحكومة الغينية أنها ضبطت أوراق نقدية مزورة لدى بعض المتآمرين، وقالت إن تشيكوسلوفاكيا قامت بعملية طبع الفرنك الغيني الجديد، وعرقل بعض الطيارين التشيكيين لعمليات شركة الخطوط الجوية الغينية مما أجبر الحكومة على طردهم، وتردد أن سفارة الصين الشعبية هي التي دبرت هذه المؤامرة تماشيًا مع سياسة زعماء الصين في محاولتهم نشر المبدأ الشيوعي بالقوة والعنف وإيمانهم بقوة السلاح في مثل هذه المسائل. راجع، إيهاب سرور، السياسة والحكم في جمهورية غينيا، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة القاهرة، 1963،ص 165

(35) نفس المرجع ،ص 165

عدائية أو عقد اجتماعات مع الطلبة، وأن يتولى الحزب الديمقراطي الغيني توزيع نشراتهم بنفسه، ولكن رفض هؤلاء السفراء هذه التوجيهات فاضطرت الحكومة إلى استدعاء السفير الروسي "دانيال سولود" Daniel Solod وتسليمه مذكرة تتضمن المخالفات التي ارتكبها إلا أنه رفض المذكرة وأصر على موقفه،[36]، لذا طلب سيكوتوري من "سولود" مغادرة غينيا، واتهمه بأنه يشجع الغينيين على العمل ضد حكومته، [37] وطلب من خروشوف استبداله بسفير آخر.[38]

استجاب خروشوف للطلب، ورحل السفير السوفيتي عن غينيا، وأخبر سيكوتوري الاتحاد السوفيتي ومبعوثه الخاص أناستاس ميكويان Anastas Mikoyan أن غينيا سوف تستمر في سياسة الحياد الإيجابي، ولن تسمح بالتدخل في شئونها الداخلية،[39] كما تمّ تعيين السفير "دميتري ديجيتيار" Dmitri Dyegtyar - بدلًا من سولود- الذي قدم أوراق اعتماده لسيكوتوري

---

[36]نفس المرجع،ص 165

(37)See Footnote n.1, FRUS 1961-1963, Volume XXI, Telegram from the Department of State to the Embassy in Guinea, 3rd Jan. 1962,p.,401.See also, TheChristian Science Monitor, Brunn, Robert R., Guinea policy shifting? More western aid accepted, May 12,1962, p. 1, New York Times, Binder, David, Guinea's president to confer with Kennedy today, 10th Oct. 1962, p. 7

(38)The Guardian, Zorza , Victor, Op. Cit, p. 7

(39)Diallo, Geraldyne Pemberton, The philosophy of Ahmed Sekou Toure and its impact on thedevelopment of the Republic of Guinea: 1958-1971, Ph.D., the Graduate Faculty in History, University of New York, 1990, p., 180

في 23 فبراير 1962[40]، وتم ترحيل الطلبة الغينيين من موسكو لكوناكري استجابة لطلب سيكوتوري لاتهامه إياهم بالتآمر على الحكم.[41]

وعلى الرغم من التردي الذي وصلت إليه العلاقات بين غينيا والكتلة الشرقية عامة والاتحاد السوفيتي خاصة فيمكن القول بأن كلا الجانبين لم يهدفا إلى الوصول بها إلى حد القطيعة إذ أن غينيا ما زالت في بداية أدوار التنمية واقتصادياتها على درجة كبيرة من السوء، ومن ثم فهي مضطرة إلى الاعتماد كلية على ما تتلقاه من مساعدات من الدول الأخرى، ومن بينها الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتي، ولذلك لم تطلب غينيا سوى إبعاد السفير رغم ثبوت تدخله في إثارة القلاقل في غينيا، ومن ناحية أخرى كان الاتحاد السوفيتي حريصا على عدم ترك الفراغ الذي ملأه في غينيا بعد استقلالها وانحصار النفوذ الفرنسي عنها.[42]

ويتضح مما سبق أن أزمة المعلمين أحدثت شرخًا في العلاقات الغينية ـ السوفيتية بعدما وصلت إلى مرحلة من النضج، فاعتبر سيكوتوري الحركة مؤامرة تستهدف التدخل في شئون غينيا الداخلية، لذا عمدت الدبلوماسية السوفيتية إلى سياسة التهدئة باستجابتها لطلب الحكومة الغينية بتعيين سفير سوفيتي جديد، وترحيل الطلبة الغينيين من موسكو إلى غينيا بعدما اشتركوا في مهاجمة الحكومة الغينية، ومن ثمّ عادت العلاقات الغينية- السوفيتية مرة أخرى، ولكن غير قوية كسابق عهدها.

(40)Tevoedjre, Eric Op. Cit, p. 147

(41)إيهاب سرور، مرجع سابق،ص 167

(42)المرجع نفسه،ص ص 166- 167

أبدى السوفييت رغبتهم في تحسين العلاقات مع غينيا، وعدم قطعها،[43] وترجم ذلك زيارة وفد من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي إلى غينيا برئاسة إنستاس ميكويان في يناير 1962 للتفاوض وتنقية وتلطيف جو العلاقات بين البلدين،[44] وأثناء الاجتماع صرّح سيكوتوري بأن غينيا ستقبل المعونة من أي بلد على أساس الندية، وأنها ترفض الانقياد إلى أي من الجانبين في صراع القوى الدولية.[45] وأعلن أن غينيا ترغب في إقامة علاقات مع جميع الدول المعنية بالعدالة الاجتماعية على امتداد العالم، ولكنها ستنأى بنفسها عن الانضمام لأي من المعسكرين الشرقي أو الغربي، كما مدح سيكوتوري التعاون الثقافي والاقتصادي بين غينيا وروسيا بوصفه " قوة خلاقة من أجل التقدم"، ولكن إلى جانب ذلك أكد مرة أخرى على حياد غينيا،[46] وعندئذ تحدث ميكويان مؤكدًا على احترام السيادة الغينية، ونفي أي نية للتسلل أو فرض الأيديولوجية الشيوعية في غينيا،[47]كما مدح الدور الغيني البارز في

(43)Klinghoffer, Arthur Jay, Soviet Perspectives on African Socialism,Rutherford,Madison,Teaneck, Fairleigh Dickinson University Press,1969, p. 108.

(44)إيهاب زكى سرور،مرجع سابق، ص167. انظر أيضًا:

-Albright, David Edward ,The Soviet Union, Communist China, and Ghana, 1955- 1966 , Ph.D., the Faculty of Political Science, Univ. of Columbia, 1971, p. 260,Klinghoffer, Arthur Jay, op. cit., p. 108.

(45) Los Angeles Times, Won't join any Bloc, Toure tells Mikoyan: Guinea will accept aid from nations on equal basis, president says at RUSS fair, 8th Jan. 1962, p. 16

(46)Ibid, p. 16

(47) FO 371/161668, Ju103138/7, Letter from British Embassy with Conakry to FO, 16th Jan. 1962

قيادة أفريقيا نحو الاستقلال،[48]واختتم حديثه بقوله:" إن الاتحاد السوفيتي هو فى مقدمة جبهة النضال من أجل "التحرر الأفريقي من غير الاحتلال"".[49]

على أية حال، أسفرت هذه الزيارة عن تقدم ملحوظ في عودة العلاقات مرة أخرى بين غينيا والمعسكر الشرقي، ومن ثمّ تواصلت الزيارات بينهما بعدما انقطعت منذ أزمة المعلمين، فقد قام وفد مجرى في ديسمبر 1962بزيارة غينيا ودول أخرى بغرب أفريقيا برئاسة جيولا كالاى Gyula Kallaiنائب رئيس الوزراء فى ذلك الحين، وتمت مناقشة تطور العلاقات بين غينيا والمعسكر الشرقي، وفي نهاية الزيارة تمّ توجيه الدعوة لسيكوتوري لزيارة المجر[50].

ومن مظاهر عودة العلاقات بين غينيا والمعسكر السوفيتي، توجيه رسالة تهنئة لسيكوتوري بمناسبة الذكرى الرابعة لاستقلال غينيا في أكتوبر 1962، حيث نشرت صحيفة البرافدا والإزفستيا Isvestiya نص رسالة موجهة من خروشوف وبريجنيف إلى سيكوتورى تتضمن سعادة السوفيت بالتعاون مع غينيا، ذاكرين أن هذا التعاون يخدم مصالح دعم الاستقلال الوطني لغينيا، واختتمت الرسالة بالإعراب عن الثقة في أن "روح الصداقة والتفاهم المتبادل والتعاون ستواصل النمو وتصبح على نطاق أوسع".[51] كما احتفلت

(48) Los Angeles Times, Won't join any Bloc, Toure tells Mikoyan: Guinea will accept aid from nations on equal basis, president says at Russ fair, op. cit., p. 16

(49)Ibid, p. 16

(50) FO 371/182190,Ju 1631/4, Despatch No. 31, Letter from British Embassy with Budapest to FO, August 11, 1965

(51) FO 371/161668, Ju 103138/14, Letter from British embassy with Moscow to FO, 3rd Oct. 1962

السفارة الغينية بموسكو باليوم القومى لغينيا، وكان الحضور السوفيتى على مستوى رفيع جداً، وصرح الممثل السوفيتي بحتمية إدانة الاستعمار، مهنئاً غينيا على نجاحها فيما يتعلق بسياسة الحزب الديمقراطى الغينى، وأوضح "أن علاقات الود والتعاون بين شعبى غينيا والسوفيت والتى تحققت منذ اليوم الأول لجمهورية غينيا تواصل التطور بشكل ناجح ومثمر". (52)

وللاهتمام السوفيتي بغينيا قام السوفيت بتعيين سفير لهم لدى غينيا يتمتع بحنكة دبلوماسية عالية ألا وهو أليكسليونيدوفيتش فورونين Alex Leonidovich Voronin في نوفمبر 1964، (53) كما قام وفد حكومي وحزبي من الجمهورية الغينية بزيارة موسكو في الفترة من 27 نوفمبر إلى 6 ديسمبر 1964، تناولت المباحثات مع بريجينيف سبل توطيد أواصر العلاقات وتنميتها ما بين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والحزب الديمقراطي الغيني، والتعاون المشترك بين البلدين في كافة المجالات،(54)وقد أكد الجانبان على تطابق وجهات النظر ما بين الجمهورية الغينية والاتحاد

(52) FO 371/161668, Ju 103138/14, Letter from British embassy with Moscow to FO, 10th Oct. 1962

(53) فورونين ولد عام 1917 ببلجراد؛ وعمل بمجال السياسة عام 1942،وخدم في إيران ثلاث مرات، الأولى كسكرتير ثان في الفترة ما بين 1946-1949، ثم كسكرتير أول من سنة 1953-1955، ثم كمستشار ما بين عامي 1957-1960، وإلى جانب عملة كقنصل، عمل لفترة طويلة كقائم بالأعمال بسفارة إيران نظرا لغياب السفير عن طهران، وفى سنة1962 تم تعيينه مستشارًا في السفارةبتركيا، وفي نوفمبر1964تم تعيينه سفيرًا لدى غينيا. راجع:

- FO 371/177193,JU 103/38/8, Request Information on new Soviet Ambassador Voronin, Nov. 1964.

(54)FO 371/177193, JU 103/38/9, Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, December 9, 1964

السوفيتي في العديد من القضايا الدولية،[55] وهنأ الجانب السوفيتي الشعب الغيني بنجاحه في التغلب على العوائق التي واجهته من قبل الإمبرياليين والاستعمار الجديد، وتغلبهم أيضًا على العناصر المناهضة داخل غينيا،[56]وقد أكدت تصريحات الوفد السوفيتي أن الموضوع الرئيس للمباحثات كانت أيديولوجية واقتصادية، هذا وقد جددت الحكومة السوفيتية دعوتها إلى سيكوتوري لزيارة الاتحاد السوفيتي رسميًا في الوقت الذي يناسبه، وقد قُبلت الدعوة.[57]

وبناء على الدعوة السابقة، قام سيكوتوري بزيارة الاتحاد السوفيتي فى الفترة من 26 إلى 30 يوليو 1965،وتبادل الطرفان وجهات النظر في القضايا الأفريقية المهمة "الكونغو وغينيا بيساو والتفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا"، ومناقشة العلاقات الثنائية بين البلدين، والتي بنيت على أساس من الاحترام المتبادل للسيادة والمساواة لكل من الدولتين، ومبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لأي منهما،[58]كما تناولت المباحثات قضايا متعلقة بتخفيف حدة التوتر الدولي، ودعم السلام، ومناهضة الإمبريالية، ومساندة حركات التحرر الوطنية

(55)FO 371/177193,JU 103/38/6, Memorandum from British Embassy with Conakry to FO, 10th Dec. 1964

(56)FO 371/177193,JU 103/38/7, Memorandum from British Embassy with Conakry to FO, 12th Dec. 1964

(57)FO 371/177193, JU 103/38/9, Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, 9th Dec. 1964, Op. Cit.

(58) FO 371/182190,Ju 1631/3 ,Joint Soviet- Guinean Communique, 1965

وتقوية الوحدة الأفريقية، [59] وقد أشارت قيادات الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي والحزب الديمقراطي الغيني عن ارتياحهما لتطور علاقات الزمالة بين الحزبين، والتي أُسست بناء على تفهم عميق لتوحيد أهدافهم من أجل الكفاح ضد الإمبريالية والاستعمار، والسلام والاستقلال الوطني، والتعجيل بالعملية الثورية التي ستقود غينيا إلى التطور الاجتماعي. [60]

وخلال المباحثات دعم الطرفان قرار الدعوة لعقد مؤتمر ثانٍ للدول الآفرو- آسيوية، كما أعربوا عن أملهم في أن يقوم المؤتمر بخدمة قضية زيادة توحيد القوى المتعاقبة من أجل نضالهم ضد الاستعمار بكافة أشكاله الجديدة، وقد أشير خلال المباحثات إلى التفاهم المتبادل بين الطرفين في التأكيد على الحل السلمي لكافة قضايا النزاع الدولية، وفي ختام الزيارة وجه سيكوتوري الدعوة لرئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي كوسيجين A. N. Kosygin للقيام بزيارة ودية لجمهورية غينيا، وتم قبول الدعوة. [61]

وعقب الانتهاء من زيارته للاتحاد السوفيتي توجه الوفد الغيني برئاسة سيكوتوري بزيارة ودية إلى دولة المجر الشعبية في الفترة من 30 يوليو إلى 2 أغسطس 1965، وقد اتسمت المحادثات بين الطرفين بروح من التفاهم المتبادل، وتبادل حزب العمال الاشتراكي المجري والحزب الديمقراطي الغيني

(59) FO 371/182190,Ju 1631/3,No. 40 (10362/6/8), Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, 6 August 1965

(60) FO 371/182190,Ju 1631/3 ,Joint Soviet- Guinean Communique, 1965,Op.Cit.

(61) FO 371/182190,Ju 1631/3 ,Joint Soviet- Guinean Communique, 1965. See also, Los Angeles Times , Soviet's Top 3 Leaders Agree to Visit Guinea, 1st Aug. 1965,p. G1.

وجهات النظر بشأن العلاقات الثنائية بين البلدين،وفى سياق الزيارة عقدت محادثات بين ممثلي حزب العمال الاشتراكي المجرى وحكومة الثورة للعمال والفلاحين بالمجر ووفد الحزب الديمقراطي الغيني وحكومة جمهورية غينيا، [62] وقد أشاد حزب العمال الاشتراكي المجرى بالمحادثات عن تقديره الشديد لكفاح غينيا في مناهضة السياسة الجائرة للإمبريالية والاستعمار الجديد، بالإضافة إلى نضال الحزب الديمقراطي بغينيا من أجل التنمية الاجتماعية للشعب الغيني.[63]

كما صرح الطرفان بالتبادل بأنه من خلال تعزيز التعاون بينهما سيواصلان الكفاح من أجل التصفية الكاملة والفورية للنظام الاستعماري، كما وجه سيكوتوري الدعوة لجانوس كادار Janos Kadar- سكرتير أول اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكى المجرى- للقيام بزيارة ودية لجمهورية غينيا، وقد قبل كادار الدعوة بالشكر والامتنان.[64]

واتفق الطرفان على أن الأداء الطبيعي للأمم المتحدة يجب أن يُكفل من أجل تسوية القضايا الدولية الكبرى المعلقة. وأن الحزبين مقتنعان بأن الأمم

(62) FO 371/182190,Ju 1631/4, No. 181, Hungarian Press Summary, Communique on the talks between the Hungarian and Guinean Party and Government delegations, 3rd Aug. 1965

- وصل سيكوتوري وقيادات الحزب الديمقراطي الغيني إلى المجر يوم 30 يوليو 1965 في مطار فيرهيجى Ferihegy، وتم استقبالهم، وتمت المحادثات بالبرلمان، وظلوا حتى 2 أغسطس 1965، وبعدها غادروا إلى يوغسلافيا، عن برنامج الزيارة انظر:

- FO 371/182190,Ju 1631/4, Programme of the visit of President Sekou toure to Hungary 30 July – 2 August 1965, 30 Jul. 1965

(63) FO 371/182190,Ju 1631/4, No. 181, Hungarian Press Summary, 3rd Aug. 1965

(64) FO 371/182190, Ju 1631/4, No. 181, Hungarian Press Summary, Budapest, 1st Aug. 1965

المتحدة سوف تكون قادرة على الالتزام بمهامها إذا كان العمل منطلقاً من وحى طابعها الخاص، حيث سيعزز ذلك من تسوية المشاكل الكبرى في الحياة الدولية. وسيكون من الضروري للهيئات التابعة للأمم المتحدة أن تعكس في تكوينها الظروف الدولية الفعلية واستعادة حقوق جمهورية الصين الشعبية من خلال المنظمات الدولية.[65]

ظل المعسكر السوفيتي يتمتع بهذه العلاقات الوطيدة مع غينيا منذ حصول الأخيرة على استقلالها عام 1958، وهذا ما اعترف به أحد المسئولين الغينيين بقوله:" إن الدول الشيوعية في شرق أوروبا وآسيا احتكرت علاقات غينيا الخارجية بعد استقلالها"،[66] وظل الوضع هكذا حتى الجزء الأكبر من عقد الستينيات في القرن العشرين – وبدرجة أقل في سبعينياته – فطوال هذه الفترة مارس الاتحاد السوفيتي دورًا مهمًا في كل من غينيا وأجزاء أخرى في منطقة غرب أفريقيا.[67] ولكن منذ عام 1974 حتى عام 1984 حدث اهتزاز في العلاقات بينهما لصالح المعسكر الغربي، حيث قام سيكوتوري بتحرك سياسي ودبلوماسي نشط على الصعيدين الدولي والإقليمي لتحسين العلاقات بين غينيا والولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية،[68] حيث تم استئناف العلاقات

(65) FO 371/182190 , JU 1631/4, No. 181, Hungarian Press Summary, 3rd Aug. 1965

(66)Marcum, John, One year after… Sékou Touré &Guinea, Africa Today, Vol. 6, No. 5 (Nov., 1959),p. 7.

(67) the Christian Science Monitor,Rotberg, Robert I., Toure – and the evolution of black Africa,4th Apr. 1984,P.,16.

(68)محمد عيسى الشرقاوي، أبعاد التحرك السياسى لغينيا،**السياسية الدولية**،أبريل،1979، العدد 56، ص 185

الدبلوماسية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية يوم 28 مايو عام 1975، وفي 21 ديسمبر لعام 1977 تم الإفراج عن ثلاثة مواطنين فرنسيين من السجون الغينية بعد 7 سنوات من الاحتجاز، ومن ثمّ تحسنت العلاقات الفرنسية- الغينية، وقام الرئيس الفرنسي " فاليري جيسكار ديستان Valery Giscard D'Estaing بزيارة غينيا عام 1978.[69]

وهكذا أصبح سيكوتوري يتحول إلى الغرب بشكل متزايد للحصول على معونات اقتصادية، وتحسين علاقاته مع الزعماء الأفارقة المحافظين[70] والموالين للمعسكر الغربي في منطقة غرب أفريقيا.[71] ومن مظاهر ذلك اشتراك سيكوتوري مع الرئيس السنغالي سنجور، والرئيس فليكس بوانييه رئيس كوت ديفوار، في مؤتمر منروفيا عاصمة ليبيريا في 18 مارس 1978 لتسوية الخلافات القائمة بينهم، وقد وصفت المصادر بأن هذا المؤتمر مصالحة ووحدة وطنية لبلاد غرب أفريقيا، وقد اتفق الرؤساء الثلاثة في هذا المؤتمر على استئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين بلادهم، ودعم العلاقات التجارية

(69)Tevoedjre,Eric, Op. Cit, p.168, see also, The Christian Science Monitor, Klein, Martin A.,Guinea--private enterprise is alive and well, 1st June 1981, p. 13.

(70)الجدير بالذكر أن العلاقات بين غينيا والبلاد المجاورة لها ذات الاتجاه المحافظ في غرب أفريقيا سادها التوتر منذ استقلال غينيا عام 1958 بسبب الاتجاه الراديكالي لسيكوتوري، وقد بلغ هذا التوتر ذروته عام 1970 عندما اتهمت غينيا السنغال وكوت ديفوار بالاشتراك في محاولة الغزو الانقلابي الفاشل في غينيا التي قام بها المرتزقة والبرتغاليون والعناصر الغينية المنشقة في نوفمبر من ذلك العام باستخدام أراضي هاتين الدولتين في الهجوم المسلح على غينيا. راجع. محمدعيسى الشرقاوي، ص 186

(71)New York Times, May,Clifford, Toure is buried in tomb in Guinea: Dozen of envoys, including Bush, attend ceremony in a sports Stadium, 31st March 1984,p.9

والثقافية بينهم، في إطار قواعد المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس" ECWAS، كما أوقفت السلطات الغينية عقب مؤتمر " المصالحة" الانتقادات العنيفة التي كان يذيعها راديو كوناكري ضد كل من السنغال وكوت ديفوار. كما قام سيكوتوري بتحسين علاقاته بغانا بعد أن توترت منذ عام 1966 أثر إطاحة العسكريين بالرئيس نكروما، وحاول سيكوتوري أيضا تحسين علاقات بلاده بكل من الجابون وبنين. [72] ومن الملاحظ أن هذه الدول ذات توجه غربي.

وهكذا يتبين أن علاقات غينيا بالمعسكر السوفيتي بدأت قوية ووطيدة، وذلك بانتهاز السوفيت فرصة إعلان غينيا لاستقلالها، فكان لهم السبق في أن يعترف باستقلال غينيا، وإعلانه التبادل الدبلوماسي معها، ومن هنا توطدت العلاقات على الصعيد السياسي والدبلوماسي، وبدأت الزيارات بينهما، إلا أن هذه العلاقات أصابها انتكاسة عام 1961 فيما عرُف بحادثة مؤامرة المعلمين، نتيجة لتدخل سفارات الكتلة الشرقية في شئون غينيا الداخلية، ومن ثمّ توترت العلاقات بين السوفيت وغينيا، ولكن عادت العلاقات مرة أخرى لطبيعتها واستمرت حتى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، ثمّ أصاب هذه العلاقات الوهن والضعف نتيجة انتهاج سيكوتوري لسياسة الانفتاح تجاه المعسكر الغربي، وتحسين علاقاته بالدول الأفريقية ذات الاتجاه المحافظ وعلى رأسها كوت ديفوار والسنغال، ولكن هذا لا يعني أن العلاقات مع السوفيت انقطعت

(72) محمد عيسى الشرقاوي، مرجع سابق،ص 186

تمامًا، كلا، ولكن لم تكن كسابقتها في الستينيات. ننتقل بعد ذلك لنبرز العلاقات بين المعسكر السوفيتي وغينيا على الصعيد الاقتصادي.

ثانيًا:العلاقات الاقتصادية

بحصول غينيا على استقلالها، وظهورها كجمهورية مستقلة في القارة الأفريقية، فرضت فرنسا حصارًا اقتصاديًا عليها، مما كان له بالغ الأثر على أوضاعها الداخلية، وتأزم هذا الحصار بعد أن رفضت الولايات المتحدة مدّ غينيا بالأرز والتجائها للاتحاد السوفيتي لحل تلك الأزمة[73]، بمعنى آخر كان سيكوتوري مجبرًا على تأسيس علاقات مع الاتحاد السوفيتي داخل نطاق الحرب الباردة، نتيجة للفوضى الاقتصادية الداخلية التي شهدتها غينيا بسبب الضغوط السياسية والاقتصادية الفرنسية.[74]

لذا استقبل السوفيت هذه الفرصة بالأذرع المفتوحة، فبعد أن أرسلت الحكومة الغينية بعثات غير رسمية على امتداد العالم للكشف عن احتمالات الحصول على معونة اقتصادية،[75] أسرع خروشوف بتقديم مساعدات اقتصادية وتقنية سخية لغينيا في 6 أكتوبر 1958.[76]

ومن الجدير بالذكر أن المساعدات السوفيتية من التكنولوجيا والفنيين ورأس المال حدث فقط بعد أن طلب سيكوتوري المعونة من الدول الغربية

(73)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق،ص 142

(74) Cort, Leon Lioyd, Op. Cit, p. 135

(75)The New York Times, Schimidt, Dana Adams, Guinea Arms bid explained by U.S., 1st May. 1959, p. 5

(76)**The New York Times,** Brady, Thomas F., Guinea awaiting move by France, 7th Oct. 1958, p. 13

الرأسمالية، وفشل في الحصول على أي رد فعل ملموس، لذلك فإن ما بدا أنه "دبلوماسية العرض" بين غينيا والاتحاد السوفيتي ربما كان نتيجة لرغبة الأخير في أن يرسخ أقدامه في غينيا دبلوماسيًا واقتصاديًا قبل أن يعترف خصومه الأيديولوجيون (الرأسماليون) بغينيا.[77]

وعندما أعلن وزير المالية الغيني فاربان كامار Faraban Camaraفي حضور سيكوتوري بأنه إذا أصبحت غينيا باب أفريقيا للسوفيت، فهذا سيكون خطأ من المعسكر الغربي؛ لأنه لم يعجل باعترافه بغينيا ولا بالتبادل الدبلوماسي معها، وأخيرًا عدم استجابته لمنح غينيا معونة اقتصادية، ولكن رد عليه سيكوتوري بألا يتعجل، ووصف ذلك بأنه "ابتزاز دبلوماسي".[78]

ومن مظاهر التعاون الاقتصادي بين غينيا والمعسكر الشرقي ازدياد نصيب الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية الأخرى من واردات غينيا من صفر لـ 9.3% بحلول عام 1959، كما حدثت ظاهرة مشابهة في قطاع التصدير، حيث استوعبت هذه الدول 16.2% من صادرات غينيا،[79]وخلال الفترة ما بين شهري فبراير وأغسطس 1959 وقّع كل من الاتحاد السوفيتي وغينيا معاهدة اقتصادية شاملة، واتفاقية تعاون اقتصادي [80] تُمنح غينيا بمقتضاها قرضا بـ 135 مليون روبل، وأصبح متاحًا في أكتوبر من العام نفسه،

(77) Cort, Leon Lioyd, Op. Cit, p. 135
(78)The New York Times, Brady, Thomas, Op. Cit.7th Oct. 1958, p.13
(79) Cort, Leon Lioyd, p. 135
(80) Landolo, Alessandro, the rise and fall of the " soviet model of development" in west Africa, 1957-64, Cold War history, Vol.12,No.4, Nov. 2012, p. 691.

وبالدولار كما تمنى الغينيون[81] يسدد على 12 سنة بفائدة قدرها 2,5%[82]هذه الأرقام أصبحت أكثر دلالة عام 1960، ففي هذا العام كان المعسكر السوفيتي مسئولًا عن 2,44% من واردات غينيا[83]، وعن 40% من صادراتها طبقًا لتقديرات المخابرات الوطنية الأمريكية.[84]

وفي الفترة (1958 – 1961) استقبلت كوناكري من موسكو ودول المعسكر الشيوعي حزمة مساعدات تقدر بـ110 مليون دولار تقريبًا، شملت المنح والقروض واتفاقات الائتمان،[85]ففي نوفمبر عام 1958 قام نائب وزير التجارة التشيكي جاروسلاف كوهوت Jaroslav Kohoutبزيارة غينيا لتوطيد العلاقات السياسية والاقتصادية معها، حيث قابل الوفد التشيكي وزير الاقتصاد لانسانا بيفوجي Lansana eavogui ووزير الأمن والداخلية فوديبا كيتا Fodeba Keita، وأسفرت هذه الزيارة عن توقيع بروتوكول في مجال العلاقات الاقتصادية والتقنية بين البلدين،[86] كما قامت الحكومة الغينية بالتوقيع

(81) FO 371/138849 ,JU 11338/7, Confidential, 13rd Oct. 1959
(82) Landolo, Alessandro, Op. Cit, p. 691
(83) Cort, Leon Lioyd, p. 135
(84) **National Intelligence Estimate**, NO 11-12-62**,** Trends in Soviet Policy toward
Sub-Saharan Africa, 5th Dec. 1962, p. 6
(85) Amin, Julius A .,Op. Cit,P.,201, See Also, Kresse,Kenneth A. ,Containing Nationalism And Communism on the"Dark Continent":Eisenhower's Policy Toward Africa,1953-1961,Ph.D.,College of Arts&Sciences, Department of History,Univ. at Albany, 2003,P.,438
(86)Camara, Mohamed Saliou, Society and Politics in Africa, Vol .23 : Political History of Guinea since World War Two, Peter Lang AG, New York, USA, 2014, p. 207

على اتفاقية تجارية مع الاتحاد السوفيتي يوم 13 فبراير 1959، وشملت تبادل سلعي واسع[87]بين الجانبين بلغت قيمته مليوني دولار.[88]

وشمل هذا التعاون أيضًا توقيع غينيا لاتفاقيات مقايضة مع تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وبلغاريا وبولندا فضلًا عن الاتحاد السوفيتي،[89] حيث قدمت كلًا من ألمانيا الشرقية والتشيك المساعدة لغينيا على الفور أثناء ضائقتها الاقتصادية بعد حصولها على الاستقلال.[90] كما استوعبت كوناكري العديد من البعثات التجارية مثل بلغاريا،[91] وألمانيا الشرقية التي

(87) هذه الاتفاقية تحتوي على بندين: البند الأول يتضمن منتجات تصدير من الاتحاد السوفيتي لجمهورية غينيا ويشمل معدات للري وللبناء ولتمهيد الطرق، وللمسح الجيولوجي ومعدات للطاقة وهندسة الكهرباء ؛ وتشمل وحدات توليد كهرباء متنقلة، مواتير، مولدات ومحولات، وجرارات وآلات زراعية ومستلزماتها، سيارات، وأتوبيسات، درجات هوائية وموتوسيكلات، عجلات وشنابر للسيارات والدرجات الهوائية، أدوات كهربائية منزلية، ومنتجات كيميائية، أدوية وأدوات طبية. أما البند الثاني: فيتضمن منتجات التصدير من غينيا للاتحاد السوفيتي ويشمل قهوة، وموز، والفول السوداني، وزيت النخيل، وزيوت مستخلصة، والماس صناعي، وبضائع متنوعة. وراجع:

- FO 371/138849, liste "A",des produits pour l'exportation de l'URSS VERS LA Republique de Guinee.
- FO371/138849, liste "B",des produits pour l'exportation de La Republique de Guinee Vers l'URSS.

(88) FO371/138849, Ju 11338/1 ,Letter from British Embassy with Conakry to FO ,19th Feb. 1959

(89) FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum of Conversation, Subject: Africa and aid, 27th Oct. 1959, p. 705

(90) FO371/138825, JU 10338/15,NO. 33 (1031/59), Letter from British embassy in Conakry to FO, Secret, 5th Sept. 1959

(91)Raymond, Jack ,Rising red influences in Guinea Stir US Concern about Africa,The New York Times, 4th Apr. 1959, p. 1

افتتحت بعثتها التجارية في 2 مايو 1959، وتولى ويلهلم كيرشي Wilhelm Kirschey مسئولية المفوضية التجارية.[92]

كما وقعت تشيكوسلوفاكيا وغينيا اتفاقية تبادل السلع في يوليه 1959، وتم الاتفاق على أن تصدر تشيكوسلوفاكيا المنتجات الهندسية والمنسوجات والسلع الصناعية، مقابل أن تصدر غينيا المنتجات الزراعية والحبوب الزيتية، ثم وقعت اتفاقية أخرى متضمنة قرض طويل الأجل قيمته 5 مليون دولار، وبموجبها تقدم تشيكوسلوفاكيا المواد اللازمة الرئيسة لتنمية اقتصاد غينيا خلال مشروع السنوات الثلاث التيتبدأ سنة 1959 وتنتهي سنة 1962،[93]وتم الاشتراط أن تكون الاتفاقيات بدون هيمنة مع احتفاظ غينيا بكامل حريتها في إعادة النظر في هذه الاتفاقيات، حيث إنها اتفاقيات مقايضة، وهذا ما كان مناسبًا لاحتياجات غينيا في ذلك الوقت[94]كما تواجد في غينيا العديد من الخبراء التشيكيين لوضع وتنسيق السياسة الاقتصادية للبلاد، وهم الذين قاموا بوضع الأسس التي قامت عليها المؤسسات الاقتصادية التجارية[95]. ونتيجة لهذا التعاون بين غينيا وتشيكوسلوفاكيا أعلنت الأخيرة في يناير 1961 أن غينيا هي أكبر عميل لصادراتها.[96]

(92) FO371/138849, Ju 11338/3 ,Letter from British Embassy with Conakry to FO,May 19, 1959

(93)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق،ص164.

(94) FO371-138825, Ju 10338/1,NO. 33 (1031/59), Memorandum from British embassy in Conakry to FO, Secret, September 5, 1959

(95)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق،ص164.

(96)Amin, Julius A.,Op.Cit.,P.,201

وقد رصدت وثائق الخارجية الأمريكية هذا التعاون، وأظهرت توقيع خمسة دول من المعسكر السوفيتي اتفاقيات تجارية ثنائية مع غينيا حتى أكتوبر 1959،[97] فعلى سبيل المثال لا الحصر، تمّ توقيع اتفاقية للتعاون التجاري والاقتصادي مع بلغاريا في الأول من أكتوبر 1959؛ لتسهيل سُبل التبادل بين المنتجات الزراعية الغينية مقابل المنتجات الصناعية والسلع الاستهلاكية البلغارية.[98] كما أن هذه الدول فازت بثلث تجارة البلاد، بالإضافة إلى إحلال 150 فنيًا من المعسكر السوفيتي محل المسئولين الفرنسيين، لذا كان الموظفون الرئيسيين في العديد من الوزارات الحيوية من أوروبا الشرقية،[99] وامتد هذا التعاون بقيام الكتلة السوفيتية بمساعدة غينيا في إعادة بناء السكك الحديدية في كوناكري، ومدينة مامو Mamu وتحديث موانئ غينيا.[100]

ولذلك عندما احتفلت غينيا بعيد استقلالها الأول في أكتوبر 1959 خطب سيكوتوري قائلًا: "إن المساعدة التي وصلت لغينيا في عيد استقلالها

(97) FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs " Satterthwaite" to the Under Secretary of State " Dillon", Subject: Aid to Guinea,discussions, President Sekou toure's forthcoming trip to Washington " October 26-28" provides a unique opportunity to exert a moderating influence on the future course of guinea , 6th Oct. 1959, p. 694

(98) FO 371/138849 ,JU 11338/5, NO. 33,, Guinea relations with Soviet Bloc, 9th Oct. 1959

(99) FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs " Satterthwaite" to the Under Secretary of State " Dillon",op. cit. , 6th Oct. 1959, p. 694

(100) National Intelligence Estimate, N.O 11-12-62,Trends in Soviet Policy toward Sub-Saharan Africa, 5th Dec. 1962 , p. 7, See also P.R.F., FO 371/161679 JU 113138/2 (11240/2/3) letter from British Embassy with Moscow to FO, 2nd Mar. 1962.

الأول جاءت تقريبا حصريًا من المعسكر الشرقي السوفيتي، هذا ليس لأن غينيا رفضت المعونة الغربية، ولكن غينيا بعد خروجها من المجتمع الفرنسي 1958 طلبت تلك المساعدة مباشرة من الغرب، ولكنها لم تأت لا في شكل معونة اقتصادية أو حتى على هيئة اعتراف دبلوماسي، لذا توافد المعسكر السوفيتي إلى غينيا، وكانت النتيجة أن القرض الوحيد المهم الذي حصلت عليه غينيا – باستثناء ما حصلت عليه من دولة غانا[101] الحليفة[102] - هو 35 مليون دولار أمريكي قرض ذو فائدة منخفضة من الاتحاد السوفيتي،[103] لذا كانت إحدى

(101) بحصول غينيا على استقلالها من فرنسا، وانفصالها عن مجموعة الدول الفرانكفونيةالأفريقية، كان القائد الغاني كوامي نكروما فى مركز ليأخذ – و لو كان من الناحية الشكلية على الأقل – الخطوة القوية الأولى لتحقيق تطلعاته وطموحاته الخاصة بالولايات المتحدة الأفريقية، و جعلها واقع ملموس، ولذا قام بإقراض غينيا 10 مليون جنيه إسترليني في 24 نوفمبر سنة 1958، وكان هذا القرض مخصصا لمساعدة غينيا على التغلب على الصعوبات الناشئة عن التوقف المفاجئ لكل المعونات الاقتصادية والمالية الفرنسية،وقد يسر هذا القرض من إجراءات إنشاء الاتحاد بين غانا وغينيا، راجع:

-FRUS 1958-1960,Telegram from the Embassy in Ghana to the Department of State, July 3,1960, p.656,

(102)Oakess, John B., Op. Cit, p. 16

(103) FRUS 1958-1960, Volume XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs " Satterthwaite" to the Under Secretary of State " Dillon", Subject: Aid to Guinea,6th Oct. 1959,op. cit, p. 694, See also, National Security Council, N.S.C. 6005, U.S. Policy toward West Africa,29th Feb. 1960, p. 23, the New York Times, Bigrat, Homer, Soviet aid linked to Guinea change , 5th Mar. 1960, p. 3

أهداف استجابة سيكوتوري لزيارة موسكو في نوفمبر 1959 إقناع السوفيت لتسهيل شروط القرض الخاص بهم.[104]

واستمرارًا لهذا التعاون، أثناء قيام سيكوتوري برحلة في أغسطس 1960 استغرقت شهرًا لموسكو وبكين وهانوي، تم إصدار بيان مشترك في موسكو في أواخر أغسطس 1960 ليعلن سيكوتوري توقيع اتفاقية تعاون اقتصادي مع السوفيت لتمويل مشروع سدّ كونكوري الهيدروليكي، والذي كان يمثل أولوية كبرى لغينيا،[105] بالإضافة لإنشاء أربعة طرق سريعة تربط بين العاصمة الغينية "كوناكري" ومطارها،[106] وقد أسفر عن هذا التعاون بين الطرفين، أن البعثات الأوروبية التجارية التي كانت تنافس بعضها البعض في مباني الوزارات الحكومية المتعددة، كانت بعثات من أوروبا الشرقية وليست من أوروبا الغربية.[107]

وكما أسلفنا أصُيبت العلاقات بين الطرفين بنوبة من الانتكاسة، ولكن أسرع السوفيت بإنقاذ الموقف، وقاموا بتنفيذ ما طلبه سيكوتوري حفاظًا على النفوذ الذي شغلوه بعد خروج الفرنسيين، ومن ثمّ عادت العلاقات بين الدولتين، والزيارات المتبادلة بينهما وتوقيع الاتفاقيات مرة أخرى، ومن شواهد ذلك، بعد

(104) FO.371/138849 , Ju 11338/8, Letter from Commercial Department with British embassy in Paris to FO, 25th Nov. 1959

(105) **Synopsis of state and Intelligence material reported to the President**, 13rd Sep.1960 **,** see also, Decraene, Philippe, **Panafricanisme et grandes puissances/ Pan-Africanism and the Great powers, Civilisations**, Vol. 13, No. 4 (1963), p. 459.

(**106**) The New York Times, Schmidt, Dana Adams, "U.S. studies role of reds in Africa: experts find Soviet Bloc's economic aid to Guinea is pattern for Congo, 21st July 1960, p. 1.

(107)Oakess, John B., Op. Cit, p. 16

حادثة المعلمين بشهرين تقريبًا، أقام السوفيت المعرض الصناعي – الزراعي الروسي في كوناكري في الفترة من 20 إلى 26 يناير 1962، وقد تضمن هذا المعرض المنتجات الصناعية للأجهزة والراديو والتليفزيون والأدوات المنزلية واللعب والملابس، كما عرض أعمال غزو الفضاء التي قام بها الاتحاد السوفيتي.[108]

وذكرت صحيفة البرافدا السوفيتية خبر وصول وفد تجاري من غينيا إلى موسكو، بودابست، براغ، وبكين،[109]في 18 فبراير 1962 برئاسة وزير التجارة الغيني نافامارا كيتا، واستقبلهم في المطار باتوليشيف N.S. Patolichev- وزير التجارة الخارجية السوفيتي - وأورلوف A.L. Orlov نائب وزير الخارجية السوفيتي،[110]كما وقّع الطرفان اتفاقية لزيادة التعاون الاقتصادي والتقني بين البلدين متضمنة زيادة حجم التجارة بينهما.[111] كما كلفت البعثة بتجديد الاتفاقيات التجارية المبرمة مع هذه الدول، بما يوحى أن

(108) إيهاب زكى سرور،مرجع سابق، ص168.

(109) FO 371/161668, Ju 103138/9, Letter from British embassy with Conakry to FO, 13rd Feb. 1962

(110) FO 371/161679 Ju 113138/1 letter from British Embassy with Moscow to FO, 21st Feb. 1962

(111) تضمنت الاتفاقية أن تصدر غينيا للسوفيت البذور الزيتية، الموز، الأناناس، الزيوت العطرية والقهوة، وأن يصدر السوفيت لغينيا السيارات، المنتجات النفطية، الأسمدة، الأسمنت، الأخشاب، المنسوجات، السكر والصابون، وللمزيد يمكن مراجعة:

- FO 371/161679 JU 113138/2 (11240/2/3) letter from British Embassy with Moscow to FO, 2nd Mar. 1962.

غينيا كانت لاتزال تأمل في الحصول على مزيد من احتياجاتها من الكتلة الشرقية.[112]

واعتمدت غينيا على دول الكتلة الشرقية في الحصول على السلع الأساسية مثل البترول والزيوت والمواد الغذائية والسلع الاستهلاكية، ولكنها كانت تعاني من ضعف مواردها المالية للسداد. وهذا لا يعني أن دول الكتلة الشرقية تهاونت مع غينيا، بل إنها هددت بوقف المساعدات إذا تأخرت عن سداد الدفعات المستحقة بنهاية عام 1962 بموجب اتفاقيات القروض المختلفة. وسجّل السفير الأمريكي في غينيا هذا الإنذار.[113]

كثّف الجانب الغيني زياراته لدول الكتلة الشرقية حتى يظل محتفظًا بمساعداتها، حيث زار وفد غيني برئاسة كيتا نافامارا موسكو في أغسطس 1964 لطلب مساعدات للمشاريع الاقتصادية الغينية،[114] وبعدها مباشرة زار وفد حكومي وحزبي من الجمهورية الغينية موسكو يوم27 نوفمبر استمر حتى 6 ديسمبر 1964، وتناولت المباحثات مع بريجينيف سبل توطيد أواصر العلاقات بين البلدين، وأعرب الجانبان عن رضائهما عن نتائج التعاون التقني والاقتصادي " المثمر" السوفيتى الغيني،وقد هنأ الجانب السوفيتي الشعب الغيني بنجاحه في توجيه البلاد على طريق التنمية بعيدا عن الرأسمالية.[115]

(112)FO 371/ 161668, JU 103138/9, Letter from British embassy with Conakry to FO, 13rd Feb. 1962

(113) FO 371/161668, JU 103138/12, No 100,Telegram British embassy with Conakry to FO, 15th Sep. 1962

(114) FO 371/ 177193, JU 103138/5, Letter from British embassy with Moscow to FO, 4th Sep. 1964

(115) FO 371/177193, JU 103/38/9, Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, 9th Dec. 1964

وقد كشفت إحدى الوثائق البريطانية أن الغرض من هذه الزيارة كان استخراج المزيد من المساعدات من جعبة الروس،[116] ومن شواهد ذلك، تركز المباحثات على الشأن الاقتصادي، لتدعيم الديون الغينية المستحقة للاتحاد السوفيتي للحصول على فترة سماح لمدة ثلاث سنوات قبل البدء في تسديد المزيد من الالتزامات، وفترة سماح خمس عشرة سنة للسداد، هذا وقد وصلت سفينة سوفيتية محملة بحمولة كبيرة من سيارات النقل الثقيل،وتمّ تسليمها كدفعة أخيرة من ضمن 500 شاحنة وافق الروس على تمويلهم بها منذ فترة،[117]وفي أعقاب هذه الزيارة تمّ الاتفاق بين غينيا والسوفيت في فبراير عام 1965 على شراء السوفيت كميات كبيرة من خام الحديد والبوكسيت سنويًا. [118]

وفي ظلّ هذه العلاقات الاقتصادية النشطة بين غينيا والسوفيت، قام سيكوتوري بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتي في الفترة من 26 يوليو إلى 30 أغسطس 1965 تناول الطرفان فيها ضرورة زيادة تطوير العلاقات الاقتصادية بينهما في مجال الاقتصاد والثقافة ومجالات أخرى، [119]ونتيجة لهذه الجهود

(116) FO 371/177193, JU 103/38/6, Memorandum from British Embassy with Conakry to FO, 10th Dec. 1964
(117) FO 371/177193,JU 103/38/8, Memorandum from British Embassy with Conakry to FO, 14th Dec. 1964
(118) FO 371/182187,Ju 113/38/1, Telegram from British Embassy with Conakry to FO, 24th Feb 1965.
(119) FO 371/182190, JU 1631/3, No. 40 (10362/6/8), Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, 6th Aug. 1965

المبذولة من كلا الطرفين تمّ عمل سلسلة من التسهيلات المهمة في مجالات الصناعة، الزراعة، النقل، والمواصلات.[120]

وقد علّقت إحدى المذكرات الصادرة من السفارة البريطانية بموسكو إلى وزارة الخارجية البريطانية على زيارة سيكوتوري الأخيرة بقولها:" إن الروس تعهدوا برفض تقديم أية معونات جديدة لغينيا، لكنهم أفرجوا عن المعونات السابقة، والتي تمّ تجميدها نتيجة للخلافات بين البلدين في السنوات الأخيرة". ويقال أيضًا إنهم وافقوا على إعادة تمويل ديون قصيرة الأجل تكون مستحقة السداد في القريب العاجل.[121]واستمرارًا لزيارته للكتلة الشرقية، قام سيكوتوري بزيارة المجر في الفترة من 30 يوليو – 2 أغسطس 1965، وصرح سيكوتورى للصحافة بأن غينيا استفادت من المساعدات السوفيتية في بناء محطات الطاقة، وبهذه الزيارة الأخيرة حصلت غينيا على مزيد من المساعدات في موسكو".[122]

وتعقيبًا على زيارة سيكوتوري للمجر أبلغت هيئة الاستخبارات الاقتصادية بوزارة الدفاع البريطانية وزارة الخارجية البريطانية" أن بعثة تجارية غينية تجوب أوروبا الشرقية من أجل تجديد الاتفاقيات التجارية القائمة والتوسع فى تجارة غينيا". كما أضاف التقرير " أن الوفد ربما يطلب إعادة

(120) FO 371/182190, JU 1631/3 ,Joint Soviet- Guinean Communique, 1965

(121)FO 371/182190, JU 1631/3, No. 40 (10362/6/8), Memorandum from British Embassy with Moscow to FO, 6th Aug. 1965

(122)FO 371/182190,JU 1631/4, Despatch No. 31, Letter from British Embassy with Budapest to FO, 11st Aug. 1965

جدولة للديون المطلوب سدادها بالإضافة إلى المزيد من المعونات الاقتصادية. وهذا هو الهدف من زيارة مسيو سيكوتورى".[123]

ونتيجة لمؤامرة المعلمين توترت العلاقات بين غينيا والمعسكر السوفيتي، ولكنها تحسنت بمرور الوقت مرة أخرى وظلّت قوية حتى بداية السبعينيات، ووقتئذ انفتح سيكوتوري على المعسكر الغربي، ووطدت علاقاته بهذا المعسكر، ومن شواهد ذلك انضمام غينيا عام 1976 إلى اتفاقية لومي" " Lome التي تنظم العلاقات الاقتصادية بين 53 دولة من أفريقيا والكاريبي والباسفيك، وبين دول السوق الأوروبية المشتركة، ورأى المراقبون أن إجراء غينيا هذا يأتي في إطار تقاربها مع الغرب،[124] وعلّق سيكوتوري على تحرره من موسكو قائلًا: " إن العقائد الماركسية لا يمكن تطبيقها على الظروف الغينية".[125]

ممّا جعل أجهزة الإعلام الغربية تُردد أن "غينيا الثورة" بصدد التراجع، إن لم يكن قد تراجعت عن مواقفها السياسية، وأرجع الكتّاب الغربيون ذلك الخلاف الغيني السوفيتي جزئيًا إلى استياء غينيا من تزايد مديونيتها للاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية، حيث أشارت الإحصائيات إلى أن الديون الأجنبية لغينيا بلغت 1,2 مليار دولار، تدين بنصفها للبلاد الشيوعية، بالإضافة إلى الاستياء من أن الاتحاد السوفيتي كان يشتري " البوكسيت" الغيني بأقل من

(123) Ibid.

(124)محمد عيسى الشرقاوي، مرجع سابق،ص 186.

(125)New York Times , May, Clifford D., Toure is buried in tomb in Guinea: Dozen of envoys, including Bush, attend ceremony in a sports Stadium, 31st Mar. 1984, p.9

سعره في السوق العالمية بدعوى أنه من نوع ردئ، ففي الوقت الذي كان السوفيت يشترون البوكسيت الغيني بـ 6 دولارات للطن، كانوا يشترونه بـ 23 دولارًا من الشركات الأمريكية، وأخيرًا رغبة غينيا الملحة في الحصول على رؤوس الأموال الأجنبية اللازمة لاستثمار مواردها المعدنية[126] وبأفول الدور الفني والاقتصادي للمعسكر الشرقي في غينيا في السبعينيات، أصبح يقوم بهذا الدور الولايات المتحدة وغيرها من القوى الأوروبية الغربية، فالاستخدام البارع للدبلوماسية والتكنولوجيا من جانب الدول الرأسمالية الغربية أخذ من المعسكر الشرقي المميزات التي كان يتمتع بها يومًا ما في غينيا.[127]

وهكذا بعدما تطرقنا لتطور علاقات غينيا بالمعسكر السوفيتي على الصعيدين السياسي والاقتصادي، نجمل القول بأن العلاقات غلب عليها طابع القوة حتى أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين، ثمّ بعد ذلك شهدت أفول لينفرد المعسكر الغربي بالمشهد السياسي والاقتصادي في غينيا.

بعد نجاح استراتيجية المعسكر السوفيتي السياسية والاقتصادية تجاه الجمهورية الغينية في أعقاب فترة الاستقلال، حفّزه هذا لأن يطور علاقاته مع الدولة الغينية في الجوانب العسكرية والثقافية قبل أن يأتي الغرب وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، ممّا ترتب عليه تطور ملحوظ في العلاقات العسكرية والثقافية بين المعسكر السوفيتي وغينيا خاصة بعد حصول الأخيرة على استقلالها، فما ملامح ذلك.

(126) محمد عيسى الشرقاوي، مرجع سابق، ص 187.

(127) Cort , Leon Lioyd , Op. Cit, p. 138

ثالثًا:العلاقات العسكرية

الثاني من أكتوبر 1958 يوم له دلالته التاريخية في غينيا، ولما لا وهو اليوم الذي حصلت فيه غينيا على استقلالها، بعد تصويتها بالسلب على الدستور الفرنسي في 28 سبتمبر 1958، وأسفر ذلك عن سحب فرنسا لجميع الأسلحة والذخيرة التي كانت بحوزة القوات المسلحة أو قوات البوليس في غينيا،[128] وكذا منعت جميع المساعدات العسكرية التي كانت تتمتع بها غينيا، باعتبارها واحدة من الدول التي تشكل المجتمع الفرنسي في غرب أفريقيا.[129]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف واجه سيكوتوري ودولته المستقلة هذا التحدي الذي تبنته فرنسا ورئيسها ديجول؟ وهل قدّمت غينيا استجابة ناجحة؟

كانت سياسة سيكوتوري الخارجية قائمة على مبدأ الحياد في التعامل بين المعسكرين الشرقي والغربي، وهذا جعله يقيم لدولته علاقات سياسية وروابط اقتصادية وعسكرية مع أية دولة طالما أنه لا يوجد موائمات أو تنازلات مرتبطة بهذا الأمر،[130] لذا بعد التحدي الفرنسي ولّى سيكوتوري وجهه شطر الكتلة الشرقية، وانتهز السوفيت هذه الفرصة، وراحوا يتوددون

---

[135] إيهاب زكى سرور، مرجع سابق، ص 141.

(129) National Security Council, US Policy toward West Africa, N.S.C. 6005,
29th Feb.1960, p. 22

(130)Desroches, Christian, Op. Cit., p. 78

لغينيا لتوطيد العلاقات العسكرية معها، ووصلت تلك العلاقات لقمتها - على حد تعبير الخارجية الأمريكية - في هدية السلاح التشيكي لغينيا.[131]

الجدير بالذكر أن هذه الهدية يرجع تاريخها لنوفمبر عام 1958، عندما زار نائب وزير التجارة التشيكي جاروسلاف كوهوت Jaroslav Kohout غينيا، حيث أعطى الوفد التشيكي وعد شفوي بتزويد غينيا بالأسلحة والمستشارين العسكريين،[132] ولم يمر سوى شهرين على هذا الوعد حتى صوّت المكتب السياسي للحزب الشيوعي التشيكي KSC في فبراير 1959 لصالح تزويد الدولة الغينية بالأسلحة الخفيفة والزي العسكري اللازم لتجهيز 6 آلاف عسكري غيني.[133]

وبالفعل وصلت إلى غينيا في مارس عام 1959شحنتين من الأسلحة مجانًا من تشيكوسلوفاكيا،[134] لمساعدتها في تجهيز جيشها،[135]

(131) FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from Secretaryof State Herterto President Eisenhower, Subject: Proposed visit of the president of Guinea, 24th April 1959, p. 687

(132)Camara, Mohamed Saliou, Society and Politics in Africa, Vol . 23 : Political History of Guinea since World War Two, Peter Lang AG, New York, USA, 2014, p. 207

(133)Muehlenbeck, Philip, Czechoslovakia in Africa, 1945-1968, Palgrave Macmillan,UK, 2016, P. 101

(134) Landolo, Alessandro, Op. Cit., p. 691

(135) أشارت إحدى التقارير بصحيفة النيويورك تايمز الأمريكية في يوليو عام 1983 أن القوات المسلحة الغينية وقتئذ قُدّرت بـ 8500 رجل ، مجهزين بالأسلحة الصينية والتشيكوسلوفاكية والعربات المدرعة، و 9200 رجل من المقاومة " ميليشيا" الشعبية ، و800 رجل من القوات الجوية، بالإضافة إلى600 رجل من القوات البحرية. انظر:

واصطحب هذه الشحنة وفد دبلوماسي رسمي بقيادة نائب وزير الداخلية التشيكي كارل كليما Karel Klima،[136] وهذا ما أقره "فرانسيس هوريه" Francis Huré- القائم بالأعمال الفرنسي في كوناكري- في 23 مارس 1959، عندما أرسل برقية لوزارة الخارجية الفرنسية مفادها وصول طائرة روسية الصنع تحمل مجموعة من الفنيين التشيكيين إلى كوناكري، وتبع ذلك وصول سفينة تُدعى "ستيتين" Stettin،بدأت في تفريغ شحنة أسلحة تشيكية، [137]تضمنت عددًا من السيارات القديمة، ومدرعات، ودبابات، ودراجات نارية، وقطع مدفعية، [138]بالإضافة إلى معدات اتصالات لاسلكية،[139] وأتبع ذلك وصول 18 مستشارًا تشيكوسلوفاكيًا إلى كوناكري، واعتبر هوريه أن هذا إشارة للاعتماد على المعسكر السوفيتي.[140]

هذا ولم تتوقف الإمدادات العسكرية من المعسكر السوفيتي إلى غينيا، ففي بداية أبريل1959، وصلت إلى غينيا بحرًا شحنة أخرى صغيرة من السلاح والآليات العسكرية من تشيكوسلوفاكيا،[141] وطبقًا لاتفاقية التعاون الأمني بين

-The New York Times, **Lumumba For U.N. Ouster: Guinea and Ghana aid him,7th Aug. 1960**, p.1, See also, The New York Times **, ex-premier seizes power in Guinea ,**5th July 1985, p.1

(136)Muehlenbeck, Philip, Czechoslovakia in Africa, 1945-1968, op. cit., P. 101

(137) MacDonald , Mairi Stewart, Op. Cit., pp. 77,78

(138)Muehlenbeck, Philip, Czechoslovakia in Africa, 1945-1968, op. cit., P. 101

(139) MacDonald , Mairi Stewart, Op. Cit., pp. 77,78

(140) Landolo, Alessandro, Op. Cit., p. 691

(141)The New York Times, Raymond,Jack ,Rising red influences in Guinea Stir US Concern about Africa, 4th April 1959, p. 1.

غينيا وتشيكوسلوفاكيا،[142]صحِبَ هذه الشحنة جنرال تشيكي معه وفد عسكري لتسليم الأسلحة، وللبدء في تدريب الجيش على استخدامها،[143]واشتملت الشحنة على مدافع، بنادق، عربات مدرعة، وبهذا قدمت تشيكوسلوفاكيا خلال عام 1959 عتادًا حربيًا لتسليح الجيش الغيني يفوق حاجة الجيش الفعلية ، ومما يدلل على حجم هذه الأسلحة أن سيكوتوري ظل يومان في معسكرات الجيش يتفقد الهدايا التي وصلت من تشيكوسلوفاكيا.[144]

وبعد حصول غينيا على هذه الصفقة قام وزير الدولة لشئون الدفاع كيتا نافامارا Keita N' Famara وبصحبته واحد أو اثنين من ضباط الجيش بزيارة براغ في نهاية شهر يونيو 1959،[145]وبالتحديد 25 يونيه، واستمرت الزيارة حتى 15 يوليه 1959، وأسفرت عن توقيع اتفاقية عسكرية أخرى بموجبها سافر 58 جنديًا غينيًا للتدريب العسكري هناك.[146]وترجع أسباب الزيارة إلى أن تشيكوسلوفاكيا تداينت من غينيا رصيد ما بموجب اتفاقية المقايضة، ونظرًا لأن صادرات غينيا لها كانت أكبر مما صدرته هي إليها، قام نافامارا بزيارة إلى براغ لعمل الترتيبات اللازمة للاستفادة من هذا الرصيد

(142)Muehlenbeck, Philip, Czechoslovakia in Africa, 1945-1968, op. cit., P. 101

(143) FO 371/138825, JU 10338/15 , NO. 33 (1031/59), Letter from British embassy in Conakry to FO, Secret, 5th Sep. 1959

(144)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق ، ص164.

(145)FO 371/138825, JU 10338/15 , NO. 33 (1031/59), Letter from British embassy in Conakry to FO, Secret, op. cit.

(146)Muehlenbeck, Philip, Czechoslovakia in Africa, 1945-1968, op. cit., P. 101

الدائن، ووفقًا لذلك قام بالتفاوض وتوقيع اتفاقية تضمنت قطع غيار للأسلحة وطلبيات أزياء عسكرية، ومعدات رياضية لحركة شباب غينيا ...إلخ.[147]

وبشكل علني استعرض الجيش الغيني الأسلحة التشيكية أثناء عرض عيد الاستقلال في أكتوبر 1959، حيث ظهرت أربع سفن سوفيتية لإضفاء العظمة على الاحتفال، وظهر عليها بوضوح عبارة "صنع في تشيكوسلوفاكيا"،[148]ولم يكن الأمر مقتصرا على الأسلحة فقط، بل ذكرت إحدى تقارير وزارة الخارجية الأمريكية أن المستشارين الرئيسيين لوزارة الدفاع في غينيا حتى أكتوبر 1959 أتوا من خلف الستار الحديدي.[149] وفي عام 1960 قامت تشيكوسلوفاكيا بتوقيع اتفاقية مع غينيا لإنشاء مدرسة للبوليس في كوناكري.[150]

ومن براغ إلى موسكو كانت العلاقات العسكرية مع غينيا أكثر قوة،حيث تمتعت موسكو بنفوذ قوي في غينيا منذ استقلال الأخيرة في أكتوبر 1958،[151] ومن شواهد ذلك إرسال السوفيت كميات من الأسلحة تضمنت مدافع مضادة للطائرات، وعربات مدرعة لنقل الجنود،وأسلحة المشاة، كما قام

(147)FO 371/138825, JU 10338/15 , NO. 33 (1031/59), Letter from British embassy in Conakry to FO, Secret, op. cit.

(148)TheNew York Times ,Oakess, John B., Guinea Shuns tie to world blocs, 25th Oct. 1959.

(149) FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs "Satterthwaite" to the Under Secretary of State " Dillon", Subject: Aid to Guinea,6th Oct. 1959,op. cit, p.,694

(150)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق ، ص164.

(151) National Intelligence Estimate, NIE 11-10-76, No.,414, Soviet Military Policy in the Third World,21th Oct. 1976, p. 28

السوفيت وتشيكوسلوفاكيا بوضع برامج تدريب عسكري للقوات المسلحة الغينية،[152] وتقديم بعض الأسلحة لقوات سيكوتوري، وقدرت بـ: 3500 مسدس مترليوز و7000 بندقية صغيرة طراز سيمونوف Simonof.[153]

كما كشفت صحيفة النيويورك تايمز في ديسمبر 1960 بأن الحكومة البرتغالية أرسلت تقريرًا لحلفائها الغربيين يفيد بأن الاتحاد السوفيتي وقّع اتفاقية مع غينيا لإنشاء قاعدة للغواصات والمنشآت الإذاعية المهمة في غينيا على ساحل غرب أفريقيا، ويأتي هذا في إطار اتفاقية تم توقيعها سرًا في سبتمبر 1960، وأضافت الصحيفة بأن أجهزة الاستخبارات البرتغالية حصلت على معلومات تختص بالتوسع الشيوعي في غرب أفريقيا، وأشارت إلى أنه في الفترة ما بين 14 – 16 نوفمبر لعام 1960 وصلت سفينة سوفيتية إلى ميناء كوناكري محملة بكمية كبيرة من الأسلحة، وقامت بتفريغها ليلًا، بل سافر مائتي غيني للدراسة في الأكاديميات العسكرية السوفيتية، بالإضافة إلى مائة وثمانين آخرين ليتم تدريبهم في المجالات غير العسكرية، مثل المجالات الإدارية والفنية، في الاتحاد السوفيتي.[154]

وكشفت مصادر برتغالية عام 1960 أن نظام سيكوتوري اليساري فتح أبواب غينيا لمائة وخمسة وستين فني سوفيتي وتشيكوسلوفاكي وصيني شيوعي ، وتشير المصادر أنهم كانوا خمسة وسبعون تشيكيًا، وخمسة

(152)Tatum, Dale C., who influenced whom? Lessons from the Cold War, University press of America, 2002,P.,84.

(153)إيهاب زكى سرور، مرجع سابق، ص164.

(154) The New York Times ,Welless ,Benjamin, Guinea Said to Give Soviet a Navy Base, 8th Dec. 1960, pg. 1.

وعشرون روسيًا، وخمسة وستون صينيًا شيوعيًا.[155]وأثناء قيام وزير التجارة الغيني بصحبة وفد غيني بزيارة موسكو، بودابست، براغ، بكين في 9 فبراير 1962، كُلفت البعثة بتجديد الاتفاقيات التجارية المبرمة مع هذه الدول- مما يوحى بأن غينيا مازالت تأمل على الأقل فى الحصول على بعض احتياجاتها من الكتلة الشرقية-[156] وتم توقيع اتفاقية للمساعدات الاقتصادية والتقنية بين غينيا والاتحاد السوفيتي تضمنت جزءًا عسكريًا منها تزويد الهيئات الغينية في بناء مطار كوناكري، وحظيرة لتصليح للطيران المدني.[157]

وقد ذكرت إحدى التقارير المخابراتية الأمريكية أن السوفيت قاموا بتوسيع نشاطاتهم باستخدام الارتباطات بالخدمات الجوية المدنية، فتمّ تزويد غانا وغينيا ومالي بالطائرات السوفيتية والتشيكية، وكذلك الأطقم وعمليات الصيانة، التي تم استبدالها بالأطقم الوطنية، ولكن بالتدريب من قِبل التقنيين السوفيت.[158]ونتيجة لهذا النفوذ السوفيتي وصل عدد العسكريين الغينيين الذين تدربوا في الكتلة السوفيتية حتى يونيو 1962 ثمانين غينيا ، منهم 40 تدربوا على الأقمار الصناعية في أوروبا الشرقية، وفي الفترة من سبتمبر 1955 إلى يونيو 1962 حصلت غينيا على مساعدات من الكتلة السوفيتية احتوت على 36

(155) The New York Times , Welless, Benjamin, op. cit.

(156)FO371/161668, Ju103138/9, (1031/62), 1etter from British Embassy with Conakry to FO, 13rd Feb. 1962

(157)FO 371/161679 Ju 113138/2 (11240/2/3) letter from British Embassy with Moscow to FO, 2nd March 1962

(158) National Intelligence Estimate, NO 11-12-62, Trends in Soviet Policy toward Sub-Saharan Africa, 5th Dec. 1962, p.7

قطعة مدفعية، 25 ناقلة للجنود المسلحين، 5 أسلحة للدفاع عن النفس، 115 مركبة، 25 ألف قطعة من الأسلحة الصغيرة.[159]

وأوضح تقرير مخابراتي آخر أنه خلال فترة الستينيات حتى بداية عام 1970 تمتع السوفيت بتسهيلات عسكرية كبيرة في غينيا، فاحتفظوا بوجود بحري دائم قبالة كوناكري، بل واستخدام الميناء، بالإضافة إلى أن كوناكري كانت منفذًا لدخول الأسلحة السوفيتية للمتمردين– على حد قول التقرير الأمريكي- في غينيا بيساو قبل أن تحصل الأخيرة على استقلالها من البرتغال،كما أن كوناكري كانت بمثابة نقطة انطلاقة لعمليات النقل الجوي السوفيتية لأنجولا، وقيل إن السوفيت كانوا يسعون لإنشاء قاعدة لهم فى كوناكري ، ولكن غينيا رفضت المساعي السوفيتية.[160]

كانت سياسة سيكوتوري الأفريقية – كما أسلفنا سابقًا - تقوم على أساس مساعدة حركات التحرر الأفريقية لحصول جميع الدول الأفريقية على استقلالها، ومن ضمن ذلك غينيا بيساو، فقام بمساعدة كابرال وخلفاءه في نضالهم من أجل تحرير شعب غينيا بيساو، لذا أقول إن هؤلاء ليسوا متمردون كما وصفهم التقرير الأمريكي، ولكنهم وطنيون أرادوا تحرير أوطانهم من نير الاستعمار البرتغالي.

وخلال النصف الأول من السبعينيات ازداد التعاون بين سيكوتوري والسوفيت، وقد كان هذا واضحًا بصفة خاصة عندما سمح للطائرات السوفيتية التي تحمل القوات الكوبية إلى أنجولا وإثيوبيا بالهبوط والتزود بالوقود في

(159)Ibid, p. 15

(160) National Intelligence Estimate,NIE 11-10-76, No.,414, Soviet Military Policy in the Third World,21 October 1976,p. 28.

غينيا،[161] بالإضافة إلى أن غينيا استقبلت كميات كبيرة من شحنات الأسلحة السوفيتية قُدرت بـ 40 مليون دولار أمريكي في الفترة من 1966- 1975، موزعة كما هو موضح بالجدول التالي.[162]

السنة	1970-1966	1975 -1971	الإجمالي
المساعدات العسكرية بالمليون دولار	4	36	40

كما تزايد عدد الفنيين العسكريين من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي لغينيا منذ مطلع السبعينيات، والجدول التالي يوضح ذلك .[163]

السنة	1970	1971	1972	1973	1974	1975
عدد الخبراء العسكريين	65	80	110	110	110	110

انعكس أفول العلاقات السياسية والاقتصادية بين غينيا والمعسكر السوفيتي منذ النصف الثاني من السبعينيات على العلاقات العسكرية بين غينيا والكتلة السوفيتية، حيث نشب خلاف بين غينيا والاتحاد السوفيتي بلغ ذروته عام 1977، برفض غينيا منح الاتحاد السوفيت أية تسهيلات جوية أو حق إقامة

(161)Cort,Leon Lioyd, Op. Cit., p. 137.

(162) الجدول من عمل الباحث استنادا على تقديرات المخابرات الوطنية الأمريكية سنة 1976: National Intelligence Estimate, NIE 11-10-76, No.,414,
Soviet Military Policy in the Third World , Op. Cit., p. 9

(163) الجدول من عمل الباحث استنادا على تقديرات المخابرات الوطنية الأمريكية عام 1976: Ibid, p. 12

قاعدة جوية في أراضيها، كما رفضت أن يستخدم السوفيت مطاراتها في طلعات استطلاعية فوق منطقة المحيط الأطلنطي.[164]

كانت التسهيلات المشار إليها قد حصل عليها السوفيت بموجب اتفاقية تمت بينهم وبين غينيا، مفادها السماح للطائرات الروسية باتخاذ غينيا كمنطقة ترانزيت لنقل القوات الكوبية إلى أنجولا وأثيوبيا، وأن تهبط هذه الطائرات في الأراضي الغينية للتزود بالوقود، وكان لهذه الاتفاقية دورًا كبيرًا في ازدياد الوجود الكوبي في غينيا، حيث وُجد عدد كبير من العسكريين الكوبيين الذين تمركزوا في البلاد، وبعدما تمّ إلغاء هذه الاتفاقية مع الاتحاد السوفيتي تقلص عدد الكوبيين في غينيا عام 1978.[165]

الجدير بالذكر أن نظام سيكوتوري قام بإلغاء هذه الاتفاقية بعدما اكتشف أن السوفيت كانوا يستخدمون التسهيلات التي تقدمها لهم الحكومة الغينية في مراقبة سفن حلف الناتو في وسط المحيط الأطلنطي وشماله، ومع ذلك استمر سيكوتوري في التعامل مع السوفيت على أساس احترام السيادة والثقة والمصلحة المتبادلة.[166]

ومنذ ذلك الحين بدأ نظام سيكوتوري يكون أكثر انفتاحًا على المعسكر الغربي، ممّا جعل المراقبين والكتّاب الغربيين، تصوير المصالحة السياسية بين غينيا والولايات المتحدة من جهة وغينيا وفرنسا من جهة أخرى على أنها تمثل

(164) محمد عيسى الشرقاوي، مرجع سابق، ص 187

(165)Cort,Leon Lioyd, op. cit. p. 126, See Also, The New York Times , Rosanne Klass and Barbara Slavin , The World, Guinea's door opens Westward, 24th Dec. 1978, p. E2

(166)Cort, Leon Lioyd, Op. Cit. p. 137.

عودة غينيا إلى ساحة العالم الغربي، وأن سيكوتوري الذي قال لفرنسا "لا" عام 1958 قد وافق بعد عشرين عاما على أن يقول " نعم" على حد تعبير صحيفة "الجارديان" البريطانية في 29 ديسمبر 1978.[167] في إشارة لانفتاح غينيا على الكتلة الغربية.

وهكذا بعدما رأينا تطور العلاقات العسكرية بين الكتلة السوفيتية وغينيا منذ استقلال الأخيرة حتى منتصف السبعينيات، ثم أفول هذه العلاقات لتصبح أكثر انفتاحًا على الكتلة الغربية منذ الربع الأخير من السبعينيات، نتطرق إلى تطور العلاقات الثقافية بين الكتلة السوفيت وغينيا.

رابعًا: العلاقات الثقافية

على نسق التعاون بين غينيا والمعسكر السوفيتي في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، امتد هذا التعاون للعلاقات الثقافية أيضًا، فبعدما حصلت غينيا على استقلالها من فرنسا في أكتوبر 1958، سحبت فرنسا جميع مستشاريها من كوناكري، وبناء عليه طلب سيكوتوري مستشارين من الولايات المتحدة ، لكن أيزنهاور ووزارة الخارجية الأمريكية لا يرغبون إغضاب الرئيس ديجول وفضّلوا الانتظار، وفي حقيقة الأمر انتظرت إدارة أيزنهاور انتظارًا طويلًا، مما جعل الجمهورية الجديدة "غينيا" أن تتغلب على هذا التحدي، بتولية وجهها شطر موسكو، فطلبت منها المساعدة، وعلى الفور استجاب السوفيت، ووصل خبراؤهم إلى كوناكري.[168]

(167) محمد عيسى الشرقاوي، مرجع سابق، ص 187.

(168) Los Angeles Times, Pearson, Drew, US beats out reds in Guinea,28th Oct. 1963,p.A6

انتهزت كوناكري استجابة السوفيت لبعثة النوايا الحسنة التي أرسلتها إلى موسكو في سبتمبر 1959، وقامت بتوقيع اتفاقية تضمنت مائة منحة دراسية لطلاب غينيا،(169) وبالفعل خلال شهر أكتوبر توجه ثلاثون طالبا غينيا لدول الكتلة السوفيتية، للحصول على منح دراسية في مجالات الزراعة والطب والتقنية التي تقدمها الكتلة، وتمّ توزيعهم كالتالي: توجه خمسة طلاب إلى صوفيا Sofia وعشرة إلى موسكو وخمسة عشر إلى براغPrague، هذا بالإضافة إلى عشرين آخرين سابقين، وكان من المقرر أن يتوجه خمسون آخرون بعض منهم صوب ألمانيا الشرقية ليصبح إجمالي عدد المسافرين لمثل هذه المنح الدراسية مائة طالب.(170)

وعلى الجانب الآخر استوعبت غينيا الآلاف من الفنيين من الكتلة السوفيتية،(171)خاصة من ألمانيا الشرقية وبولندا والتشيك، وقاموا بإنشاء محطة إذاعية تحمل صوت غينيا إلى كل أنحاء أفريقيا،(172) وتُدعى راديو كوناكري الذي كان يمثل – في غياب وجود صحافة يومية- المصدر الرئيس للمعلومات في غينيا، وكان القائمون على التقنيات والأمور الفنية به تشيكيين.(173)

(169) FO 371/138825, JU 10338/15 , NO. 33 (1031/59), Letter from British embassy in Conakry to FO, Secret, 5th Sept. 1959

(170) FO 371/138849 ,JU 11338/5, NO. 33, Guinea relations with Soviet Bloc, 9th Oct. 1959

(171)Amin, Julius A.,Op.Cit.,P.,201

(172)The New York Times, Schmidt, Dana Adams, "U.S. studies role of reds in Africa: experts find Soviet Bloc's economic aid to Guinea is pattern for Congo, 21st July 1960, p. 1.

(173)FRUS 1958-1960, Vol. XIV, Memorandum from the assistant Secretary of State for African Affairs " Satterthwaite" to the Under

وأثناء وجود المندوب الغيني في بكين للاحتفال بالذكرى السنوية لها، قام بتوقيع اتفاقية ثقافية مع الحكومة الصينية للتبادل الثقافي بين البلدين،(174) وبمقتضاها أيضًا أنشئت الصين مراكز ثقافية ضمّت المئات من الخبراء الصينيين،(175)هذا وقد أهدى التشيك الحكومة الغينية وحدة كاملة للجراحة المتنقلة في أكتوبر 1959.(176)

أضف إلى ذلك ما أسفرت عنه الزيارة التي قام بها سيكوتوري للاتحاد السوفيتي في نوفمبر 1959 من توقيع اتفاقية تعاون ثقافي بين البلدين لتطوير التعاون الثقافي والعلمي بينهما،(177)حيث قررا تبادل الخبراء في مجالات الأدب، الفن، العلوم، والخدمات الصحية والرياضة، بالإضافة إلى إرسال المعلمين الروس إلى غينيا للعمل بكافة مراحل التعليم الثانوي والفني والجامعي.(178)

ونتيجة للتعاون الثقافي بين المعسكر الشرقي وغينيا، كشفت السفارة البريطانية بموسكو أن ثلاثين طالبا سوفيتيا من مرحلة الدراسات العليا تم اختيارهم للذهاب للتدريس بمدارس التعليم الثانوي في غينيا، هؤلاء الطلبة جاء

Secretary of State " Dillon", Subject: Aid to Guinea,6th Oct. 1959,Op.Cit, p. 694

(174) FO 371/138849 ,JU 11338/5, NO. 33, Guinea relations with Soviet Bloc, 9th Oct. 1959

(175)The Times, Wolfers,Michael, Guinea's vital self reliance, 24th Nov. 1970, pg. 12, Issue 58031.

(176) FO 371/138849 ,JU 11338/5, NO. 33, Guinea relations with Soviet Bloc, 9th Oct. 1959

(177)FO371/138825, Annex II, USS.R. Guinea cultural cooperation agreement, 26th Nov. 1959

(178)FO371/138825, JU 10338/20, No. 1648, Addressed Telegram from Moscow to FO, 28th Nov. 1959

تخصصهم كالتالي:"10 من قسم الرياضيات ، 10 كيميائيين، 10 فيزيائيين" وذلك للعمل في غينيا، وجميع هؤلاء الطلبة الثلاثون كانوا من متحدثي اللغة الفرنسية،[179]ومن الحاصلين على دورات تدريبية في اللغة الفرنسية.[180]

أضف إلى ذلك وقعت كلًا من غينيا والاتحاد السوفيتي في 3 مارس 1960 بروتوكول تقدم موسكو بمقتضاه – ضمن أشياء أخرى اقتصادية- مساعدة فنية لغينيا خلال الفترة من 1961 إلى 1963، وتضمن البروتوكول المساعدة في التنقيب الجيولوجي، وبناء معهد للعلوم التطبيقية، واستاد رياضي ضخم،[181] شبيه بالاستاد الذي أنشأه السوفيت في جاكارتا بأندونيسيا،[182] وبعد توقيع الاتفاقية دفع السوفيت 35 مليون دولار أمريكي لغينيا كقرض.[183]

وفي 14 أبريل 1962،تمّ توقيع اتفاقية أخرى بين غينيا والسوفيت تتعلق بالتعاون الثقافي بينهما خلال عام 1962 ، وكان من أهم بنودها توفير

---

[179]الجدير بالذكر أن اللغة الفرنسية كانت السائدة في نظام غينيا التعليمي ، ويرجع تمسك سيكوتوري في الحفاظ على اللغة الفرنسية، لغة المستعمر؛ لأنه كان يتطلع إلى وحدة وطنية من أجل تجنب النزاعات التي قد تنشأ على اختيار واحدة من اللغات العرقية، حيث توجد عشرون لغة في البلاد، ولكن اللغة الفرنسية كانت اللغة السائدة بين المشترين والبائعين، وهي اللغة الرسمية في البلاد، بل نجد أن جميع الوثائق كانت تكتب باللغة الفرنساوية. لمزيد من التفاصيل انظر:

- Oyler ,Dianne White, ACultural Revolution in Africa: Literacy in the Republic of Guinea since Independence,**The International Journal of African Historical Studies**, Vol. 34, No. 3 (2001),P.,587

(180)FO371/138825, Ju 10338/23, (10362/8/12), Letter from British Embassy with Moscow to FO, 8th Dec. 1959

(181)Tevoedjre, Eric, op. cit., p. 137.

(182) Natufe, O. Igho, Op. Cit., p. 262.

(183)Tevoedjre, Eric, op. cit., p. 137.

مدرسين للمدارس والكليات بغينيا، واستقبال الطلاب الغينيين للدراسة في الاتحاد السوفيتي.[184]

وكانت أهم النتائج التي أسفرت عن هذه الاتفاقيات الثقافية بين الطرفين وصول عدد الطلبة الأكاديميين الغينيين الذين درسوا في الكتلة السوفيتية بشكل عام إلى 410 طالبًا أكاديميًا في الفترة من يناير 1956 إلى يونيو 1962 ، احتضنت موسكو وحدها 210 طالبًا غينيًا، أي أكثر من نصف العدد الإجمالي.[185]

كما ذكرت صحيفة " لوس أنجلوس تايمز"**Los Angeles Times** في أكتوبر 1963 بأن غينيا احتضنت حوالي ألف ومائتي خبير شيوعي من روسيا وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبلغاريا والصين الشيوعية، وأنشئوا كل ما يمكن تخيله من متطلبات المجتمع الحديث من المستشفيات حتى محطات الإذاعة، ووضعوا مكبرات للصوت لبث الإذاعة في الميادين العامة.[186] وفي ديسمبر 1964 استعاد الروس التفاؤل الذي كان قد سبق وأن فقدوة بشكل بارز منذ عام 1962، نتيجة أزمة المعلمين، ومن شواهد

(184)FO 371/161668, Ju103138/10, (1031/62),No 22, 1etter from British Embassy with Conakry to FO, 25th April 1962

(185) **National Intelligence Estimate**, NO 11-12-62**,** Trends in Soviet Policy toward
Sub-Saharan Africa, 5th Dec. 1962, p. 16

(186) Los Angeles Times, Pearson, Drew, US beats out reds in Guinea, ,28th Oct. 1963,p.A6

ذلك افتتاح المعهد الفني الصناعي والاستاد الذي قامت روسيا بإنشائهما منذ فترة وجيزة مكنتهم من استعادة مكانتهم في غينيا بشكل كبير.[187]

الخاتمة:

ونستخلص من علاقات غينيا بالمعسكر السوفيتي سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي، بأن هذه العلاقات جميعها مرت بمراحل متشابهة إلى حد ما، فابتدأت - بعد حصول غينيا على استقلالها في أكتوبر 1958- بالقوة والنضج والازدهار، ثم انتكست بنهاية عام 1961 نتيجة أزمة المعلمين، ثم بدأت تعود لمجاريها مرة أخرى منذ النصف الثاني من الستينيات، ولكن شابها الحذر من جانب سيكوتوري، ثم أخذت في الأفول في منتصف السبعينيات نتيجة انفتاح سيكوتوري على المعسكر الغربي، وتوطيد علاقاته بالدول الأفريقية المحافظة. وتمّ السبق والتغلغل السوفيتي في غينيا في جميع المجالات، وهذا حفّز الولايات المتحدة لأن تضع استراتيجية تستطيع من خلالها أن تواجه وتعرقل النفوذ الشيوعي في غينيا، وفي نهاية المطاف نجحت الاستراتيجية الأمريكية التي استطاعت أن تسترد كوناكري منذ منتصف السبعينيات إلى أحضان المعسكر الغربي مرة أخرى، بعدما ظلت سنوات عديدة تدور في الفلك السوفيتي.

(187) FO 371/177193, JU 103/38/6, Memorandum from British Embassy with Conakry to FO, 10th Dec. 1964

النشاط السياسي لبشير السعداوي (1948 – 1951م) وإسهاماته في استقلال ليبيا

■ د. جميلة مفتاح الجنزوري
■ أ. عزيزة سليمان أقجام
كلية الآداب.قسم التاريخ. جامعة بنغازي

الملخص:

في سنة 1943م هُزمت ايطاليا على يد الحلفاء وطردت من ليبيا فحكمت ليبيا عن طريق بريطانيا التي أقامت بها نظام إدارياً أعطت فيه قدراً كبيراً من الحرية والنشاط السياسي لليبيين وبمرور الوقت بدا الليبيون يتطلعون إلي الاستقلال والوحدة ، حيث مرت ليبيا بمخاض عسير قُبيل الاستقلال بسبب اختلاف في وجهات النظر بين الأحزاب في إقليم طرابلس (الحزب الوطني ، الكتلة الوطنية الحرة ، المؤتمر الوطني الطرابلسي .....) وبين أحزاب برقة (الجبهة الوطنية البرقاوية ، رابطة الشباب الليبي ، المؤتمر الوطني البرقاوي ....) حول كيفية هذا الاستقلال وشكل الدولة وأسلوب الحكم ، فظهرت شخصيات وطنية حملت على عاتقها توحيد الجهود الوطنية بجميع أطيافها وأفكارها والمطالبة باستقلال ليبيا ووحدة ترابها فكان بشير السعداوي أبرز تلك الشخصيات الوطنية التي خاضت في تلك الفترة كل التحديات الداخلية والخارجية لتحقيق حلم الاستقلال وجعله موجود على أرض الواقع .

الكلمات المفتاحية : النشاط ، السياسي ، بشير السعداوي ، استقلال، ليبيا

Abstract:

In 1943, Italy was defeated by the Allies and expelled from Libya.

Britain, which established an administrative system in which it gave a great deal of freedom and political activity to the Libyans, and over time the Libyans seemed to aspire to independence and unity, as Libya went through difficult labors before independence due to a difference in views between the parties in the Tripoli region (the National Party, the Free National Bloc, the Congress The National Tripoli...) and the Barqawi parties (the Barqawi National Front, the Libyan Youth League, the Barqawi National Congress...) about how this independence,

And the shape of the state and the style of governance, so national figures emerged who took upon themselves the unification of national efforts with all its sects and ideas, and to demand the independence of Libya and the unity of its soil.

Key words: Activity, politician, Bashir El Saadawi, independence, Libya.

المقدمة:

يعد السعداوي من ابرز الشخصيات التي تمتعت بمكانة سياسية بارزة في تاريخ ليبيا طيلة النصف الأول من القرن العشرين حيث لعب دوراً كبيراً في حركة المقاومة ضد الاستعمار الايطالي في داخل البلاد أو خارجها

بشير السعداوي

ولم يترك فرصة تمر في المحافل الدولية إلا وكانت قضية استقلال ليبيا حاضرة لديه ، فوقف في وجه الأطماع الايطالية وفكرة عودتها إلي ليبيا .

ومن هنا حرص بشير السعداوي على مقاومة الأطماع الاستعمارية بمختلف الوسائل وبذل قصارى جهده في إخماد الفتن وايقن حازماً أن ذلك الاستقلال لن يتحقق إلا بعرض قضية ليبيا في أروقة الأمم المتحدة وتحقيق وحدة الصف الوطني تحت قيادة وطنية تسعى جاهدة للوصول إلي وحدة ليبيا واستقلالها.

يهدف هذا البحث إلي تسليط الضوء على الدور الوطني الكبير الذي لعبه بشير السعداوي في مقاومة مخططات ايطاليا، ونحاول هنا إن نطرح بعض التساؤلات التي تحتاج إلي إجابات علمية وموضوعية و ستكون هذه الأسئلة كالأتي : من هو بشير السعداوي وما العوامل التي أدت إلي تكوينه ونضوجه السياسي ؟ كيف كان نشاط بشير السعداوي خلال فترة عمل لجنة

الاستفتاء الدولية عام 1948م ؟ ما دور بشير السعداوي في عرض قضية ليبيا في أروقة الأمم المتحدة 1949م ؟ كيف حاول بشير السعداوي توحيد الجبهة الوطنية الداخلية عام 1948م ؟ كيف أستطاع بشير السعداوي التأثير على مجلس للاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا ؟ ما هو الدور الذي لعبه بشير السعداوي في حصول ليبيا على استقلالها عام 1951م ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها سُيجيب عنها هذا البحث الذي اعتمدنا في إعداده على عدد من الوثائق المنشورة وبعض المصادر والمراجع والدوريات.

وتم تقسيم البحث إلى المحاور التالي :

أولا :. الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل مجيء بشير السعداوي .

ثانياً : بشير السعداوي و العوامل التي أدت إلي تكوينه ونضوجه السياسي.

ثالثاً: نشاط بشير السعداوي خلال فترة عمل لجنة التحقيق الدولية عام 1948م وموقفه منها.

رابعاً: بشير السعداوي والقضية ليبيا في أروقة الأمم المتحدة 1949م .

خامساً : بشير السعداوي وموقفه من استقلال برقة في 1 يونيو 1949 م.

سادساً: الدور الذي لعبه بشير السعداوي في إعلان الاستقلال ليبيا عام 1951م.

وسوف تكون هذه هي المحاور الرئيسة للبحث التي نسلط فيها الضوء على دور السعداوي في هذه المرحلة المهمة في تاريخ ليبيا منذ الحرب العالمية الثانية حتى حصول ليبيا على الاستقلال ، وسنتطرق في بحثنا إلي

نهاية صفحات نضال هذا الرجل الذي خدم بلده وقضيتها ، وانتهت مسيرته النضالية بوفاته خارج تراب ليبيا الذي ضحى من اجلها بكل ما يملك حيث نُفي سنة 1952 م في لبنان، وظل بشير السعداوي يعيش في منفاه حتى توفي عام 1957 م عن عمر يناهز 74 سنة ، ورجع رفاته بعد ذلك إلى تراب الوطن عام 1970 م ليدفن في مثواه الأخير في مقبرة الشهداء في طرابلس .

أولا : الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل مجيء بشير السعداوي

نشطت الحركة السياسية في ليبيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية واحتلال قوات الحلفاء للبلاد ، و قد وضعت الأقاليم الليبية الثلاثة طرابلس وبرقة وفزان تحت حكم الإدارة العسكرية البريطانية والفرنسية ، ومن المعلوم أن الأوضاع العامة التي كانت تعيشها هذه الأقاليم لم تكن في مستوى واحد من حيث الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فقد كان إقليم طرابلس أكثر حظاً من حيث الاستقرار والكثافة سكانية من بقية الأقاليم الأخرى ، كما كان أكثر نضجاً في الوعي السياسي ويرجع ذلك إلى الاستقرار المبكر الذي شهدها هذا لإقليم ، منذ ظهور المؤسسات التعليمية ، وانتشار الصحافة ،وارتفاع نسبة المتعلمين به سواء في المدارس المحلية أو المؤسسات التعليمية بالخارج.

أما إقليم برقة فقد عانى كثيراً من الانهيار الاقتصادي بسبب الحروب والجفاف الذي عم الإقليم بأكمله ، غير أنه من الناحية السياسية والاجتماعية كان أكثر ترابطاً وتجانساً وولاءً للأمير محمد إدريس السنوسي ،

الذي برز دوره السياسي في فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعد الحرب العالمية الثانية . [1]

بينما عانى إقليم فزان كثيراً من العزلة ، والفقر الشديد ، وقلة الكثافة السكانية مقارنة بالإقليمين السابقين ، وعملت الإدارة الفرنسية على عزله عن باقي الأقاليم ، ورغم ذلك فقد ظهرت جمعية سرية فزانية خلال سنة 1947م برئاسة الشيخ عبد الرحمن البركولى ، غير أن السلطات الفرنسية ألقت القبض على أعضائها وتوقف نشاطها عام 1947م . [2]

لقد كان لانتهاء الحرب العالمية الثانية أثر كبير في استقرار الوطن وعودة الآلاف من الليبيين إلى بلادهم ، الذين تحصل اغلبهم على فرصة التعرف على الكثير من المناشط السياسية التي كانت تعيشها بلدان مهجرهم سواء في مصر أو بلاد الشام و الرافدين ، أو في بلاد المغرب العربي وغيرها من الدول الأخرى ، وشهدت الفترة الواقعة ما بين (1943-1951م) عودة أغلب العناصر الوطنية من المهجر التي تمكنت من المساهمة في الأنشطة السياسية والثقافية ، حيث كان بين هؤلاء المهاجرين العائدين طائفة من الشباب الذين شاركوا في الحياة الثقافية والاجتماعية في الدول المهاجرين إليها، فلما عادوا التقوا بإخوانهم الذين عانوا الاستعمار الايطالي وملء نفوسهم التطلع إلى إزالة كل أثر من أثار الاستعمار الايطالي وإبطال كل ما عسى أن يدبره المستعمر الجديد من كيد أو يقيمه من عراقيل ، فالتقت مشاعر هؤلاء العائدون

1 - محمود الشنيطي ، قضية ليبيا ، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة ، د.ت) ، ص259-360.

2 -محمد عثمان الصيد ، محطات في تاريخ ليبيا (مذكرات محمد عثمان الصيد رئيس الحكومة الليبية الأسبق ، ، نشرها طلحة جبريل (الرباط ، 1996م)، ص 34.

ومشاعر أولئك ومضوا جميعاً يشقون طريقهم نحو الغاية وهي الاستقلال ووحدة ليبيا وكان أول ما أجمعوا عليه إنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية التي كانت تقام فيها الأمسيات الشعرية والصحف [3].

وبالطبع فإن الشريحة المهمة من هؤلاء المواطنين هم الشباب المتعلمون الذين استفادوا من الحراك السياسي بتلك الأقطار وعملوا بدورهم على إذكاء الروح الوطنية ونشر روح المقاومة وعدم الرضوخ للاستعمار مهما تعددت أشكاله واختلفت دوله .وبالطبع فإن ذلك لم يكن يرضى سلطات الإدارة البريطانية في طرابلس وبرقة، وسلطات الإدارة الفرنسية في فزان والتي عملت جميعها على إحكام قبضتها على القطر الليبي بقوة الحديد والنار ، معلنة وبكل صراحة عدم رغبتها في مغادرة التراب الليبي. [4]

وعموماً فإن معظم العائدون من المهجر قد اتجهوا إلى مدينتي طرابلس وبنغازي لذلك تركزت فيهما الأنشطة السياسية والثقافية والاجتماعية ، أما مدينة سبها وهي حاضرة إقليم فزان ، فقد كانت عودة المهاجرين متأخرة إلى هذا الإقليم حتى عام 1974م باستثناء جماعات قليلة أثرها سلبي على النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي بالمدينة بل على نشاط الإقليم بالكامل ، ناهيك على أن معظم المهاجرين كانوا من التجار والرعاة الذين ليست لهم اهتمامات مباشرة بالنواحي السياسية والثقافية لذلك لا نجد خلال هذه الفترة أيه محاولة جادة لإصدار الصحف الوطنية أو أنشاء النوادي الثقافية، بالإضافة إلى

[3] - جميلة مفتاح الجنزوري ، الأندية الرياضية في ليبيا ودورها الثقافي والاجتماعي من 1943- 1969م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بنغازي ،(بنغازي ، 2017م) ص 30 -31.

4- محمد بشير المغيربي، وثائق جمعية عمر المختار، مؤسسة دار الهلال،(القاهرة ،1993م) . ص48.

أنه لم تُشكل في فزان طول عهد الإدارة الفرنسية إي هيأة سياسية كتلك التي تكونت في طرابلس وبنغازي ، وأن كانت هناك محاولة واحدة قام بها عبد الرحمن الركولي، ومحمد عثمان الصيد إلا أنها لم تستمر طويلاً.[5]

وبرز العمل السياسي في ليبيا لأول مرة من خلال النوادي الثقافية التي أسسها بعض المثقفين الليبيين سواء في ليبيا أو خارجها، وجدت هذه النوادي نفسها مدفوعة إلى ممارسة العمل السياسي نتيجة للظروف السياسية في هذه الفترة ، وقد تمحور العمل السياسي حول قضايا ثلاث هي: الوحدة والاستقلال والإمارة السنوسية ، فاتفق الليبيون حول القضيتين[6]، الأولى : هي الاستقلال مع ضمان عدم عودة نفوذ ايطاليا بأي شكل إلى البلاد ، وقد كان هذا المبدأ محل إجماع الأحزاب السياسية ، والثانية وحدة البلاد وهل يجب أن تقترن الوحدة بالاستقلال أو تمضي كل مقاطعة في طريقها فتقبل برقة الإجراءات البريطانية الرامية إلى منحها استقلالاً محدداً في إطار الإمارة السنوسية أو يجب التمسك باستقلال طرابلس وبرقة وفزان في نفس الوقت ، بحيث تنشأ دولة ليبية موحدة مستقلة في الحدود التي كانت عليها إبان الاستعمار الايطالي. وكانت فكرة الاتحاد أقوي في طرابلس منها في برقة حيت تميز زعماء القبائل بالنزعة المحلية في برقة. أما القضية الثالثة فهي الإمارة السنوسية وهل تقبل في الأقاليم الثلاث بدون قيد أو شرط أم أنه يجب أن تقيد مسبقاً بالنظام الدستوري ، وقد نشأت في طرابلس أحزاب ذات نزعة جمهورية

5 - علجية بشير العرفي،التاريخ الثقافي لليبيا 1943-1951م ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قار يونس، (بنغازي ،2001م) ، ص 56، 57.

6 -صالح عثمان عبد الكريم، موقف جامعة الدول العربية من القضية الليبية 1945-1951م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس،(بنغازي، 2002م) ، ص23.

وأخري تطالب بالاتحاد مع مصر ، وهذه الأحزاب ترفض الإمارة السنوسية أصلاً.[7]

وسنحاول التعرض لأهم التيارات والأحزاب السياسية التي شهدتها ليبيا في الفترة مابين(1943-1951م) وهي أربع تيارات : أولها تيار ينادي بالإمارة السنوسية ويضعها شرطاً أساسياً للوحدة والاستقلال ، والثاني يقدم الوحدة والاستقلال على أي أمر أخر ، أما التيار الثالث فهو يعارض الإمارة السنوسية ويقاومها بشدة ، بينما التيار الرابع ينادي بالوحدة مع مصر.[8]

ثانياً- بشير السعداوي والعوامل التي أدت إلي تكوينه ونضوجه السياسي :

ولد بشير بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي في مدينة الخمْس عام 1884م ، وهو ينتمي إلي قبيلة الغلالبة التي عاشت في شمال أفريقيا ، وكان بيت السعداوي من أبرز بيوت الغلالبة المشهورة بالتقوى والعلم.[9]

وقد توفى والده وعمره سنتين فكفله عمه الصادق السعداوي ورباه وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية ، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم

7 - صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية ،(القاهرة،1970م)، ص59.
8- صالح عثمان عبد الكريم، المرجع السابق، ص24.
9 - الطاهر أحمد الزاوى ، أعلام ليبيا ، ط 3 ، دار المدار الإسلامي ،(بيروت ، 2004م)، ص132.

الدينية، ثم انتقل إلي سرت مع شقيقه الأكبر نورى الذي تولى وظيفة مدير مال قضاء سرت، وهناك التحق بشير السعداوي بالزاوية السنوسية فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشر من عمره عام 1897 م[10] .

ثم عاد السعداوي إلى مدينة الخمس وأكمل تعليمه فيها ، وكانت لتلك البيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها أثر كبير في إقباله على الدراسة ، حيث التحق سنة 1902م بالمدرسة الرشدية لاستكمال دراسته الحديثة، وأثبت مواهبه وقدراته العلمية عندما تفوّق على أقرانه وأكمل دراسته في غضون سنتين بدلاً من أربع سنوات (1902 – 1904 م) .[11]

وإلي جانب ما تعلمه فإنه استطاع أن يكوّن ثقافته بمطالعاته الواسعة لأمهات لكتب، بالإضافة إلى كتب اللغة والأدب والشعر ، فضلاً عن اطلاعه على كتابات بعض المعاصرين من أمثال الإمام محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهما ، وفي عام 1908م عُين كاتبًا أولًا لمجلس الإدارة بالخمس، ثم عُين مديرًا للتحريرات بمدينة طرابلس عام 1909م، وبعدها قائم مقام بساحل أل حامد، ثم هاجر إلى لبنان حيث عين عام 1918 م قائم مقام في قضاء جزين، وكان أول قائم مقام مسلم يعين بها.[12]

وفي أوائل سبتمبر 1920 م عاد بشير السعداوي إلى طرابلس حيث حضر في شهر أكتوبر مؤتمر غريان الذي شكلت فيه حكومة وطنية

---

10 - محمد فؤاد شكرى ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها ، ج 1 ، مطبعة الاعتماد (القاهرة ، 1957م) ص394

11 – محمد الشكري : المرجع السابق ، ص 398 ، 399 .

12 – أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الشباب للطبعة (القاهرة ، 1979م) ، ص 346 .

سميت هيئة الإصلاح المركزية وأُنتخب عضوًا فيها وظل يحتل مكانة مرموقة فيها بما أبداه من سدادة الرأي، حيث أستطاع التوفيق بين رؤساء القبائل وجمع كلمتهم ضد الغزو الإيطالي، وجعلته القبائل ممثلاً لها عند زيارة ولي العهد الايطالي عام 1921م ، حيث ألقى خطباً افهمه فيها رغبة الشعب الليبي في الاستقلال ، وان تصرفات الطليان المستعمرين ما هو إلا " شر مطلق " ، وفي عام 1922م أستطاع السعداوي أخذ البيعة من أهل طرابلس إلى (ادريس السنوسي) بأجدابيا ، وهكذا ساهم السعداوي في وضع أقدام الليبيين على الطريق الصحيح باتجاه الاستقلال والوحدة التي أتت أكلها فيما بعد، وقد أصدرت ايطاليا حكماً بالإعدام على (بشير السعداوي) مما اضطره إلى الرحيل عام 1923م إلى مصر ومنها إلى بيروت عام 1924م .[13]

وفي المهجر استمر بشير السعداوي في نشاطه النضالي والسياسي ضد الاستعمار الايطالي للفت الأنظار إلى قضية الشعب الليبي ، حيث قام بالعديد من المحاضرات، وأسس مع زملائه في المهجر (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشام) من الجاليات الطرابلسية والبرقاوية هناك عام 1928م[14]،وكان من ثمرة جهده إصدار كتاب (الفظائع السود الحمر) الذي يُعد سجلاً لكفاحه ضد المستعمر الايطالي والتي لم يكن هناك بدٌ من أن يخوض غمارها بالأقلام والتي أسماها (حرب الاقلام) ، موضحاً المقاومة الليبية في

13 - أميرة الكريمي ، بشير السعداوي 1884 ــ 1957م ودوره في المقاومة الليبية ، مجلة آداب ذي قار الالكترونية ، جامعة ابن رشد ، كلية التربية (بغداد ،2013م) ص237

14 -محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها ، مج2، مطبعة الاعتماد ،(القاهرة ، 1957م) ص 387

طرابلس وبرقة ، وبذلك رسخ في ضمير العالم العربي والإسلامي والعالمي الممارسات الايطالية المشينة ، والاضطهاد الذي مارسوه ضد الليبيين من فضائح مما لا يمحا أثره [15].

وفي عام 1937 م عين مستشارًا للملك عبد العزيز آل سعود حتي عام 1946 عندما كان السعداوي برفقة الملك سعود أثناء زيارته للقاهرة استأذنه في الاستقالة لكي يقوم بالعمل على "تجميع القوى الوطنية الليبية تحت أهداف وراية واحدة". وشرع السعداوي في الاتصال الزعماء الطرابلسيين والبرقاويين مبيناً لهم ضرورة التخلي عن الخلافات الاقليمية والمحلية في سبيل المصلحة الوطنية العليا، في أعقاب الحرب العالمية الثانية ترأس هيئة تحرير ليبيا بمعرفة الجامعة العربية [16]

ويمكن القول مما سبق أن التربية الدينية التي تلقها بشير السعداوي قد أترث على تفكيره وثقافته ومفهومه لدولة والحكم واستيعابه للأطماع الخارجية التي كانت تتربص بوحدة تراب ليبيا، حيث بلورت تلك الأفكار شخصية بشير السعداوي ، ومنحتها أبعاد جديدة في الفكر والثقافة مثلما منحتها أبعاد مضافة في العلاقات السياسية والاجتماعية مع أقطاب عصره من رجال الفكر والأدب والسياسة ، وأهلته منذ صغره للاشتغال بأمور المجتمع والسياسة فأصبح رجلاً من رجالات الدولة العثمانية بولاية طرابلس الغرب في بداية حياته الوظيفية ، وخلال توليه وظائف أخرى في تركيا ، والحجاز ، ولبنان فيما

[15] - اميرة الكريمي ، المرجع السابق ، ص 237 ، راجع على سبيل المثال بشير السعدواي، فظائع الاستعمار الايطالي الفاشستي في طرابلس وبرقة ، جمعية الدفاع عن برقة وطرابلس ،ص 4

[16] - المرجع نفسه ، ص 238.

بعد ، فضلاً عن انشغاله بقضية بلاده منذ وقوع الاحتلال وحتى إعلان الاستقلال وما بعده .

ثالثاً: نشاط بشير السعداوي خلال فترة عمل لجنة التحقيق الدولية عام 1948م وموقفه منها :

منذ تأسيس جامعة الدول العربية أخذت على عاتقها العمل على تحقيق استقلال ليبيا ووحدتها وسعت من أجل ذلك على جمع كلمة الأحزاب والهيئات السياسية الليبية في الداخل البلاد لمجابهة لجنة التحقيق الدولية برأي وطني واحد، فعُرضت القضية الليبية في الجلسة العاشرة لمجلس الجامعة العربية بتاريخ 22 فبراير1948م ، وقد كلفت الأمانة العامة لجنة لتقديم مذكرة إلى لجنة التحقيق الدولية تتضمن وجهة نظر الجامعة و تصميم أهل ليبيا على تحقيق هدفهم في الوحدة والاستقلال .[17]

وبعد أن فرغت لجنة التحقيق الدولية من زيارة المستعمرات الايطالية في شرق أفريقيا بدأت الإنباء تتوارد بقرب وصول اللجنة الدولية إلي ليبيا ،حيث أذاع عبد الرحمن العزام أمين الجامعة العربية بياناً من إذاعة القاهرة في 1947م بتشكيل هيئة تحرير ليبيا التي ضمت بشير السعداوي ، والطاهر المريض وجواد بن زكري وأحمد السويحلي . وكانت الهيئة قد تأسست إثر اجتماع في بيت بن زكري ، وأضيف لها محمود المنتصر ومنصور بن قدارة اللذان كانا بالقاهرة موفدين من قبل الجبهة الوطنية للتفاوض

[17] – أرويعي قناوي ، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884–1952م ، رسالة دكتوراه، غير منشوره ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، (القاهرة ، 2011م) ، ص150، 151.

مع الأمير إدريس . وخصصت الجامعة العربية ميزانية للهيئة التي فتحت مركزا لها في القاهرة ، ونشرت تلك الهيئة بياناً لخصت فيه أهدافها وهي : السعي لاستقلال ليبيا ، والتعاون مع الجامعة العربية ، وتوحيد الجهود واجتناب دواعي الجدال والخلاف على نظام الحكم في ليبيا. [18]

كما ساهمت أيضا على تهيئة الرأي العام الليبي لاستقبال لجنة الاستفتاء الدولية التي زارت البلاد مابين شهري مارس ومايو 1948مم حيث أصدرت العديد من النداءات والكلمات المؤثرة

من أجل توعية الليبيين ، حيث جاء في أحد البيانات " إن العالم لفي انتظار ما تقدمونه لوطنكم من المحافظة على كرامته ،والتمسك باستقلاله ووحدته ، فقولوها كلمة مدوية قوية من قلوب مشتاقة ونفوس متوثبة "[19]

قررت تلك الهيئة بزعامة بشير السعداوي نقل نشاطاتها إلى ليبيا لمتابعة نشاط اللجنة الدولية في الأقاليم الثلاثة ، فعادت الهيئة إلى طرابلس براً ووصلت إلى طبرق في 26 فبراير1948م وخرج قائم مقامها وجماهيرها لاستقبالها والترحيب بها، ثم انتقلت الهيئة إلى بنغازي لمقابلة الأمير محمد إدريس السنوسى فاستقبلت من أعيان البلاد ومشايخ العشائر وأظهروا حماساً لها. [20]

18 – محمد المفتي ، السعداوي والمؤتمر 1948–1952م ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني،(طرابلس ، 2012م)،ص 81.

19 -الصالحين الخفيفي ، جامعة الدول العربية وتأثيرها على الاتجاهات السياسية في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية ، جامعة عمر المختار ، مقالة منشورة (البيضاء ، د.ت) ص 7 .

20 - أرويعي قناوي ، المرجع السابق ،ص150.

وفي بنغازي اجتمع بشير السعداوى مع الأمير محمد إدريس السنوسي، وخلال ذلك الاجتماع طرحت قضية الوصاية الدولية ومخاوف الشعب الليبي من تلك المسألة التي لوحت بها الدول الكبرى آنذاك، ويقال أنهما اتفقا على المناداة بالأمارة السنوسية على طرابلس وبرقة أمام لجنة التحقيق الرباعية ، وما يؤيد هذا الظن ما صرحت به جرائد برقة بعد أن عدل السعداوي عن التعرض لأمارة السنوسية أمام لجنة التحقيق الدولية . وعلى إثر ذلك الاجتماع أخطر الأمير محمد إدريس السنوسي أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي بتفاصيل مقابلته لهيئة تحرير ليبيا خلال لقائه بأعضاء المؤتمر بتاريخ 29 فبراير 1948م إذ قال ((إن تأخير تقديمها(يعني البيعة) أمام اللجنة الرباعية في وقته لا يمنع من الوصول تحقيق الوحدة بعد نيل البلاد استقلالها)) [21].

وعلى أثر هذه الاجتماع أيضا غادرت هيئة التحرير مدينة بنغازي فوصلت طرابلس في 4 مارس1948م أي قبل وصول اللجنة بيومين، وقد استقبلت من طرف الشعب استقبالاً عظيماً حيث كانت الشوارع مكتظة بالجماهير التي احتشدت لاستقبال الهيئة وزعيمها بشير السعداوى الذي طالما انتظرت قدومه إلى أرض الوطن وهى تحمل اللافتات الداعية إلى الاستقلال ، والوحدة ، والانضمام إلى جامعة الدول العربية ، فخاطب بشير السعداوى مواطنيه، وحثهم على ضرورة التكاتف من أجل إحباط مشاريع الوصاية التي نادت بها إيطاليا ولوحت بها الدول الكبرى في ذلك الوقت ، وطالبهم بحصر

21 - محمد الهادي أبو عجيلة ، دور الحركة الوطنية الليبية في الكفاح ضد الاطماع الاجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية ، مجلة الساتل ، (د ، ت ، د . م) ص 124 ، محمود الشنيطي ، المرجع السابق، ص 272.

مطالبهم في استقلال بلادهم ووحدتها أمام لجنة التحقيق الدولية التي لم يبق على وصولها إلى أرض الوطن سوى يومين. [22]

وقد رحبت أغلب الهيئات السياسية الطرابلسية وفى مقدمتها الجبهة الوطنية ، والحزب الوطني بهيئة تحرير ليبيا وزعيمها بشير السعداوى باعتباره زعيماً نال ثقة ودعم الجامعة العربية والحكومة المصرية ، وانتزع ثقة السلطات البريطانية في مصر بعد إجرائه عدة اتصالات معها ، الأمر الذي لم يعرقل مهمته في طرابلس من قبل سلطات الإدارة البريطانية التي سهلت له تنقلاته عبر المدن والقرى الليبية خلال مقابلته لجنة التحقيق الدولية ولقاءاتها بالأهالي في الأقاليم. [23]

ورغم هذا الترحيب الذي قوبل به بشير السعداوي وأعضاء هيئة تحرير ليبيا من قبل الهيئات والأحزاب السياسية الطرابلسية إلا أن بعض من أعضاء الجبهة الوطنية وفى مقدمتهم إبراهيم شعبان ، وتوفيق الغرياني اجتمعوا ببشير السعداوي وأكدوا قائلين:((إذا كنت تريد مواجهة اللجنة بوحدة البلاد واستقلالها وانضمامها إلى جامعة الدول العربية فنحن متفقون معك وكل البلاد مستعدة للتضحية في هذا السبيل، وإن كنت تريد الاعتراف بإمارة السيد محمد إدريس السنوسي أو البحث في أي أمر آخر غير هذه الأمور الثلاثة فنحن لا نوافقك على شيء من ذلك)). [24]

22 - أحمد زارم ، مذكرات صراع الليبي مع مطامع الاستعمار 1943-1968م ،الدار العربية للكتاب، (طرابلس ، 1979م)،ص 64،63.
23 - ارويعي قناوي ، المرجع السابق،ص151.
24 -محمود الشنيطي ، المرجع السابق، ص 273

وبحنكته السياسية استطاع بشير السعداوى توحيد الزعامة الوطنية في البلاد فاجتمع بقيادات الأحزاب الطرابلسية لتقريب وجهات نظرها على أساس تحديد المطالبة أمام لجنة التحقيق الدولية على الوحدة والاستقلال والانضمام إلى الجامعة الدول العربية ، دون إشارة إلى الزعامة السنوسية محل الخلف بين الأحزاب الطرابلسية ، [25] وإرجاء موضوع الإمارة إلى وقت حصول الشعب على استقلاله وعدم الخوض في مسألة الإمارة السنوسية في الوقت الذي لاتزال لجنة التحقيق تعمل في طرابلس لان ذلك من شأنه أن يفرق كلمة الطرابلسيين ويصرفهم عن التمسك بمطالبهم الرئيسية [26]

ولعل عدم ذكر بشير السعداوي للأمارة السنوسية أمام لجنة التحقيق الدولية لم يكن الهدف منها استبعاد الأمير إدريس السنوسي عن المشهد السياسي في ليبيا بل كان القصد منه تهيئة الأذهان لقبول الإمارة السنوسية على ليبيا بالكامل وخاصة بعد أن استشعر ميل بعض الأحزاب الوطنية في الأقاليم الثلاثة بقبول الإمارة السنوسية تفادياً للتجزئة وسيطرة الدولة الاستعمارية عليها.

وقد أسفرت مساعي بشير السعداوى لتوحيد كلمة الأحزاب الطرابلسية أمام اللجنة الدولية على توقيع اتفاق بتاريخ 20 مارس 1948م يتلخص في عدم مشروعية اللجنة الدولية في تقرير مصير البلاد بوجود هيئات سياسية وطنية متفقة على أهداف محددة ، وقد كرر السعدواي في أكثر من مناسبة قناعته التامة بالأمارة السنوسية، مما دفع هيئة تحرير ليبيا إلى الاحتجاج

25 -مصطفي فوزي السراج ، المرجع السابق، ص 76.
26 - ن . إ بروشين ،تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتي عام 1969م ، ترجمة عماد حاتم ، ط 2 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (بيروت ، 2001م)، ص 267.

على ما كان يقوم به عبد الله لملوم باشا برعاية المؤتمر الوطني البرقاوى من الدعوة للإمارة السنوسية في طرابلس، حيث طالبت الحكومة المصرية بإبعاده عن طرابلس، فأصدرت تعليماتها إلى قنصلها العام في بنغازي للسفر إلى طرابلس وإرجاعه إليها، وما أن وصل لملوم باشا إليها حتى شن حملته الإعلامية ضد بشير السعداوي وأنصاره فما كان من هيئة تحرير ليبيا إلا أن أصدرت بياناً عبر جريدة الرابطة العربية فندت فيه تصريحاته وأقاويله عن الهيئة ورجالها وعن البلاد . [27]

وأراد بشير السعداوي التوجه إلى إقليم فزان مع أعضاء هيئة تحرير ليبيا ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك نظراً لوقوعه تحت السيطرة الفرنسية ، كما منعته السلطات البريطانية من التوجه إلى برقة لمقابلة الأمير إدريس للتباحث معه حول المستجدات الأخيرة في الإقليمين من ذلك فتقدم بشكواه إلى لجنة التحقيق الدولية فأجابت بقولها إنها لا تملك سلطة للتدخل .[28]

وفي شهر ابريل 1948م زارت لجنة تحقيق الدولية برقة فتقدم إليها المؤتمر الوطني البرقاوى بمذكرة يطالب فيها بالاستقلال التام لبرقة تحت التاج السنوسي الوراثي ، وتأليف حكومة دستورية تسند رئاستها إلى السيد محمد إدريس، وطالبوا أهل طرابلس بالانضواء تحت التاج السنوسى، وأكدت المذكرة بأن تلك الأهداف غير قابلة للنقاش . [29]

ومن جهة أخرى اتصل بشير السعداوي بصورة غير مباشرة بالجالية الإيطالية في طرابلس وهيئاتها السياسية كالحزب الاشتراكي الإيطالي

27 - أرويعي قناوي ، المرجع السابق، ص152 ــ 154.
28 - المرجع نفسه ،ص 154.
29 - محمود الشنيطي ، المرجع السابق، ص 276.

والجمعية السياسية الإيطالية لتقدم ليبيا، الجبهة الليبية الايطالية ، جمعية الحركة الكاثوليكية وغيرها لدفعهم للتأييد العلني للقضية الليبية أمام لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية وذلك بالمشاركة في المسيرات وتوقيع البرقيات والمرسلة إلى لجنة التحقيق الدولية للمطالبة بالاستقلال ، وكان الوسيط في تلك الاتصالات الهادي إبراهيم المشيرقى . [30]

بالرغم من اختلاف توجهات القيادات السياسية داخل أقاليم ليبيا الثلاثة من ناحية وتفاوت مطالب الشعب الليبي من ناحية أخرى فإن الجميع طالبوا بالحرية والاستقلال، وإن اختلفوا في مسألة الوحدة نظراً لتباين آراء الزعماء حول مسألة الإمارة السنوسية على ليبيا بأكملها، حيث طالب الطرابلسيون بالوحدة والاستقلال وعضويتها في جامعة الدول العربية ، أما أهل برقة فاطلبوا بالاستقلال برقة التام وبأمارة الأمير إدريس السنوسي كشرط للوحدة ، في حين طالب أهل فزان بالوحدة و الاستقلال ، ألا إن تصويت الشعب الليبي أمام لجنة التحقيق قد أكد إجماعهم على الوحدة والاستقلال ورفضهم لتدخل الدول الكبرى في شئون البلاد بعد أن اتضحت لهم مطامعهم في تقسيم ليبيا. [31]

بعد أن تنازلت بريطانيا عن انتداب فلسطين في 14 مايو 1948م واعترافها بالكيان الصهيوني مع الولايات المتحدة الأمريكية خشى السعداوي على مصير ليبيا من اتفاق دولي يؤدي إلى تجزئة التراب الليبي ووقوعها تحت

30 -الهادي ابراهيم المشيرقي : ذكريات في نصف قرن من الإحداث الاجتماعية والسياسية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس ، 1980م) ص 298 ــ 300.
31 - مجيد خدوري : ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي ، دار الثقافة (بيروت ، 1966م) ص 144

وطأة الاستعمار، فجدد اتصالاته بالحكومة المصرية لإقناعها بأن الوضع الداخلي في ليبيا ينذر بالتجزئة إذ لم يتم التحاور بين كافة الأطراف الليبية وإقناعها بتقديم بعض التنازلات في سبيل المصلحة الوطنية ، فأيدت الحكومة المصرية ذلك ، فعاد السعداوي إلى طرابلس 1948م صحبة محمد فؤاد شكرى مستشار هيئة تحرير ليبيا لتحاور مع زعماء الأحزاب الطرابلسية وإقناعهم بوحدة ليبيا وموقف الدول الغربية من هذه الوحدة وطلب منهم تدارك الموقف من منظور وطني وبعيداً عن المشاكل والمصالح الشخصية والجهوية [32]

وقد أصدرت لجنة التحقيق الدولية في شهر يوليو 1948م تقريرها المخيب لآمال الليبيين باعتبار بلادهم ليست مؤهله للاستقلال السياسي والاقتصادي الذي يمكنها من الاعتماد على نفسها ، مما يتطلب تقديم المعونة الأجنبية من قبل الدول الكبرى التي تسعى لاقتسام البلاد . [33]

ولم يكن من سهل على اللجنة الدولية أن تقدر حقيقة الأمر في ليبيا ويرجع ذلك إلي تضارب مصالح الدول الكبرى وسياستها آذ أن فرنسا والاتحاد السوفياتي كانا يؤيدان عودة ايطاليا إلى ليبيا ولم يكونا ميالين لتحقيق أماني الشعب الليبي في تحقيق الحرية والاستقلال ، أما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كانتا تؤيدان وصاية ايطاليا على طرابلس ، ووصاية بريطانيا على برقة فإن ممثليهما اظهر استعداداً لقبول طلب الليبيين في الاستقلال .[34]

32 -أرويعي قناوي ، المرجع السابق، ص158 ــ 159.
33 - جون رايت : تاريخ ليبا منذ أقدم العصور ، ت عبد الحفيظ الميار و احمد اليازوري ، دار الفرجاني (طرابلس ، 1972م) ص 184.
34- مجيد خدوري : المرجع السابق ، ص 146.

وقد أثار تقرير اللجنة الدولية سخط الليبيين وغضبهم على تلك الدول التي لم تقدر تضحياتهم في سبيل الحصول على حريتهم فسعى بشير السعداوي لاستكمال مساعيه السابقة نحو وحدة الوطن واستقلاله ولو تحت لواء الإمارة السنوسية مما دفعه الاتصال من جديد بزعماء الأحزاب والهيئات السياسية الطرابلسية لإقناعهم بالتنازل عن بعض المطالب لمواجهة مؤامرات التقسيم ، وتكللت جهوده بالنجاح حيث ثم توقيع وثيقة اقروا فيها الموافقة على تولي الأمير ادريس السنوسي الحكم في ليبيا في 8 أغسطس 1948م، وفور انتهاء توقيع الوثيقة ووجه السعداوي نداء إلى الليبيين أكد فيه مطالبهم بالوحدة والاستقلال والتمتع بالسيادة الوطنية الكاملة ونبذ السيطرة الأجنبية [35] .

و بعث بشير السعداوى بخطاب مرفق بوثيقة إقرار البيعة إلى محمود فهمى النقراشى رئيس الحكومة المصرية يخبره فيه تمكنه من تذليل الصعوبات في سبيل إقرار إمارة السيد محمد إدريس السنوسي على إقليم طرابلس قبل موعد اجتماع هيئة الأمم المتحدة في منتصف شهر سبتمبر القادم ، وبناءً على ذلك أرسل رئيس الحكومة المصرية محمد فؤاد شكري مستشار هيئة تحرير ليبيا إلى بنغازي لتسليمها إلى الأمير محمد إدريس السنوسي راجيا فيه التعاون معه لتحقيق وحدة البلاد .[36] .

وعرضت وثيقة البيعة على أعضاء المؤتمر الوطني العام البرقاوى عام 1948م وسط أجواء مشحونة بالتوتر بين دعاة الانفصال والوحدة

35 - على البوصيرى ، " دور السعداوى فى الحركة الوطنية " ، مجلة الشهيد ، عدد 2 ، جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
(طرابلس ، د.ت) ، ص 212.

36 - المؤتمر الوطنى العام البرقاوى ، محاضر جلسات المؤتمر الوطنى العام البرقاوى ، محضر الجلسة الختامية المنعقدة بتاريخ 30 سبتمبر 1948 .

لعدم توصلهم إلى قرار موحد ، واستمرت المناقشات لسبع جلسات، وفى الجلسة الختامية حسم المجتمعون أمرهم بالتصويت ، وقرروا أن البيعة جاءت متأخرة، وألقى الأمير محمد إدريس السنوسى خطاباً وضح فيه احترامه لقرار المجتمعون، ومؤكداً على أن الوحدة مع طرابلس لا يمكن تحقيقها إلا بعد الحصول على الاستقلال . وفي نفس الوقت وجه الأمير السنوسي خطاباً شكر إلى كل من محمود فهمي النقراشى رئيس الحكومة المصرية وبشير السعداوي، مؤكداً فيه انه لا يمكن تحديد شكل الدولة قبل الاستقلال [37] .

وكان رد المؤتمر الوطني العام البرقاوى على البيعة مخيباً للآمال لزعماء طرابلس الذين قدموا بالعديد من التنازلات لتوحيد صفهم أمام مطامع الدول الكبرى قبل ذهاب وفدهم إلى الأمم المتحدة، وأدرك السعداوي هنا خطورة الخلاف بين زعماء طرابلس وبرقة وحاول إقناع الزعماء الطرابلسيين بأن رد المؤتمر البرقاوى للبيعة جاء نتيجة طبيعية لتجاهلهم لمسألة الإمارة خلال فترة عمل لجنة الاستفتاء الدولية في البلاد . [38]

ويمكن القول مما سبق أن بشير السعداوي قد لعب دور الوسيط بين الطرفين وذلك بتذليل كل الصعاب حتى يسهل فهم وجهات نظر كل طرف لآخر، حيث غض الطرف عن تعصب بعض السياسيين لآرائهم في مسألة الإمارة والوحدة من أجل الدفع بعجلة تحقيق الحلم في جمع الليبيين في دولة واحدة مستقلة.

37 - سالم الكبتي ، إدريس السنوسي الأمير و الملك ، وثائق منشورة عن دوره السياسي والوطني ، ط1 ، ج2 ، دار الساقية للنشر (بنغازي ، 2013م) ص557 — 700،701.

38 - ارويعي قناوي ، المرجع السابق ، ص 162 — 163.

رابعاً -بشير السعداوى والقضية ليبيا في أروقة الأمم المتحدة 1949م:

أمام مطامع الدولة الأوروبية ورغبتها في تقسيم ليبيا ،وجد الزعماء الطرابلسيين أنفسهم يبذلون أقسي جهدهم للمحافظة على وحدة تراب الوطن، وطلبوا من الإدارة البريطانية مساعدتهم في ذلك بسماح لبشير السعداوي حضور اجتماع باريس سنة 1948م ،وبعد التنسيق بين جامعة الدول العربية والحكومة المصرية شكل وفد من زعماء طرابلسيين لذهاب إلي مؤتمر باريس و تكون هذا الوفد من: السعداوى ، ومحمد فؤاد شكرى ، وعبد الحميد بشير السعداوى ، وكانت نفقات الوفد ومصاريفه على حساب الحكومة المصرية ، إلى جانب وفدين يمثلان إقليمي برقة وفزان. [39]

وفى7 ديسمبر 1948م سافر بشير السعداوى والوفد المرافق له إلى باريس لحضور اجتماعات اللجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، إلى جانب وفدى برقة ، وفزان. وبمجرد وصوله اجتمع مع أحمد خشبة باشا مندوب مصر ، ورياض الصلح مندوب لبنان ، وغيرهما من رؤساء الوفود العربية التي حضرت إلى باريس[40] .

وكانت مهمة الوفد صعبة لإصرار الدول على فرض الوصاية الأجنبية على أقاليم ليبيا من جهة ، واختلاف في وجهات النظر بين الوفود الليبية من جهة أخرى ، وقد بذل السعداوي جهوده مع بقية أعضاء الوفود العربية والآسيوية لإقناعهم بتأجيل النظر في القضية الليبية حتى تستأنف

39 - المرجع نفسه ، ص 164.
40 - بروشين ، المرجع السابق ، ص322.

المساعي الدولية من أجل إقناع الدول الاستعمارية بالتخلي عن فكرتي التجزئة والوصاية، ونتيجة لهذا التضارب في مصالح الدول الكبرى حول مناطق نفوذها في ليبيا طالبت بعض الدول تأجيل البحث في قضية المستعمرات الايطالية إلى الدورة القادمة فأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى8 ديسمبر 1948م قراراً يقضى بتأجيل البث في القضية الليبية ، وهكذا بذل بشير السعداوى وزملاؤه ، والوفود العربية ، ومناصروهم من الدول الصديقة جهودهم في سبيل الوقوف بقوى أمام أي قرار دولي لا يحقق أماني الشعب الليبي في الاستقلال والوحدة[41] .

وبعد انتهاء اجتماع باريس غادر الوفد الطرابلسي برئاسة بشير السعداوي إلى لندن لعرض مطالب الشعب الليبي على الحكومة البريطانية، وكان يأمل من ذلك الحصول على دعم لندن بخصوص مستقبل طرابلس، ولكن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بشيء وأوضحت أنها لا رغبة لديها في أن تقبل مسئولية طويلة الأمد في منطقة طرابلس .[42]

وعند عودته إلى الوطن أصدر بشير السعداوي بياناً إلى الليبيين استعرض فيه مهمة الوفد في كلاً من باريس ولندن مطالباً السلطات البريطانية القيام بإصلاحات اقتصادية ودستورية تعود بالنفع على الليبيين ، ومحذراً في الوقت نفسه من مخططات الدول الاستعمارية في ضرب وحدة البلاد[43].

41 - مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 149.
42 - بروشين ، المرجع السابق ، ص323.
43 - سامى حكيم، حقيقة ليبيا ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ، 1970م) ، ص43.

و نتيجة إخفاق وزراء الخارجية في باريس تضارب مصالحهم في الوصول إلي حل في قضية المستعمرات الايطالية طرح مقترح تقسيم المستعمرات أو وضعها تحت الوصاية الأجنبية ، وانتهى الأمر في إبريل عام 1949م إلي إحالة الموضوع على جمعية عامة للأمم المتحدة في ليك سكسيس في الولايات المتحدة بالقرب من نيويورك حيث كانت مقر جمعية العامة للأمم المتحدة(44).

على أثر صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 8 ديسمبر 1948م بتأجيل النظر في القضية الليبية إلى الدورة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة المزمع عقدها في إبريل، قام السعداوي والزعماء الليبيون باستعدادات مكثفة على الصعيدين المحلى والخارجي وتركزت جهودهم في الأتي :

- توحيد كلمتهم للمطالبة بوحدة بلادهم واستقلالها .
- العمل على إيقاف الهجرة الإيطالية إلى بلادهم
- الوقوف ضد مخططات الدول الكبرى الراغبة في تقسيم البلاد .
- الاجتماع بالحكومة المصرية، والأمين العام لجامعة الدول العربية والاتفاق على تشكيل وفد الليبي واحد يمثل ليبيا بالكامل في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة القادمة، وذلك تفادياً للأخطاء الذي حدثت في مؤتمر باريس .

44 - محمد المفتي ، جمعية عمر المختار ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني ، (طرابلس ، 2012)، ص 184.

-التنسيق مع مندوبي الدول العربية في المنظمة الدولية للمطالبة معنا بمنح ليبيا استقلالها، وعهد إلي عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية بان يرسل مذكرة للحكومات العربية من أجل إعطاء توجيهات لممثليهم لتأكيد على وحدة ليبيا واستقلالها في جلات الأمم المتحدة ،وقد تكللت اتصالات السعداوي بالنجاح عندما أصدر مجلس جامعة الدول العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ21 مارس 1949م قراراً يقضى بتوحيد جهود مندوبيهم في منظمة الأمم المتحدة من أجل المطالبة باستقلال ليبيا [45].

وعقد زعماء الطرابلسيون اجتماعاً أخر فى31 مارس 1949م لتوحيد القيادة السياسية التي ستمثل الطرابلسيين وتطالب بحقوقهم أمام المنظمة الدولية ولم يحضر بشير السعداوي ذلك الاجتماع بسبب وعكة صحية، وقرر المجتمعون تشكيل وفد من منصور قداره، وجواد ذكرى ، ومحمد فؤاد شكري، كما اختار مجلس إدارة المؤتمر الوطني البرقاوي العام بناء على طلب الأمير محمد إدريس السنوسي وفداً يمثل البرقاويين يتكون من الشيخ عبد الحميد العبار ، وعمر فائق شنيب ، وخليل القلال ، وفتحي الكيخيا[46] .

وقبل اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة تقابل الوفد الطرابلسي مع السفير البريطاني في القاهرة وعبروا له عن رفضهم للوصاية البريطانية والايطالية و تمسكهم بالاستقلال والوحدة، وفى حالة إقرارها الوصاية من المجتمع الدولي فإنه يمكن القبول بمجلس استشاري دولي دون وجود إيطاليا به.

---

45 - بروشين ، المرجع السابق ، ص 325.

46 - المؤتمر الوطنى العام البرقاوى ، محاضر جلسات المؤتمر ، محضر جلسة الإدارة ؛ خطاب رئيس المؤتمر بشأن اختيار الوفد البرقاوى إلى الأمم المتحدة

ولم يحضر هذه المقابلة وفدا عن إقليم فزان بسبب منع فرنسا الوفد من الخروج من الإقليم[47].

وقد ظهر التنافس واضح بين الدول الكبرى على ليبيا ما أن بدأت اجتماعات المنظمة الدولية لمناقشة القضية الليبية، حيث سيطرت فكرة تقسيم ليبيا إلي مناطق نفوذ على تلك الدول ضماناً لتحقيق مصالحها ، فكان الاقتراح البريطاني المعدل من قبل مصر وفرنسا بتشكيل لجنة من أحد عشر عضواً للنظر في طلبات الشعوب الخاضعة للاستعمار الإيطالي ورغبتها في تقرير مصيرها .وكان الموقف المصري واضحاً منذ البداية في قضية وحدة ليبيا واستقلالها ، فقد تحدث أحمد خشبة المندوب المصري في هيئة الأمم المتحدة في جلسة يوم 19 إبريل 1949م وأكد على هذا الموقف كما طالب بإشراك الدول العربية في إدارة ليبيا [48] .

و انتقد محمد فؤاد شكري (مندوب هيئة تحرير ليبيا) الأطماع الدولية في ليبيا وخاصة الأطماع الإيطالية ، حيث نوه بنتائج لجنة التحقيق الدولية التي أكدت على حرية واستقلال الشعب الليبي، كما أشار إلى المحاولات المتكررة لليبيين لتوحيد زعامتهم واعترافهم بإمارة محمد إدريس عام 1948م، وخلال عمل اللجنة الفرعية في يوم 9 مايو 1949م فوجئت اللجنة و الوفود الليبية بالنبأ غير المتوقع بأن أرنست بيفن و الكونت كارلوس سفورزا وزيري خارجية البريطانية والايطالية قد اتفقا في لندن على قضية المستعمرات الايطالية حيث جاء في هذا الاتفاق إعلان استقلال ليبيا بعد عشر سنوات إذا

[47] - محمد عثمان الصيد ، المرجع السابق ، ص 49 .
[48] - محمود الشنيطى ، المرجع السابق ، ص 222 .

أقرته الجمعية الأمم المتحدة ، ووضع برقة تحت الوصاية الدولية بإدارة بريطانية ، ووضع فزان تحت الوصاية الدولية بإدارة فرنسية، ووضع طرابلس تحت الوصاية الدولية على أن تكون لإيطاليا السلطة الإدارية حتى نهاية سنة1951م [49] .

وتعرض هذا الاتفاق لموجة من الانتقادات الشديدة خاصةً من الممثلين العرب ، وكانت النقاط الرئيسية في هذه الانتقادات هي إن القرار كان يقوم على حل وسط خارج أروقة الأمم المتحدة ويرضي الدول الكبرى، ويتجاهل مصالح سكان البلاد، حيث قسمت ليبيا إلي ثلاثة وحدات سياسية في الوقت الذي كان مبدأ الوحدة قد قُبل داخل المنظمات الدولية [50].

كما أبدى الوفد الطرابلسي معارضته للمشروع ، الأمر الذي لم يرق للمندوب البريطاني حيث أعلن بأن المندوب الطرابلسي محمد فؤاد شكري لا يمثل الشعب الليبي، فرد بشير السعداوي على ذلك بإرسال احتجاجه لوزير الخارجية البريطاني على موقف بلاده، مدركاً إن هذا الاتفاق يجمع بين طياته وفاء بريطانيا بوعودها للأمير إدريس السنوسي بعدم عودة برقة إلى السيادة الإيطالية [51] .

وإثر تقديم هذا المشروع الاستعماري إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وقبل طرحه للتصويت ، تفجر غضب الشعب الليبي وانتفض عن بكرة أبيه ، وتدفقت جموع الجماهير الغاضبة من الضواحي والأرياف إلى المدن

---

[49] -مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص152 ، 151 ؛ عبدالرحمن الجنزوري : رحلة السنوات الطويلة وقائع وتأملات في سيرة مواطن ليبي ، منشورات مركز الجهاد، (طرابلس ، 2000م)، ص 138-

[50] - مجيد خدوري ، المرجع السابق ،ص 153.

[51] - ارويعي ، المرجع السابق ، ص 171 ــ 172 .

وأغلقت المحلات والمقاهي في شكل إضراب عفوي، واشتدت المظاهرات ، وتعالت الهتافات بسقوط بريطانيا وفرنسا وأمريكا وايطاليا وتهديدها بضرب مصالحها في كل مكان ، ولم يكتفِ المتظاهرون برفع اللافتات المعادية لهذه الدول بل اندفع الشباب في طرابلس إلي النادي الايطالي فاحرقوه ثم توجهوا إلى القنصليتين الأمريكية والفرنسية وأحرقوا علم هاتين الدولتين، واقتحموا بيت الايطالي غالمبرتي الموفد من وزارة المستعمرات الايطالية لدعم السياسة الايطالية في طرابلس، كما قذفوا الجنود البريطانيين بالحجارة والقنابل ورفعوا علم الاتحاد السوفياتي ولافتات تتضمن شكرهم لها [52]

وأبرق زعماء البلاد إلى الموفدين الليبيين في ليك سكسس، وهم السعداوي، ومنصور بن قدارة ، ومحمد فؤاد شكري عن هيئة التحرير، وعمر شنيب وخليل القلال وعبد الرزاق شقلوف عن برقة وعلي نور الدين العنيزي عن جامعة الدول العربية، كما تقدموا بمذكرات احتجاج إلى السلطات البريطانية، وأسرع وفد من جمعية عمر المختار في بنغازي بالذهاب إلى طرابلس ليلتقي بقيادة الجبهة الوطنية هناك .[53]

وفي هذه الأثناء وجه بشير السعداوي من القاهرة برقية إلى الشعب الليبي عبر الصحف المحلية ، ونشرتها جريدة طرابلس الغرب ؛ دعا فيها الليبيين إلى الصمود والتضحية في سبيل الوطن ومواجهة الأعداء

52 - الهادي ابراهيم المشيرقي ، المرجع السابق ، ص 314-320.
53 - محمد المفتي ، جمعية عمر المختار ، ص 185.

المتربصين بالوطن، كما أبرق إلى الطاهر المريض رئيس الجبهة الوطنية المتحدة طلبه منه أثبات أمام مخططات هذه الدول الاستعمارية.[54]

وعندما حاول بشير السعداوي العودة إلى طرابلس لقيادة المظاهرات تقدم بطلبه للقنصلية البريطانية في القاهرة لمنحه تأشيرة دخول إلى بلاده، ورفضت القنصلية ذلك ، فوجه برقية احتجاج إلى بيفن وزير الخارجية البريطانية، ضمنها احتجاجه ورفضه لمحاولات الإنجليز إعادة الإدارة الإيطالية إلى طرابلس، وحمل الحكومة البريطانية كامل مسئوليه تقسيم بلاده.[55]

وفي يوم 17 مايو 1949م عرض مشروع التقسيم للتصويت ولكنه لم يتحصل على موافقة ثلثي الأصوات حيث أيدته 14 دولة بينهما أمريكا وبريطانيا وتركيا وعارضته 37 دولة في مقدمتها الدول العربية ودول أوروبا الشرقية والأسيوية وبعض دول أمريكا اللاتينية ، وأمتنع عن التصويت 7 دول فقط ، ونتيجة لذلك أجهض مشروع بيفن سفورزا الاستعماري ، ونجت ليبيا من خطر التجزئة والوصاية [56] .

ولما رفض هذا المشروع، أصبح الاتفاق على الاستقلال أمراً مسلما به . وأعلنت كل من بريطانيا والولايات المتحدة أنهما تؤيدان الاستقلال رغم التخلف الذي تعانيه البلاد بعد فترة انتقالية تمتد من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات ،كما أيدت كلا من : الاتحاد السوفياتي والوفود العربية والآسيوية الاستقلال ، وغيرت ايطاليا موقفها من دولة تطمح في الحماية إلى دولة تؤيد

54 -أحمد زارم ، المرجع السابق ، ص 276 .
55- بروشين ، المرجع السابق ، ص 286 .
56 - عبد الرحمن الجنزوري ، المرجع السابق ، ص139 .

الاستقلال، وبذلك انهارت المناورات السياسية البريطانية – الإيطالية ، وانهارت معها محاولة تقرير مصير ليبيا من خلال المساومات الدولية داخل الأمم المتحدة ، وأصبح من الضروري التفكير في منح ليبيا استقلالها في القريب العاجل فكانت القضية الليبية من بين الموضوعات المطروحة للبحث خلال اجتماع الدورة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة بليك سكسيس في . شهر سبتمبر 1949م. [57]

وهكذا استطاع الشعب الليبي أن يحقق انتصاراً كبيراً في كفاحه من أجل حريته واستقلاله بسقوط مشروع بيفن سفورزا ، كما حققت الأمم المتحدة نصراً لها حيث لم توافق على إصدار قرار يتنافى ورغبة الشعب الليبي في الحصول على حريته وسيادته فوق ترابه.

خامساً : بشير السعداوي وموقفه من استقلال برقة في 1 يونيو 1949 م :

بعد رفض مشروع بيفن سفورزا تسارعت التطورات السياسية بشكل كبير في صيف 1949م قررت الحكومة البريطانية منح برقة استقلالاً ذاتياً حيث أصدرت الإدارة البريطانية يوم 1يوليو من نفس العام إعلاناً بنقل سلطاتها إلى حكومة برقاوية برئاسة السيد إدريس السنوسي ، وبذلك تحصلت على استقلالها في 18 سبتمبر 1949م وبعد أقل من عام أجريت انتخابات مجلس النواب البرقاوي، وشُكلت الحكومة التي ضمت عمر باشا منصور(الكيخيا) لرئاسة الوزارة ووزارات الداخلية والخارجية والدفاع

57 -مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 157، 158.

والمعارف، ومحمد الساقزلي لوزارة العدل، وحسين مازق لوزارة للزراعة والغابات، أما خليل القلال تقلد وزارة الصحة العمومية، وعلي الجربي وزارة الأشغال العامة والموصلات ، ومحمود بودجاجة وزارة المالية. (58)

لم يستقبل الشعب الليبي خبر استقلال برقة بالترحيب، بل أحدث ذلك القرار رد فعل عنيف داخل ليبيا وخارجها ، فاندلعت المظاهرات في الشوارع ، وطالبت الهيئات السياسية الطرابلسية الأمير محمد إدريس السنوسي بالعمل على استقلال ليبيا ووحدة ترابها ، ودعته إلى رفض أي محاولة لعودة النفوذ الأجنبي إلى البلاد، ولقد تقدمت هيئة تحرير ليبيا بزعامة بشير السعداوي بمذكرتين إلى وزارة الخارجية المصرية، وإلى الأمين العام لجامعة الدول العربية تعلن فيهما معارضتها لإعلان استقلال برقة وتناشدهما التدخل العاجل بالعمل على وحدة البلاد واستقلالها ، وفي نفس الوقت قد أعلن بشير السعداوي أن استقلال برقة لن يغير من موقفه من التمسك بالوحدة والاستقلال ، وكما رفض المقترح الإيطالي الذي قدمه " دى ميشيلى المفوض الإيطالي بالقاهرة والمتعلق بمنح إقليم طرابلس الحكم الذاتي على غرار إقليم برقة، واتهم بريطانيا بأنها تعمل على تقسيم ليبيا، وكذلك احتجت اللجنة الطرابلسية بالقاهرة على إعلان استقلال برقة واعتراف الحكومة البريطانية بها. (59)

رغم هذا الخطر الذي هدد أمن البلاد وحدة ترابها إلا أن الزعماء الطرابلسيين حاولوا فتح قنوات التواصل مع برقة المستقلة من اجل لم شمل الليبيين في دولة واحدة منضوية تحت الجامعة الدول العربية ، ولقطع الطريق

58 - محمد المفتي ، جمعية عمر المختار ، ص 192. سالم الكبتي ، وثائق منشورة ، ج 2 ، ص759.

59 - أرويعي قناوي ، المرجع السابق، ص177

على دعاة الانفصال والتجزئة سافر وفد من طرابلس يرأسه المفتي محمد أبو الإسعاد العالم وعضوية محمود المنتصر إلى برقة، ووصل يوم 7 يونيو 1949؛ لمناقشة الأمير محمد إدريس السنوسي، والزعماء البرقاويين في مسألة الوحدة والاستقلال لكافة أرجاء الوطن تحت زعامته ورغم معارضة بعض البرقاويين لتصريحات بشير السعداوى بشأن استقلال برقة والتي اعتبروها تحمل نوعاً من التهجم وعدم المرونة. (60)

وفي هذه الأثناء دعت السلطات البريطانية إلى إقامة حكومة محلية بطرابلس على غرار حكومة برقة، وقبلت هذه الدعوة برفض من قبل الزعماء الطرابلسيين وعلى رأسهم بشير السعداوي، كما شجعت مصر الزعماء الطرابلسيين بعدم قبول دعوة بريطانية بالإستقلال الذاتي لإقليم طرابلس حيث اجتمع أمين الجامعة العربية ، ووزير الخارجية المصري ، وبشير السعداوي ، والطاهر المريض في القاهرة بتاريخ 30 يونيو 1949 ، واتفقوا على عدم إعلان حكومة في طرابلس على غرار حكومة برقة لأن ذلك يعزز مبدأ تجزئة الوطن الواحد، وعاد بعد ذلك السعداوي إلى طرابلس للمناداة بالوحدة والاستقلال قبل موعد الزيارة المرتقبة للأمير محمد إدريس السنوسي إلى طرابلس تلبية للدعوة التي وجهها إليه المفتي محمد أبو الإسعاد العالم في زيارته لإمارة برقة . (61)

60 - محمد بشير المغيربي ، المرجع السابق ،ص 123.

61 - هيئة تحرير الصحيفة ((زيارة بشير السعداوي للقاهرة)) ، صحيفة طرابلس الغرب ، عدد 1848 ، السنة 7 ، (طرابلس ، 8 يوليو 1949 م) ،ص 2.

وتلبية لدعوة الوفد الطرابلسي وصل الأمير محمد إدريس السنوسي إلى طرابلس في 10 يوليو 1949 ، وهو في طريقه لزيارة لندن ، ونزل ضيفا على محمود المنتصر، وفي اليوم التالي زار مقر المؤتمر الوطني حيث حظي باستقبال جماهيري حاشد من قبل الجموع التي انتظرته في شارع عمر المختار، وكان بشير السعداوي في مقدمة مستقبليه، وأطل الأمير إدريس من شرفة هيئة تحرير ليبيا [62]، فألقى السعداوي كلمة ترحيب قصيرة بمقدمه ثم وقف الأمير محمد إدريس السنوسي وحيا الجماهير الطرابلسية المحتشدة لاستقباله ورد على كلمة بشير السعداوي وشكره فيها وأشار أنه سوف يبلغ الحكومة البريطانية بأماني طرابلس وبرقة وكل البلاد الليبية . [63] وثم اجتمع بالزعماء الطرابلسيين وتباحث معهم في النقاط الأساسية التي يمكنه مناقشتها مع المسئولين البريطانيين في لندن ووافق على أن يحمل باسمهم ثلاثة مطالب تمثلت في :

1 – المسارعة بإنشاء حكومة طرابلسية على غرار حكومة برقة .

2 – إقامة اتحاد فدرالي يضم طرابلس برقة في ظل التاج السنوسي بتوحيد الشئون الاقتصادية والدفاعية .

3 – تشكيل وفد مشترك لتمثيل ليبيا في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة المزمع عقدها في سبتمبر 1949 م . [64]

62- محمود الشنيطى ، المرجع السابق ، ص 289 .

63- الهادى إبراهيم المشيرقى ، المرجع السابق ، ص 321، 322. عبدالرحمن الجنزورى ، المرجع السابق ، ص 144

64- دى كاندول ، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره ، دار عبده بن غلبون (مانشستر ،1990) ، ص 103 .

وخلال محادثات الأمير محمد إدريس السنوسي مع المسئولين في لندن وافق البريطانيون على إعلان استقلال طرابلس الذاتي على غرار حكومة برقة، فأرسل الأمير السنوسي خطاباً إلى بشير السعداوي يحثه على إعلان استقلال طرابلس، ولكن السعداوي رفض ذلك حيث رأى أن ليس من المصلحة الوطنية تجاوز هيئة الأمم المتحدة في قضية استقلال ليبيا والعمل بقرار بريطانيا التي كان يعرف نواياها في تقسيم ليبيا .[65] ولم تمهل بريطانيا بشير السعداوي وزملائه كثيراً في الرد عليهم، حيث بدأت في محاربة الزعماء الطرابلسيين بصورة واضحة وعنيفة .[66]

أدرك بشير السعداوي والزعماء الطرابلسيون المناورة السياسية التي لوحت بها بريطانيا للطرابلسيين وخطورتها على الوحدة الوطنية، لذا دعي السعداوي القيادات السياسية الطرابلسية إلى اجتماع عام لحل كافة الهيئات السياسية ودمجها في تنظيم سياسي واحد ليتحدث باسمهم جميعاً وهو المؤتمر الوطني ويضم كافة الأحزاب والهيئات السياسية، والشخصيات الوطنية المستقلة، واختيرت بلدة القصبات بمسلاته مكانا لانعقاد المؤتمر .[67]

وفى يوم 21 من أغسطس 1949 انعقد المؤتمر بجامع المجابرة بحضور زعماء الحزب الوطني، والجبهة الوطنية، وهيئة تحرير ليبيا ، والعديد من الزعماء والأعيان الطرابلسيين ، ومحمد فؤاد شكري (مستشار هيئة تحرير ليبيا) ، وبلغ عدد الحاضرين حوالي 400 زعيم ، وتغيب عن الاجتماع زعماء

65 - بروشين ، المرجع السابق ، ص 293 .
66- أحمد زارم ، المرجع السابق ، ص 130 .
67- الهادى إبراهيم المشيرقى ، المرجع السابق ، ص 332 .

الكتلة الوطنية الحرة ، وحزب الاتحاد المصري الطرابلسى، وغيرهم لدوافع خاصة بهم .[68]

وتعالت الهتافات بوحدة ليبيا واستقلالها ما أن اجتمع رؤساء الهيئات السياسية والفعاليات الوطنية ، وتوالى الخطباء على المنصة ، وتركزت كلماتهم حول أهمية الوحدة، وتحفز الدول الاستعمارية للعمل على تفتيت ليبيا، وأشاروا إلى الخطر الذي شكله مشروع بيفن سفورزا الاستعماري وكيف استطاعوا إسقاطه بتوحيد الصف، وأعلنوا عن رغبتهم في حل هيئاتهم في تنظيم سياسي واحد لمواجهة المؤامرات الدولية التي تحاك ضد وطنهم، وانتهى اجتماعهم بإعلان القيادات السياسية للحزب الوطني، والجبهة الوطنية ، وهيئة تحرير ليبيا عن حلّها ودمجها في تنظيم سياسي واحد أطلق عليه اسم المؤتمر الوطني العام الطرابلسى، واختاروا بشير السعداوى (رئيس هيئة تحرير ليبيا) رئيساً له ومحمد أبو الإسعاد العالم نائباً للرئيس، ومصطفى ميزران (رئيس الحزب الوطني) نائباً للرئيس، والطاهر المريض(رئيس الجبهة الوطنية المتحدة) نائباً للرئيس .[69] وتم طرح موضوع اختيار الوفد الطرابلسى الذي سيمثل طرابلس في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة سبتمبر للدفاع عن القضية الوطنية، فقرر المؤتمر تشكيل وفد برئاسة بشير السعداوى وترك له حق اختيار المرافقين. وبعد نقاش دام ثلاثة أيام متوالية انتهى المؤتمر من وضع برنامجه الوطني الذي ستسير عليه الحركة الوطنية في طرابلس خلال الفترة القادمة متمثلاً في النقاط التالية:

68- محمود الشنيطى ، المرجع السابق ، ص 291 .
69- عبد الرحمن الجنزورى ، المرجع السابق ، ص 141.

- للشعب الليبي الحق في تقرير مصير ليبيا .

- تصفية الوضع القائم في طرابلس، برقة، فزان، تحقيق وحدة البلاد ورفض كل شكل من أشكال تجزئتها.

- منح ليبيا الاستقلال التام والفوري برئاسة الأمير محمد إدريس السنوسي .[70]

وفى ختام المؤتمر ألقى بشير السعداوى خطاباً شكر فيه أهالي مسلاته ووجهائها على ما أبدوه من مواقف وطنية صادقة ، ومن كرم ضيافة ، وعندما عاد السياسيون إلى طرابلس استقبلتهم الجماهير الطرابلسية المحتشدة أمام مقر الجبهة الوطنية المتحدة وهو نفس مقر هيئة تحرير ليبيا الكائن وسط شارع عمر المختار في قلب مدينة طرابلس الذي أصبح منذ ذلك اليوم مقراً للمؤتمر الوطني العام الطرابلسى، فصعد بشير السعداوى إلى شرفة المقر وألقى خطاباً أوجز للجماهير ما قرره المجتمعون بمسلاته، وفى 27 أغسطس 1949 أصدر بياناً إلى الشعب الليبي أكد فيه على وحدة ليبيا واستقلالها تحت التاج السنوسي وحذر الشعب من ضعاف النفوس الذين يشككون في وحدة الوطن ويعملون على تعطيل المصلحة الوطنية بالاعتماد على القوى الأجنبية.[71]

وعندما عاد الأمير إدريس السنوسي من لندن عرج على طرابلس وصلها يوم في 3 سبتمبر 1949 فأستقبله الشعب الطرابلسي وفي مقدمتهم هيئة المؤتمر الوطني العام الطرابلسى وأقيم له حفل كبير ألقيت فيه الكلمات ترحيبه،

70- مصطفى فوزى السراج ، ذكريات وخواطر ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،(طرابلس، 2008)،ص 234

71- أحمد زارم ، المرجع السابق، ص 93 ، 94 .

وألقيت القصائد الوطنية ، وثم خطب بشير السعداوى أكد في خطبته على وحدة ليبيا واستقلالها، وأن الليبيين سوف ينزعون هذا الاستقلال انتزاعاً من الدول الأجنبية ، ورد الأمير محمد إدريس السنوسي على كلمة بشير السعداوى ، حيث أكد فيها على انتزاع الاستقلال لأنه ضحى في سبيله الليبيين وسيتم لهم ذلك بالوحدة والتعاضد .[72]

وبمناسبة عودة للأمير محمد إدريس السنوسي إلى برقة يوم 7 سبتمبر 1949 أقيم له حفل استقبال كبير في قصر المنار (مقر الحكومة البرقاوية) ، وبتاريخ 16 سبتمبر أعلن رئيس الإدارة البريطانية قرار بنقل السلطات إلى الأمير محمد إدريس السنوسي وهي حق إصدار الدستور ، وتعيين المستشارين البريطانيين الماليين والقانونيين، واحتفظت بريطانيا بالدفاع، والشئون الخارجية إلى أن ينجلي الموقف الدولي، وغيرت تسميت رئيس الإدارة البريطانية إلى المقيم البريطاني .[73]

وفى 18 سبتمبر 1949 أصدر الوالي الانجليزي دى كاندول منشورا رقم 188 بنقل السلطة الإدارية في برقة إلى الأمير إدريس . وبالمقابل أصدر السيد إدريس قراراً بدستور برقة وآخر بتشكيل الحكومة ، وحظيت إجراءات التي قام بها الأمير بموافقة الحكومة البريطانية إلا أنه لم يحظ بموافقة الشعب الطرابلسى ، والنخبة المثقفة من البرقاويين وعلى رأسها أعضاء جمعية عمر المختار في بنغازي ودرنه ، بالإضافة إلى اللجنة الطرابلسية بالقاهرة ، وكذلك

72- وبروشين ، المرجع السابق ، ص 259 .
73- دى كاندول ، المرجع السابق ، ص 105 .

الحكومة المصرية التي رأت أن بريطانيا قد سبقت قرار هيئة الأمم المتحدة في شأن ليبيا.[74]

وأمام قرب موعد انعقاد اجتماعات الدورة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة كان الليبيون يطمحون في تشكيل وفد موحد يمثل ليبيا أمام المنظمة الدولية ، لكن ذلك لم يحدث بعد أن تجددت الخلافات بين الزعماء الطرابلسيين والبرقاويين من ناحية، وبين زعامة المؤتمر الوطني العام الطرابلسى وزعامة حزب الاستقلال بسبب اختلاف التوجهات السياسية بين الطرفين من ناحية أخرى ونتج عن ذلك تشكيل ثلاثة وفود ليبية للإدلاء بوجهة نظرها أمام المنظمة الدولية . [75]

جاء تكوين وفد المؤتمر الوطني العام الطرابلسى من بشير السعداوى ، ومصطفى ميزران ، ومحمد فؤاد شكري ، وذلك بموجب تكليف اجتماع مؤتمر مسلاته لبشير السعداوى برئاسة الوفد وتفويضه في اختيار مرافقيه .أما الوفد الطرابلسى الآخر والذي يمثل حزب الاستقلال فقد تكوّن من أحمد كعبار ، ومختار المنتصر، وعبد الله الشريف، وعبد الله بن شعبان . [76] بينما تكوّن الوفد البرقاوى من عمر فائق شنيب، وعبد الرازق شلقوف، وخليل القلال.[77]

وإزاء تلك الانقسامات لم تدخر جامعة الدول العربية جهداً في التوفيق بين الأطراف، وعينت ضابط اتصال في الأمم المتحدة حتى لا تبدو انقسامات الوطنيين مخلة أمام الرأي العام الدولي.

74- محمد بشير المغيربي ، المرجع السابق، ص 129-131.
75 - أحمد زارم ، المرجع السابق، ص 93 ، 94 .
76- مجيد خدورى ، المرجع السابق ، ص 124 .
77- محمد المفتي ، جمعية عمر المختار، ص 242.

ويشير عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية في مذكراته إلى ذلك قائلاً : " وكلفت السيد عبد المنعم مصطفى الوزير المفوض في وزارة الخارجية وكنت قد انتدبته لرئاسة الإدارة السياسية بالجامعة العربية بالسفر إلى الأمم المتحدة ليعمل مستشاراً لهذه الوفود واتفقت مع الزعماء الطرابلسيين على أن يعملوا تبعاً لنصائحه ". (78)

وهكذا وإزاء ذلك الوضع الخطير الذي هدد وحدة التراب الليبي واستقلاله لم يقف الشعب الليبي مكتوف الأيدي ، بل أعلن رفضه للمخططات الاستعمارية التي استهدفت حريته واستقلاله ، وصرخ بملء حناجره ملفتا أنظار المجتمع الدولي إلى عدالة قضيته، وسعى بذلك إلى قطع الطريق أمام الدول التي تسول لها نفسها أن تستبيح تراب الشعب الليبي ، أو تستهين بكرامته، وبالتضامن الوطني، والقومي، والأممي وقفوا وقفة رجل واحد مطالبين باستقلالهم ووحدتهم متناسيين كل خلافاتهم وانقساماتهم.

سادسا: الدور الذي لعبه بشير السعداوي في إعلان الاستقلال ليبيا1951م.

افتتحت الجمعية العام للأمم المتحدة اجتماعاتها في نيويورك بتاريخ 20 سبتمبر 1949م ،ووصلت الوفود الليبية إلى مقر المنظمة الدولية للإدلاء بوجهة نظرها أمام المنظمة الدولية ، وفى يوم 6 أكتوبر 1949 م وخلال انعقاد الجلسة الثانية للجنة السياسية الأولى أتيحت لمندوبي الهيئات السياسية الممثلة للحركة

78- صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 76 .

الوطنية في المستعمرات الإيطالية السابقة فرصة التحدث أمام اللجنة، فألقى بشير السعداوى كلمه وضح فيها رغبة الليبيين في الوحدة والاستقلال تحت تاج الأمير محمد إدريس السنوسي ، ثم شكر اللجنة على إتاحتها لهذه الفرصة له للتعبير عن آراء الحركة الوطنية في مصير بلاده ووحدتها ،وفى رده على سؤال المندوب الليبيري حول المدة التي يراها كافية لتحقيق الاستقلال ليبيا أجاب بشير السعداوى قائلاً إننا نريد تحقيق استقلالنا حالاً .[79]

وعينت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة فرعية في 12 من أكتوبر 1949م تكونت من سبعة عشر عضواً بهدف وضع مسودة قرار استقلال ليبيا، ولقت هذه المسودة موافقة معظم الدول الغربية ، وعارضتها الكتلة الشرقية (روسيا ، تشيكوسلوفاكيا ، بولندا) باعتبار أنها تمنح الدول الاستعمارية فرصة البقاء بالبلاد مدة طويلة، فتقدم الوفد الأمريكي باقتراح جديد يقضى باستقلال ليبيا بعد مضي ثلاث سنوات من اتخاذ قرار الاستقلال ، وفى الجلسة المسائية لنفس اللجنة صدر قرارها بأن تنال ليبيا استقلالها في مدة أقصاها الأول من يناير 1952م ، واشتمل القرار على الخطوات العملية التي تكفل للشعب الليبي حقه في اجتياز الفترة الانتقالية بنجاح وقد تمثلت في :

أولاً: تعين الجمعية العامة أميناً عاماً يعاونه مجلس لتقديم المشورة.

ثانياً: يتكون المجلس من عشرة أعضاء على الأسس التالية:

أ) ممثل من كل دولة من الدول التالية: مصر، فرنسا، بريطانيا، باكستان، إيطاليا، الولايات المتحدة الأمريكية.

79- محمود الشنيطى ، المرجع السابق ، ص 238 .

ب) ممثل عن كل منطقة من المناطق الليبية الثلاث (طرابلس – برقة – فزان) .

ثالثاً : على الأمين العام أن يستشير ويسترشد بآراء أعضاء المجلس أثناء القيام بالمسئوليات المنوط بها، وله الخيار في تحديد عدد الممثلين المستشارين وفى المناطق التي يطلب النصيحة بصددها وكذلك في الموضوعات الأخرى .[80]

وفى 13 من أكتوبر اجتمعت اللجنة الفرعية لتدارس قضية اختيار مندوب عن الأمم المتحدة لمساعدة ليبيا خلال المرحلة الانتقالية التي تسبق تسلم الليبيين السلطة فظهرت على السطح مجدداً بوادر الخلاف بين الدول الكبرى لتضارب المصالح بينهم، ثم ظهرت الخلاف مجدداً خلال اجتماع الجمعية العامة و في 15 أكتوبر ومن ثم أجلت الجمعية العامة اجتماعها حتى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر 1949م حتي يتسنى للدول أخذ الفرصة الكافية لتقريب وجهات نظرهم في شكل الحكم في ليبيا و وحدة ترابها .[81]

ووفي هذه الأثناء كثف بشير السعداوي محادثاته في أروقة الأمم المتحدة، فألتقي مع السيد ساتا فورد المندوب البريطاني في الأمم المتحدة وركزت محادثتهما حول نشاطات إيطاليا في طرابلس والمجهودات التي يبذلها حزب الاستقلال الذي تموله إيطاليا، واتفقا على استقلال ليبيا ووحدتها،

80- نقولا زيادة ، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال ، جامعة الدول العربية ،معهد الدراسات العربية العالية ، (د. م ، 1958م) ص 169، 170.

81- صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 78 .

وإمكانية التعاون مع الحكومة البريطانية في مجالات الدفاع والشئون الاقتصادية والاجتماعية .[82]

وبالإضافة إلى ذلك اتصل بشير السعداوى بمندوبي ، ومصر ، والباكستان ، والهند ، والولايات المتحدة الأمريكية ، مؤكداً لهم جميعاً أن ليبيا تطالب باستقلالها ووحدتها . والحكومة التي تنشأ فيها ستكون حكومة ديمقراطية تضمن الحرية الفردية والحقوق المشروعة للسكان جميعاً، مبيناً لهم أن الاستقلال والوحدة هي الرغبة التي اجمع عليها السكان .[83]

وهذا شجع المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة على مؤازرة الوفود الليبية بعد أن سلمه بشير السعداوى نسخة فوتوغرافية من قرارات مؤتمر مسلاته السالف الذكر والمتضمنة رغبة الشعب الليبي في الاستقلال والوحدة تحت سيادة الأمير محمد إدريس السنوسي ، وكان لذلك أثراً حسناً في نفسه مما دفعه إلى تأييد الوفود الليبية المطالبة بالاستقلال والوحدة .[84]

وفي نفس الوقت حاول بشير السعداوي ترميم التصدع الذي كان قائم بين الوفود الليبية وتقريب وجهات نظرهم حيث عقد اجتماع في 2 نوفمبر 1949 وبمقر المنظمة الدولية بين أعضاء الوفود الليبية لتبادل الرأي حول ما سيطرح على المنظمة الدولية بشأن قضيتهم الوطنية ، فظهرت الخلافات بين الوفد البرقاوى ووفد المؤتمر الوطني العام الطرابلسى من ناحية ، ووفد حزب الاستقلال الذي تمسك برأيه في عدم الاعتراف بالإمارة السنوسية على ليبيا من

82- ارويعي قناوي ، المرجع السابق ،ص 187.
83- محمود الشنيطى ، المرجع السابق ، ص 238 . عبد الرحمن الجنزورى ، المرجع السابق، ص 149 .
84- أرويعي قناوي ، المرجع السابق، ص 189.

ناحية أخرى . وبناء على طلب الوفد البرقاوى تدخل مندوبو مصر ، والعراق ، والسعودية ، والباكستان لرأب الصدع بين الوفود الليبية المتخاصمة ولتقريب وجهات نظرهم حول قضية ليبيا واستقلالها. [85]

وبعد صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 21نوفمبر 1949م بإعلان استقلال ليبيا في مدة أقصاها يناير 1952م، وموافقة الأمم المتحدة على اقتراح الوفد الهندي بتشكيل لجنة لمساعدة الشعب الليبي على اجتياز فترة الانتقال واختيار شكل الحكم ووضع الدستور.[86] وجه بشير السعداوى التهنئة إلى رئيس المؤتمر الوطني العام البرقاوى السيد محمد رضا السنوسي بتلك المناسبة السعيدة التي كان يتمناها كل مواطن ليبي ، كما وجه التهنئة إلى الشعب الليبي عبر أثير إذاعة طرابلس التي ربطت بإذاعة هيئة الأمم المتحدة في ليك سكسس ، ونشرتها جريدة طرابلس الغرب بتاريخ 26 نوفمبر 1949.[87] حيث عبّر فيها بشير السعداوى عن شكره وتقديره لموقف الوفد المصري في مساندته للقضية الليبية ، وكذلك شكر جميع تلك الحكومات والشعوب العربية والآسيوية التي وقفت إلى جانب ليبيا ودافعت عن حقها في تقرير مصيرها للوصول إلي الاستقلال والوحدة نيابة عن الشعب الليبي ، وثم عاد السعداوي إلى القاهرة ، وأبرق إلى المؤتمر الوطني العام الطرابلسى يعلمه برغبته في إجراء مشاورات مع الحكومة المصرية ، وزيارة بنغازي في طريق عودته إلى طرابلس . [88]

---

85 -المرجع نفسه ، ص190

86 -محمد المفتي ، جمعية عمر المختار ، ص240.

87- أحمد زارم ، المرجع السابق ، ص 290 – 291 .

88- هيئة تحرير الجريدة " بشير السعداوي استقبال رائع وتصريح قوي" ، جريد الوطن ، العدد 215 ، السنة 7 ،المركز العام لجمعية عمر المختار ، (بنغازي ، 1950م) .

وفى 12 ديسمبر 1949 وجه عبد الرحمن عزام نداء إلى الشعب الليبي يهنئه بالاستقلال ، وطالبهم بالعمل من أجل إقامة الدولة الليبية مستقلة تقوم على دعائم حكم وطني تكسب احترام العالم اجمع.[89]

بعد عودة السعداوي إلى طرابلس عقد المؤتمر الوطني اجتماع في 25مارس 1950م في مسجد مراد أغا بتاجوراء، ويبدو أن السعداوي كان يريد الخروج من تحت مظلة عبد الرحمن عزام المخيمة على الحركة السياسية الطرابلسية وعلى القضية الليبية، وتفنيداً للشائعات التي كانت متداولة بأن السعداوي يعمل بتوجهات بل أوامر عزام، والغرض من ذلك التقارب مع برقة[90]

وبعد المؤتمر سافر السعداوي إلي القاهرة وسلم الحكومة المصرية نسخة من مقررات اجتماع تاجوراء ، وبذلك كانت القطيعة بينه وبين عزام ، الذي قام إثر ذلك بحجب تأييد الجامعة العربية عن حزب المؤتمر الوطني كما قام عزام أيضا بتحريض بعض أنصار السعداوي ورفاقه ضدها ، وتدريجياً تخلى عليه الكثيرون طمعاً في المناصب السياسية ، حيث اتهمه البعض بتبديد المبالغ التي منحتها الجامعة العربية.[91]

مع اقتراب تكامل الاستعدادات لتكوين مؤسسات الدولة الجديدة تحت الرعاية الدولية الممثلة في شخص أدريان بلت تفاقم وضع السعداوي كزعيم ، وقبيل انتخابات 1951م تعرض السعداوي للتجريح وسحب الثقة من الشيخ

89- أرويعي قناوي ، المرجع السابق ، ص191 .
90 -الهادي المشيرقي ، المرجع السابق، ص346.
91 -محمد المفتي ، السعداوي والمؤتمر ، ص191.

الطاهر الزاوي لسان حال عزام، ومن جريدة الليبي لصاحبها علي الديب المحامي، ويبدو أن هده الحملة على السعداوي جزء من مخطط تمهيدي لتهيئة الرأي العام لضرب المؤتمر كتنظيم سياسي والتخلص من السعداوي وإبعاده. وفي هده الأثناء عين الملك إدريس محمود المنتصر رئيسا للحكومة الاتحادية المؤقتة 1951م من هنا بدأ استبعاد السعداوي عن سدة الحكم. وفي 19فبراير 1952م أجريت أول انتخابات برلمانية في المملكة الليبية بينما مضت الانتخابات هادئة في برقة، فقد صاحبتها صدامات دامية في طرابلس بين البوليس ومؤيدي المؤتمر الوطني في مصراتة وصبراتة وفندق بن غشير وسواني بن يادم وجنزور وترهونة وعلى إثر ذلك تم إعلان حالة الطوارئ ولكن نتيجة الانتخابات جاءت مخيبيه لأمال المؤتمر، فثار الشارع الطرابلسي فانطلقت المظاهرات التي اجتاحت طرابلس وغيرها وتوالت المظاهرات ثلاثة أيام وسقط فيها العديد من الضحايا واكتظت السجون بمؤيدي المؤتمر. وفي صباح 22فبراير اعتقل السعداوي وأخوه نوري وابن أخيه زهير وأحد أنصاره خليفة شعبان وتم تسفيرهم بالطائرة إلي مصر من بنغازي ، كما رُحل أحمد زارم سكرتير الحزب إلي تونس، وتهمه جميعهم أنهم يحملون جوازات سفر غير ليبية رغم إن الدولة لم تكن قد أصدرت جوازات سفر بعد، و بذلك انتهت سيرة أحد فرسان استقلال ليبيا [92]

وهكذا يتضح مما سبق أن بشير السعداوى انشغل بقضيته الوطنية منذ وصول لجنة التحقيق الدولية إلى ليبيا عام 1948م لمعرفة رأى الشعب الليبي في تقرير مصير بلاده وحرض مواطنيه على التمسك بمبادئ الاستقلال

92 - المرجع نفسه ، ص 193.

والوحدة، وحاول طيلة وجوده في ليبيا أن يرأب الصدع بين أبناء وطنه ويعمل على تقريب وجهات نظرهم، وبذلك فوّت الفرصة على دعاة الانفصال والتجزئة وحطّم مخططات الدول الاستعمارية الرامية إلى احتلال بلادهم ، وصمد في وجهها حتى النهاية منتزعاً استقلال بلاده من المنظمة الدولية انتزاعاً وذلك بفضل إيمانه المطلق بقضيته الوطنية التي استمات في الدفاع عنها ، وبمؤازرة الدول الصديقة والشقيقة له وفى مقدمتها مصر التي قدمت كل شيء ولم تدخر جهداً في سبيل حرية ليبيا ووحدة ترابها .

ورغم كل الانتقادات التي وجهت له سوف يبقي السعداوي بصمه منيرة في سجل تاريخنا الوطني فهو من أهم الزعامات التي ناضلت بحماس في المرحلة التحضيرية للاستقلال وقارع الدول الكبرى من أجل انتزاع هذا الاستقلال فهو خطيباً كسب تأييد الشعب ومناوراً سياسياً خاض أشرس المناورات السياسية داخل وخارج أروقة الأمم المتحدة ضد الدول الكبرى ومطامعها ولكن التوازنات السياسية طوحت به في آخر المطاف ليعيش منفياً ويموت خارج وطنه وليبقي رمزاً هاماً في تاريخنا المعاصر.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق المنشورة

ـ أحمد زارم ، مذكرات صراع الليبي مع مطامع الاستعمار 1943-1968م ،الدار العربية
للكتاب، (طرابلس ، 1979م).
ـــ بشير السعداوي ، فظائع الاستعمار الايطالي الفاشستي في طرابلس وبرقة ، جمعية الدفاع
عن برقة وطرابلس .
ـــ سالم الكبتي ، إدريس السنوسي الأمير و الملك ، وثائق منشورة عن دوره السياسي والوطني ،
ط1 ، ج2 ، دار الساقية للنشر (بنغازي ، 2013م)
ـــ محمد بشير المغيربي ، وثائق جمعية عمر المختار، مؤسسة دار الهلال،(القاهرة ،1993م) .
ـــ محمد عثمان الصيد ، محطات في تاريخ ليبيا (مذكرات محمد عثمان الصيد رئيس الحكومة الليبية الأسبق ، ط1 ، نشرها طلحة جبريل (الرباط ، 1996م).
ـــ المؤتمر الوطني العام البرقاوى ، محاضر جلسات المؤتمر الوطني العام البرقاوى ، محضر الجلسة الختامية المنعقدة بتاريخ 30 سبتمبر 1948م
ـــ الهادي ابراهيم المشيرقي ، ذكريات في نصف قرن من الإحداث الاجتماعية والسياسية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس ، 1980م).

ثانياً: المراجع

ـ أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الشباب للطبعة (القاهرة ، 1979م).

ـ أرويعي قناوي ، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884-1952م ، رسالة دكتوراه، غير منشوره ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، (القاهرة ، 2011م).

ـــ جميلة مفتاح الجنزوري ، ، الأندية الرياضية في ليبيا ودورها الثقافي والاجتماعي من 1943- 1969م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بنغازي ،(بنغازي ، 2017م)

ـــ جون رايت ، تاريخ ليبا منذ أقدم العصور ، ت عبد الحفيظ الميار و احمد اليازوري ، دار الفرجاني (طرابلس ، 1972م).

ـــ دى كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره ، دار عبده بن غلبون (مانشستر ،ـ

1990م)

ـ سامي حكيم، حقيقة ليبيا ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ، 1970م).

ـ صالح عثمان عبد الكريم ، موقف جامعة الدول العربية من القضية الليبية 1945-1951م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس،(بنغازي، 2002م)

ـ الصالحين الخفيفي ، جامعة الدول العربية وتأثيرها على الاتجاهات السياسية في ليبيا بعد

الحرب العالمية الثانية ، جامعة عمر المختار ، مقالة منشورة (البيضاء ، د.ت).

ـ صلاح العقاد ، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية ،(القاهرة، 1970م)

ـ الطاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا ، ط 3 ، دار المدار الإسلامي ،(بيروت ، 2004 م).

- عبدالرحمن الجنزوري ، رحلة السنوات الطويلة وقائع وتأملات في سيرة مواطن لليبي ، منشورات مركز الجهاد، (طرابلس ، 2000م).

- علجية بشير العرفي ،التاريخ الثقافي لليبيا 1943-1951م ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس،(بنغازي ،2001م) .

ـــــ محمد بشير المفتي ، جمعية عمر المختار ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني (طرابلس، 2012 م).

ـــ محمد المفتي ، السعداوي والمؤتمر 1948-1952م ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني،(طرابلس ، 2012م).

- محمد فؤاد شكرى ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها ، ج 1 ، مطبعة الاعتماد (القاهرة ، 1957م)

-..... ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها ، مج2، مطبعة الاعتماد ،(القاهرة ، 1957م).

ـــ محمود الشنيطي ، قضية ليبيا ، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة ، د.ت)

ـــ مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي ، دار الثقافة (بيروت ، 1966م).

ـــ مصطفى فوزى السراج ، ذكريات وخواطر ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 2008م).

ـــــ ن إ بروشين ، ،تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتي عام 1969م ، ترجمة عماد حاتم ،

ط 2 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (بيروت ، 2001م).

ـــــ نقولا زيادة ، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال ، جامعة الدول العربية ،معهد الدراسات العربية العالية ،(د. م ، 1958م)

ثالثاً: الدوريات:

ـــ أميرة الكريمي ، بشير السعداوي 1884 ــ 1957م ودوره في المقاومة الليبية ، مجلة آداب ذي قار الالكترونية ، جامعة ابن رشد ، كلية التربية (بغداد ،2013م).

ـــ على البوصيرى ، " دور السعداوي في الحركة الوطنية " ، مجلة الشهيد ، عدد 2 ، جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس ، د.ت)

ـ محمد الهادي أبو عجيلة ، دور الحركة الوطنية الليبية في الكفاح ضد الاطماع الاجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية ، مجلة الساتل ، (د ، ت ، د . م)

ـــ هيئة تحرير " بشير السعداوي استقبال رائع وتصريح قوي" ، جريدة الوطن ، العدد 215 ، السنة 7 ،المركز العام لجمعية عمر المختار ، (بنغازي ، 1950م)

ـــ هيئة تحرير ، ((زيارة بشير السعداوي للقاهرة)) ، صحيفة طرابلس الغرب ، عدد 1848 ، السنة 7 ، (طرابلس ، 8 يوليو 1949 م)

مكانة دول الساحل الإفريقي الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية

■ **د-هشام خليفة الكاسح**
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة ،جامعة المرقب

الملخص

رغم موقعها القابع في داخل الصحراء الكبرى بوسط الساحل الإفريقي وعدم امتلاكها أي جبهة بحرية تستطيع استخدامها في مجال التجارة والنقل ورغم فقدانها لأي عناصر حيوية يمكن أن تؤثر بها على الساحة الدولية احتلت دول الساحل الإفريقي الأوسط الأربعة (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) خلال العقدين السابقين من القرن الحالي مكانة بارزة في الإستراتيجية الأمريكية نتيجة لمستجدات طرآت على دولها حتمت على الدول الكبرى والغربية منها وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية الدخول بكل ثقلها الدولي للتعامل مع هذه المستجدات والتي من أهمها زيادة نشاطات الجماعات المتطرفة المعادية للولايات المتحدة الأمريكية والتي صارت تشكل تحدياً للمصالح الأمريكية في هذه الدول و المناطق المجاورة لها بالإضافة إلى ذلك الاكتشافات الجديدة للثروات المعدنية ومصادر الطاقة في دول الساحل الأفريقي الأوسط والتي لفتت لها أنظار الدول الصناعية الكبرى التي دخلت في منافسة محتدمة مع الولايات المتحدة من أجل الحصول على عقود للاستثمار والتنقيب هناك، مما شكل تحدياً للإدارة الأمريكية التي تطمح إلى تنويع مصادر الحصول على الطاقة والهيمنة عليها ومنع أي قوى أخرى من الاستفادة منها)

المقدمة

ظلت منطقة الساحل الإفريقي بشكل عام مجالاً هامشياً في حسابات صناع القرار في السياسة الأمريكية، ولعقود طويلة رغم اتساع مساحتها وموقعها المحوري الذي يمتد من سواحل القرن الإفريقي شرقاً إلى سواحل السنغال على المحيط الأطلسي غرباً ويربط بين مناطق أفريقيا الاستوائية جنوب الصحراء بسواحل البحر الأبيض المتوسط في الشمال الإفريقي، ولعل أكثر دول المنطقة تهميشاً في الإستراتجية الأمريكية تلك الدول الحبيسة الأربعة (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) التي تقع تقريباً في وسط شريط الساحل الإفريقي بعيدة عن الأقاليم الجيوسياسة الأساسية في السياسات الدولية، حيث ظلت النظرة الأمريكية لهذه الدول مجرد دول صحراوية خالية من الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة، ذات موقع بعيد عن الطرق الدولية للنقل البحري وتعاني عزلة قارية جعلتها تفقد كل العناصر الحيوية والجيبولتيكية التي يمكن أن تجلب اهتمام الدول الأخرى لها، هذا الموقع جعلها تفتقد لعنصري التأثر والتأثير في النظام الدولي، وعليه ظلت هذه الدول الأربعة خارج حسابات صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية سواء في فترة الاستعمار الفرنسي لها أو حتى في الفترة التي تلتها وإن كانت بنسبة أقل، تاركة لفرنسا صاحبة الإرث الاستعماري والتاريخي في دول منطقة الساحل حرية التحرك فيها حيث اعتبرته مجالاً لنشاط وحركة السياسة الفرنسية وحدها، بيد أن القيمة الإستراتيجية لهذه الدول قد تغيرت بشكل جذري خلال العقدين السابقين من القرن الحالي، حيث أخذت تشد وتستدعي انتباه صناع السياسة الأمريكية نتيجة تحديات جديدة تمثلت في انتشار الجماعات الإرهابية ذات العقيدة المتطرفة

والمعادية للغرب والتي استغلت فشل وضعف أجهزة تلك الدول بسبب مشكلات داخلية تتعلق بتخلخل الوحدة الوطنية وغياب التنمية وانتشار الفقر والمجاعة وانتشار الجريمة المنظمة وتهريب البشر والهجرة غير الشرعية لتقوم هذه الجماعات بتنفيذ عمليات إرهابية استهدفت أمن ومصالح الدول الغربية فيها وفي المناطق الحيوية المجاورة لمنطقة الساحل الإفريقي بحيث وصلت ضرباتها إلى القارة الأوروبية نفسها عن طريق جماعات متطرفة مرتبطة بها عضوياً وعقدياً، وبالتوازي مع هذه التحديات فقد بدأت خلال العقدين السابقين الاكتشافات النفطية تزداد بشكل طردي مع تزايد توافد الشركات الغربية لهذه الدول، وكذلك اكتشاف احتياطيات ضخمة من المعادن الإستراتيجية كاليورانيوم والذهب والحديد وغيرها الأمر الذي جعل الكثير من الدول خارج القارة تتجه بأنظارها لهذه الدول للحصول على عقود لشركاتها للعمل في مجال استخراج وتعدين وتصنيع وتسويق ونقل واستيراد هذه الثروات الهامة بالنسبة للدول التي خارج القارة كالدول الأوروبية والصين والبرازيل والتي بطبيعة الحال لن تجعل الشركات الأمريكية الطامحة إلى العمل في هذه الدول تقوم بأعمالها بأريحية في ظل التنافس المحموم بينها وبين شركات الدول الأخرى، ونسبة لذلك تحولت هذه الدول الحبيسة في الساحل الإفريقي التي كانت ضمن أكثر دول العالم تهميشاً في السياسات الدولية إلى محط أنظار الكثير من الدول الكبرى لعل أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية التي جعلت لها مكانة هامة في إستراتيجيتها الأمنية الشاملة ومن تم في سياستها الخارجية.

1 - الإشكالية :

سيتم تناول هذه الدراسة من خلال الإشكاليات التالية :

س1 : ما مدى أهمية دول الساحل الإفريقي الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية ؟.

س2 : ما نوع التحديات الأمنية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية في دول الساحل الإفريقي الأوسط ؟.

س3 : ما نوع السياسات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية في دول الساحل الأفريقي الأوسط ؟.

2 - فرضية الدراسة :

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن دول المحور الأوسط الأربعة (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) من الساحل الإفريقي أخذت تحتل مكانة بارزة في الإستراتيجية الأمريكية خلال العقدين السابقين من القرن الحالي رغم موقعها الداخلي في الصحراء الكبرى وذلك لأسباب اقتصادية تمثلت في الاكتشافات الهامة للعديد من الثروات كاليورانيوم والذهب والطاقة والتي جذبت الكثير من الدول الكبرى للدخول في منافسة الولايات المتحدة الأمريكية للفوز بعقود استثمار فيها ، وكذلك لأسباب أمنية بعد أن تحولت هذه الدول نتيجة لضعفها البنيوي وعدم مقدرتها على حماية حدودها الواسعة إلى بؤرة جذب للكثير من الجماعات الإرهابية المتطرفة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 والتي يمكن أن تهدد المصالح الأمريكية، مما جعل الولايات المتحدة تقوم بتبني إستراتيجية أمنية شاملة للتعامل مع هذه التحديات المستجدة في دول المحور الأوسط الأربعة من الساحل الإفريقي.

3 ـ مفاهيم الدراسة :

أ – الإستراتيجية : هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية إستراتيجيوس بمعنى القائد، ولهذا يرى البعض أنها علم القيادة، والإستراتيجية في الأعمال الحربية هي الخطة العامة الموضوعة لإحراز هدف ما، وتعرف الإستراتيجية بشكل عام بأنها : مشروع، منهجي، منظم، متناسق، يأخذ في الحسبان كل موارد الدولة، وقدراتها وقيودها وتقاليدها، وثقافتها وقيمها، من أجل تحقيق غاياتها العظيمة، التي تتضمن أمنها الخاص، ولا تقتصر الإستراتيجية على القدرة القتالية فحسب بل تتعدى إلى قوة الضغط المالي" الاقتصاد" والضغط الدبلوماسي " السياسة" والضغط التجاري، لإضعاف إرادة العدو أو البحث عن طرق لتجنب النزاع والمواجهة معه[1].

ب ـ الجيوسياسة : هو العلم الذي يركز على الظواهر الجغرافية ويعمل على خدمة سياسة معينة يتبناها صانعو السياسة والقرارات في الدولة، وتعني أيضاً تأثير الجغرافيا على السياسة، أو التحليل المكاني للظاهرة السياسية، أي دراسة الأبعاد المكانية للسياسات، فجوهر الجيوسياسة هو تحليل العلاقات السياسية الدولية على ضوء المعطيات والتركيب الجغرافي، ولهذا فإن الأوضاع الجيوسياسية تختلف مع اختلاف الأوضاع الجغرافية، التي تتغير بتغير تكنولوجيا الإنسان وما ينطوي عليه من مفاهيم وقوى جديدة لذات الأرض[2].

---

[1]ـ بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، المدخل في علم السياسة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1988، ص – ص، 405 - 406.

[2]ـ انظر محمد رياض : الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوسياسية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 65 ومابعدها.

ج - الدول الحبيسة : هي الدول التي ليس لها جبهة بحرية ويطلق عليها الدول المغلقة وهي دول لا تصل حدودها السياسية إلى أية بحار، وتعاني من ذلك في الكثير من المجالات لعل أهمها النقل، ولذا تحاول هذه جاهدة تحسين علاقاتها مع الدول المجاورة ذات المنافذ البحرية لكي تستفيد منها[3].

د - الساحل الإفريقي : هو شريط يمتد من المحيط الأطلسي غرباً، إلى البحر الأحمر شرقاً، ويقدر مساحته بثلاثة ملايين كلم مربع، يقع بين خطي عرض 12 و22 درجة، ويتراوح مناخه بين شبه جاف جنوباً وجاف شمالاً، ويتميز بهشاشته وفقره، وهو ممطر موسمياً، ويعرف نمواً ديمغرافياً كبيراً، ويشمل أجزاء من 12 بلداً، تقع في ثلاثة محاورهي كالآتي : محور شرقي ويضم السودان وإرتيريا وأثيوبيا وجيبوتي ومحور غربي ويشمل موريتانيا والسنغال وغامبيا ومحور أوسط ويشمل تشاد و النيجر و مالي وبوركينافاسو بالإضافة إلى نيجيريا[4]، وقد تم اختيار الدول الأربعة الأولى من المحور الأوسط من شريط الساحل الإفريقي لتكون موضوع هذه الدراسة نظراً للتشابه الكبير بينها في الكثير من الجوانب السياسية والجغرافية والاقتصادية والديمغرافية ولقربها المباشر للمنطقة المغاربية لا سيما ليبيا.

4 - أهداف الدراسة :

أ - التعرف على العناصر الحيوية والجيوسياسية لدول المحور الأوسط للساحل الإفريقي في الفكر الاستراتيجي الأمريكي.

---

[3] محمد أبوعيانة فتحي، دراسات في الجغرافيا السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 48

[4]- كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، ط:1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2014، ص - ص 9 - 10

ب ـ التعرف على التحديات الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية في دول المحور الأوسط للساحل الإفريقي .

ج ـ التعرف على السياسات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة التحديات الأمنية في الدول الأربعة للساحل الأفريقي الأوسط .

د ـ إبراز المصالح الاقتصادية الأمريكية في الدول الأربعة الحبيسة من الساحل الإفريقي ومدى تأثيرها في تحديد السياسات الأمريكية تجاه هذه الدول.

ه ـ التعرف على الخلفية التاريخية لعلاقة الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الدول ومعرفة مدى تأثيرها على تطور العلاقات الحالية بينهم.

و ـ التعرف على أسباب الاهتمام الأمريكي بمجريات الأحداث وتطورها داخل دول الساحل الإفريقي الأوسط.

5 ـ أهمية الدراسة :

أ ـ تكشف هذه الدراسة عن مدى أهمية دول الساحل الأفريقي الأوسط في الفكر الاستراتيجي الأمريكي وذلك من خلال إلقاء الضوء على الاستراتيجيات والسياسات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع الدول الساحل الأفريقي الأوسط.

ب ـ تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تلقي الضوء على دول مجاورة لمنطقة المغرب العربي لاسيما ليبيا التي يرتبط أمنها بأمن هذه الدول الأربعة من الساحل الإفريقي فكل ما يحدث في هذه الدول يؤثر بشكل مباشر على أمن واستقرار ومصالح الدولة الليبية نتيجة لعناصر التاريخ والجغرافية والديمغرافيا.

ج ـ إن للتوجهات السياسية لدولة الولايات المتحدة الأمريكية تأثيراً هاماً على مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية في كل دول العالم، كونها لا تزال تحتفظ بمكانة محورية هامة تؤولها للقيام بدور بارز على صعيد العلاقات الدولية، بل يتعدى ذلك ليصل إلى التأثير على الشؤون الداخلية لبلدان عدة حول العالم والتي من ضمنها دول الساحل الإفريقي المجاور للحدود الليبية.

د ـ إلقاء الضوء على مكانة دول الساحل الإفريقي الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية وما انعكس عنها من سياسات وعلاقات ستجعلنا أكثر معرفة وفهماً وإلماماً بالقضايا المعاصرة لهذه الدول المهمة للدولة الليبية و يؤدي بنا إلى إمكانية التنبؤ بالمستقبل لتجنب أي أخطاء محتملة في العلاقات الليبية مع دول الساحل الإفريقي وكذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأكثر تأثيراً في النظام الدولي.

6ـ منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة على المدخل الوصفي الذي سيتم من خلاله وصف العناصر الجيوسياسية لدول الساحل الإفريقي الأوسط (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) ، كما أنه سيتم استخدام المنهج التحليلي الذي سيتم من خلاله تحليل أثر المستجدات الأمنية والاقتصادية لهذه الدول على تغيير الإستراتجية الأمريكية باتجاهها لتتحول من دول هامشية إلى دول مهمة لأمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وتحليل السياسات التي تبنتها الولايات المتحدة في تعاملها معها لتحقيق مصالحها الحيوية، بالإضافة إلى ذلك سيتم استخدام المدخل التاريخي لاكتشاف الجذور التاريخية للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الساحل الإفريقي الأوسط ، وإلقاء الضوء على تطور هذه العلاقات

بتطور المتغيرات في النظام الدولي، وما أسفر عنها من نتائج نستطيع من خلالها فهم العلاقات الحالية بشكل أكثر وضوحاً وفهماً وتسمح لنا بالتنبؤ بالعلاقات المستقبلية بناء على معطيات الماضي والحاضر.

المبحث الأول : مقاربة جيو - سياسية وتاريخية لدول الساحل الأفريقي الأوسط.

تمهيد :

تشترك دول الساحل الحبيسة الأربعة (تشاد- النيجر - مالي - بوركينا فاسو) أو ما يطلق عليها دول المحور الأوسط من منطقة الساحل الإفريقي في سمات سياسية وجغرافية واقتصادية وبنيوية واجتماعية وتاريخية متشابهة بشكل كبير جداً، فكل منها عانت التهميش والعزلة بسبب موقعها الجغرافي وتجرعت مآسي المجاعات وسوء الأحول الصحية وانتشار الفقر بسبب ضعف أجهزة الدولة فيها وندرة الموارد سابقاً وعدم الاستقرار السياسي لكثرة حركات المعارضة و التمرد على حكوماتها، نتيجة لغياب عدالة توزيع الموارد بين مكوناتها العرقية التي تتميز بالتنوع الكبير، وبسبب هذه المشاكل ظلت هذه الدول بعيدة عن اهتمامات الدول الكبرى، ولعل من صدف الأحداث و مجرياتها أن تتحول تلك المشاكل من سبب لتهميشها إلى دافع رئيس لاهتمام الدول الكبرى بها تأتي في مقدمتها الولايات المتحدة بعد أن انتهزت جماعات التطرف ضعف أجهزة دولها وعدم قدرتها على التحكم في حدودها واتساع مساحتها لتجعل منها مركزاً تنطلق منه لكي تقوم بعملياتها داخل الدول نفسها والدول المجاورة مستهدفة مصالح الدول الغربية ورعاياها المتواجدين في منطقة الساحل وخارجها.

وانطلاقاً من ذلك سيتم إلقاء الضوء على هذا المبحث من خلال الآتي :

1- التعريف بالخصائص الجغرافية والاقتصادية والسياسية لدول الساحل الأفريقي الأوسط.

تمتد منطقة الساحل الإفريقي على مساحة تفوق تسعة ملايين كلم مربع، في فضاء شاسع يفصل بين فضاءين جيوسياسين هما : أفريقيا الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا السوداء جنوب الصحراء[5]، وتمتد المنطقة من سواحل القرن الإفريقي على البحر الأحمر وبحر العرب شرقاً إلى سواحل السنغال وموريتانيا على سواحل المحيط الأطلسي غرباً بمسافة 7800 كيلومتر، وتتكون المنطقة من ثلاثة محاور رئيسية هي : المحور الشرقي الذي يمتد من حدود السودان إلى سواحل القرن الإفريقي شاملاً دول السودان وأثيوبيا وإرتيريا وجيبوتي والجزء الشمالي من الصومال، والمحور الغربي الذي يضم السنغال وموريتانيا وغامبيا، والمحور الأوسط الذي يضم أربعة دول حبيسة هي تشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو، حيث تقع معظم أراضيها في الصحراء الداخلية لمنطقة الساحل الإفريقي، ويتميز هذا المحور بأنه تاريخياً لم يحصل على الأهمية نفسها التي حازها المحوران السابقان في السياسات الدولية، إلا أن التفاعلات الحديثة التي طرأت خلال العقدين الأخيرين غير من مكانته الهامشية السابقة إلى مكانة مهمة جعلت منه مركز تأثير على

[5] أحمد إدريس، منطقة الساحل الإفريقي وأمن المغرب العربي، المغرب العربي وأفريقيا، مجموعة الخبراء المغاربين، مركز الدراسات المتوسطية والدولية، العدد:4، فبراير، 2011، ص 9.

المحورين السابقين وعلى كل الفضاءات المجاورة شمالاً وجنوباً[6]. ويتميز هذا المحور بشساعة المساحة التي تتربع عليها دوله، إلى جانب ضعف الكثافة السكانية وعدم استقرارها وتشتت تجمعاتها الحضرية وتعدد طوائفها الدينية (أغلبية مسلمة - مسيحيون - و بنسبة أقل وثنيون) وعدم توازن التوزيع البشري بين مناطقها، مما جعلها تتسم بالتخلخل السكاني وبضعف القوة البشرية المنتجة.

و الجدول رقم (1) يوضح المساحة وعدد السكان لكل دولة من دول المحور الأوسط الأربعة للساحل الأفريقي[7].

جدول رقم (1)

الدولة	المساحة	عدد السكان
تشاد	1.284.000	10.543.464
النيجر	1.267.000	15.878.271
مالي	1.240.192	13.796.354
بوركينافاسو	274.200	16.241.811

[6] كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، ط:1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2014، ص - ص 9 - 38

[7] إبراهيم حلمي الغوري، أطلس العالم، دارالشرق العربي، بيروت، 2013، ص - ص 18-19.

وبالنظر إلى الجدول السابق يتضح الحجم الكبير للمساحة الجغرافية التي تشغلها الدول الأربعة التي تتصف بالضعف البنيوي والعجز الوظيفي وعدم السيطرة، يظهر ذلك من خلال عدة مؤشرات لعل أهمها :

أ - غياب أجهزة الدولة في المناطق البعيدة عن مراكز الحكم وما نتج عنه من تهميش أدى إلى ظهور حركات التمرد ضد سلطات الدولة المركزية.

ب - عدم قدرة الدولة على الاحتكار الشرعي للقوة وحصرها في الجهات المخولة قانوناً للدولة.

ج - عجز الدولة عن حماية الحدود التي تتصف بالاتساع الكبير ومنع تسرب الأسلحة وجماعات الجريمة والتطرف والممنوعات.

د - تكرار الانقلابات العسكرية بحجة فقدان الشرعية للسلطات الحاكمة.

ولعل الجدول رقم (2) يوضح مدى الفشل التي تعانيه الدول الأربعة في أدائها الوظيفي والتنموي والأمني[8].

الدولة	مؤشر الدول الفاشلة الدرجة (60 - 1)	السلام والصراع	التنمية البشرية (128 - 169)
تشاد	2	16.6	163
النيجر	20	33.1	167
مالي	-	25.9	160
بوركينافاسو	35	-	161

[8] أميرة محمد عبدالحليم، تنظيم القاعدة في الساحل الإفريقي وربيع الثورات العربية، آفاق أفريقية، السنة، 11، العدد38، 2012، ص 123

وبطبيعة الحال فإن اتساع المساحة دائماً ما يصحبه تنوع وتعدد في الثقافات فبالرغم من أن غالبية سكانها من المسلمين باستثناء مجموعات مسيحية قليلة كما هي موجودة في مناطق جنوب تشاد فإن هذه الدول تمتاز بتنوع عرقي ألقى بظلاله على البناء الاجتماعي لها، فعلى سبيل المثال نجد في النيجر قبائل الهوسا والزرما والطوارق، والعرب ، وفي مالي قبائل البامبارا والسونغاي والبولس والكانوري والطوارق والعرب، و في تشاد قبائل التبو والقرعان والزغاوة والعرب والسارة و بوركينا فاسو قبائل بمبارا مورو وموسي وبولس ديولا، ونسبة لذلك فإن هذه التركيبة المتنوعة لهذه الدول جعلت من مستوى التجانس الاجتماعي ضعيف جداً، و مع غياب التنشئة الوطنية أصبحت بؤرة للصراع القبلي ولحركات التمرد المطالبة بالعدالة وبالانفصال في بعض الأحيان كالأزمات التي أشعلها الطوارق في النيجر ومالي[9]، وتقع دول المحور الأربعة ضمن المناطق الاستعمارية التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي وترتبط مع فرنسا بروابط ثقافية وبعضوية كاملة في منظمة الفرانكوفونية، ويتسم هذا المحور وبشكل يكاد يكون ثابتاً بخصائص طبيعية وجغرافية متميزة، قوامها أربعة عناصر هي : الجفاف، والمجاعة، والتصحر، والحرارة المرتفعة جداً، وهي عناصر تدل على حجم المأساة الإنسانية التي تحتضنها هذه الدول، ونسبة لذلك فقد اتسم النظام الاقتصادي لهذه الدول بالفقر و التدهور الصحي والاستدانة العالية واضطراب الموارد الزراعية والجهل

[9] عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، المستقبل العربي، العددان : 45-46، شتاء - ربيع، 2015، ص 73

والتخلف، وهذه العوامل من شأنها تغذية مصادر عدم الاستقرار في هذه الدول كانتشار الجريمة المنظمة وحركات المعارضة وجماعات التطرف، حيث تحتل هذه الدول المراتب الأخيرة في مؤشر التنمية والبشرية لسنة 2014، فنجد على سبيل المثال النيجر في المرتبة 187 وتشاد 184 و مالي 176 وبوركينا فاسو 181[10].

جدول رقم (3) يوضح حجم كل دولة من الدول الأربعة مقارنة مع الناتج المحلي الإجمالي، بالنسبة المئوية ، لعام 2016[11].

الدولة	الناتج المحلي (مليار دولار)	نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي
تشاد	12	43
النيجر	6	46
مالي	8	35
بوركينا فاسو	10	32

وعلى الرغم من أن أغلب دول الساحل الإفريقي تقع ضمن قائمة الدول الأكثر فقراً والأقل نمواً على مستوى العالم، إلا أنها صارت مؤخراً ذات أهمية جيو اقتصادية كبيرة جداً تبعاً لحجم الثروات المعدنية المتنوعة والمتوفرة فيها، وعلى رأسها الذهب، واليورانيوم والفوسفات، والكالويين والملح والحجر

[10] تقرير التنمية البشرية 2014: المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر، نيويورك : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2014.
[11] مجلة قراءات إفريقية ، الدول الإفريقية في مستنقع الديون الخارجية، على الموقع الإلكتروني : https://www.qiraatafrican.com/country/BF

الجيري والجبس والجرانيت والطاقة الكهرومائية والبوكسات والحديد والمنجنيز، فقد ظهرت خلال العقدين الأخرين اكتشافات نفطية مهمة في هذه الدول ، ففي عام 2003 بدأت تشاد في تصدير أول صادراتها من النفط الخام بكميات تقدر ب200 ألف برميل، وقد وصل سقف إنتاجها السنوي عام 2006 إلى 210 مليون برميل، الأمر الذي جعلها ثاني أكبر منتج للنفط في منطقة الساحل بعد نيجيريا، وقد قدرت الاحتياطيات المؤكدة لتشاد ب 900مليون برميل[12]، كما أن عمليات الحفر التي بدأت منذ عام 2007 في شمال مالي وتحديداً في حوض تاوديني الذي تتقاسمه كل من الجزائر وموريتانيا ومالي تنبئ بنتائج مشجعة، وكذلك في الأقاليم الشمالية (غاو- تمنبكتو - كيدال) التي تم اكتشاف النفط والفوسفات واليورانيوم فيها عن طريق إحدى الشركات الإيطالية منذ العام2010، ويشكل الذهب أهم مادة يتم إنتاجها في مالي ، حيث تنتشر مواقع استخراجه في الأقاليم الجنوبية والجنوبية الغربية للبلاد، وقد احتلت مالي عام 2010 المرتبة الرابعة في كمية الإنتاج على مستوى دول القارة الإفريقية[13]، ويشكل اليورانيوم أهم مادة يتم إنتاجها في دولة النيجر، وتتميز النيجر بكونها ثالث مصدر لليورانيوم عالمياً بعد استراليا وكندا، ويوجد على أراضيها أكبر منجم لليورانيوم في العالم هو منجم "إيمورارن" الذي شيدته شركة "إيرفا " الفرنسية، وبحسب الخبراء إن اتجاه العالم إلى البحث عن

[12] فوزية قاسي، الساحل الإفريقي من منظور الأمن الطاقوي الأمريكي حماية تدفق الإمدادات من خليج غينيا، قراءات إفريقية، العدد التاسع عشر، محرم - ربيع الأول، مارس 2014، ص - ص 30-31

[13] مادي إبراهيم كانتي، الصراع الداخلي وانتقال حرب الإرهاب إلى مالي، مجلة دراسات إفريقية، العدد: صفر، السنة الأولى، تشرين الأول، مركز الدراسات الإفريقية، العراق، 2016، ص - ص 30 - 34.

الطاقات البديلة للنفط والغاز لإنتاج الكهرباء والطاقة النووية بما في ذلك التي يمكن استخدامها في المجال المدني، سيزيد من أهمية اليورانيوم في العالم وبالتالي سيؤدي إلى زيادة الطلب عليه وزيادة ارتفاع أسعاره واحتدام التنافس العالمي من أجل السيطرة عليه واحتكار استخراجه والإشراف على إنتاجه وتسويقه، وقبل هذا وذاك الفوز بالنصيب الأكبر منه[14]، وقامت بوركينا فاسو بسن تشريعات شجعت الشركات الغربية على التسابق للحصول على عقود تنقيب فوق أراضيها، مما أدى إلى ازدياد كبير في إنتاجه، فمع حلول 2010 صار الذهب المصدر الرئيس لعائدات البلاد، وقد تضاعف إنتاجه خلال الأعوام 2009 إلى 2011[15]، وتمتلك دول المحور الأوسط في الساحل الإفريقي سمات جيو سياسية تضفي عليها مزيداً من الأهمية : فهي تشغل كل مناطق الصحراء الكبرى التي تمثل مفترق لكل طرق النقل والتجارة التي تربط شمال القارة الإفريقية بجنوبها، وتتميز دولها بانخفاض معدلات التنمية وانتشار بوادر عدم الاستقرار وتفجر الأزمات فيها، وكذلك في الدول القريبة منها كالسودان والصومال وليبيا، كما أنها أصبحت تكتسب أهمية بارزة في الإستراتيجية الأمريكية لقربها من مناطق غنية بالنفط تعتمد عليها في سد احتياجاتها منه و تعزيز التنوع الجغرافي لإمدادات الطاقة وعدم الاعتماد بشكل كلي على نفط الخليج العربي، كخليج غينيا الغني بالنفط ونيجيريا والسودان

[14] عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، مرجع سابق ذكره، ص 73. وانظر : راوية توفيق، السياسة الفرنسية، في إفريقيا، الأداة العسكرية في خدمة المصالح الاقتصادية ودعاوي المهمة الحضارية، قراءات إفريقية، العدد 20، أبريل 2014، ص - ص 26-32

[15] مجلة قراءات إفريقية ، بوركينا فاسو بيانات اقتصادية، على الموقع الإلكتروني : https://www.qiraatafrican.com/country/BF/

ونفط غرب إفريقيا، وهذا الأمر جعل منها تكتسب دوراً إقليمياً متقدماً من خلال الاعتماد عليها في التحالف معها ضد الإرهاب وهذا بطبيعة الحال يعزز من مكانتها الإستراتيجية في النظام الدولي، وتعد المنطقة تاريخياً بوابة عبور للمهاجرين غير الشرعيين الذين يقطعون آلاف الكيلومترات عبر مدن الصحراء الكبرى باتجاه السواحل المغاربية للانتقال إلى دول أوروبا الغربية، فخلال العقدين الآخرين أضحت هذه الدول الأربعة أكثر الدول التي يعبر منها المهاجرون غير الشرعيين مروراً بدول شمال أفريقيا باتجاه الدول الغربية، ونسبة لذلك أصبحت هذه الدول في العقدين الآخرين من المناطق التي تنشط فيها السياسة الأمريكية بشكل كبير وفي كل المجالات الأمنية والعسكرية والاقتصادية.

2- التطور التاريخي للاهتمام الأمريكي بدول الساحل الأفريقي الأوسط.

لم تكن منطقة الساحل الإفريقي بشكل عام قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 ضمن المناطق التي تحوز اهتمام صناع القرار الأمريكي، وتم اعتبارها من المناطق الهامشية في العالم، خاصة تلك الدول الحبيسة في المنطقة والتي تضم كلاً من تشاد والنيجر ومالي وبوركينافاسو، والتي ظلت تعيش في حالة من العزلة التامة عن ما يحدث في السياسة الدولية بسبب موقعها الجغرافي الذي يشكل مساحة صحراوية حاجزة بين الشمال والجنوب، وتفتقد إلى أي منفذ بحري تطل به على العالم الخارجي، لهذا تركت الولايات المتحدة الأمريكية هذه المنطقة للنفوذ الفرنسي باعتبارها المهيمن التاريخي عليها، وصاحبة التجربة الاستعمارية فيها وما ترتب عليها من علاقات ثقافية خاصة تربط هذه

الدول بالدولة الفرنسية، وعلى الرغم من أن الاهتمام الحقيقي لمنطقة الساحل الإفريقي بشكل العام وهذه الدول بشكل خاص قد جاء بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 إلا أن هناك بعض الاهتمامات والتحركات الأمريكية المعتبرة بدأت منذ منتصف القرن الماضي، وتعتبر هذه التحركات السياسية والاقتصادية المبكرة نسبياً بداية التغيير التدريجي للسياسة الأمريكية تجاه القارة الإفريقية بشكل عام و ما فيها من أقاليم والتي من ضمنها منطقة الساحل الإفريقي، جاءت البدايات الأولى للرد على محاولات تمدد الاتحاد السوفيتي في قارة إفريقيا عندما قام ريتشارد نكسون نائب الرئيس الأمريكي إيزنهاور في أواخر عقد الخمسينات من القرن الماضي بزيارة إلى عدد من الدول الإفريقية بما في ذلك ليبيا، حيث شكلت هذه الزيارة نقلة نوعية في السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا، فقد احتوى تقرير نيكسون عن هذه الزيارة على أهمية إفريقيا بالنسبة للسياسة الأمريكية باعتبارها تحقق هدفين أساسيين هما : محاصرة المد الشيوعي، ورفض أي وضعية إقصائية على حساب الدول الاستعمارية التقليدية[16]، ونتيجة لذلك أوعز الرئيس الأمريكي إيزنهاور عام 1958 بإنشاء مكتب شؤون إفريقيا يهتم بإقامة ومتابعة العلاقات مع عدد من الدول الإفريقية المستقلة بشكل مباشر دون الاعتماد على الحلفاء الأوروبيين[17]، وفي نفس السياق أوصى تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكية عام 1959 على ضرورة بقاء ليبيا تابعة للغرب لكي يتم منع التغلغل الشيوعي في دول الشرق الأوسط ودول الساحل الإفريقي

[16] سعيد الهوسي، مكانة دول المغرب العربي الأمنية في الإستراتيجية الأمريكية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد : 33، شتاء،2012، ص 38.

[17] خيري عبدالرازق جاسم، قيادة عسكرية أمريكية جديدة لإفريقيا : فرصة أمريكية ومحنة إفريقية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد : 21، فبراير، 2009، ص 89.

المجاورة[18]، ولهذا ظلت السياسة الأمريكية في القارة الإفريقية فترة الحرب الباردة تسير وفقاً لمبدأ الاحتواء الذي وضعه السياسي الأمريكي جورج كينان بهدف منع التمدد الشيوعي خارج مناطقه، حيث أقامت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها مع الكثير من الدول الإفريقية مع بداية استقلالها في فترة الستينات بما في ذلك تشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسوعام 1960، وكنتيجة للحرب الباردة التي كانت الدول الإفريقية إحدى ساحاتها برزت حركات وأحزاب ومنظمات وحكومات إفريقية تحمل أيديولوجيات متطرفة لفرض الاشتراكية أو الرأسمالية مدعومة من هذا القطب أو ذاك، مما أدى إلى اشتعال الكثير من الحروب والانقلابات في القارة الإفريقية ولم تكن دول الساحل الأربعة بمعزل عنها، إذ تعرضت كل من النيجر وبوركينافاسو ومالي لانقلابات متعددة تأرجح ميولها بين المعسكرين، واندلعت الحرب الليبية التشادية التي ألقت فيها الولايات المتحدة الأمريكية بثقلها لصالح حليفها الرئيس التشادي السابق حسين حبري ضد نظام القذافي المعادي للدول الغربية، وبدا لبعض المراقبين أنه بانتهاء الحرب الباردة بشكل كامل في بداية عقد التسعينات من القرن الماضي وزوال خطر التمدد الشيوعي في القارة الإفريقية سيقلل من أهمية دول القارة الإفريقية في الإستراتجية الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة عقب فشل تدخلها في الصومال عام 1992- 1994 وسحب قواتها مفضلة عدم التدخل في المناطق المشتعلة في القارة الإفريقية حفاظاً على أمن جنودها وتقليل التكاليف التي تحتاجها مثل هذه التدخلات، غير أن التحديات

[18] سيد عبدالرحيم أبوالخير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو ليبيا منذ 1969 - 1989، زهران للنشر، القاهرة، 2003، ص - 23-24.

التي برزت في القارة بعد انتهاء فترة الحرب الباردة أظهرت عكس ذلك، ففي منطقة الساحل الإفريقي وبسبب انتشار الفقر والتخلف وضعف التنمية وفشل الدولة الحديثة ظهرت جماعات الجريمة المنظمة ونشطت الهجرة غير الشرعية وانتشرت الجماعات الإرهابية ذات العقائد المعادية للغرب والتي أخذت تقوم بنشاطات إرهابية كخطف السياح الغربيين و تهديد الشركات الغربية والأمريكية العاملة في المنطقة في مجال استخراج المعادن والبترول التي بدأت تكتشف تباعاً في المنطقة خاصة تشاد والنيجر ومالي، وكذلك في المناطق والدول المجاورة لها ، وعليه بدأت المراجعات للسياسة الأمريكية تجاه إفريقيا من خلال مراكز البحوث الأمريكية التي نوهت لضرورة الاهتمام بمصالح الولايات المتحدة في القارة الإفريقية[19] ، وقد استشعر صناع القرار السياسي الأمريكي بشكل جدي أهمية التحرك في هذه المنطقة والتعامل معها، عندما تعرضت سفاراتها في كينيا وتنزانيا عام 1998 لتفجيرات إرهابية نفذتها جماعات متطرفة تنشط في شرق القارة وترتبط بالجماعات المتطرفة الأخرى المنتشرة في منطقة الساحل والشمال الإفريقي، حيث توالت زيارة المسئولين

[19] يمكن تلمس أهداف التحرك الاقتصادى الأمريكى في أواخر التسعينات من القرن الماضي فى أفريقيا من خلال التقرير الذى صدر فى منتصف عام 1997 بعنوانه ـ تعزيز العلاقات الاقتصادية للولايات المتحدة مع أفريقيا ـ حيث قام بإعداده فريق مستقل من الخبراء تم تكليفهم من مجلس العلاقات الخارجية وقد أوصى التقرير بأن تكون الولايات المتحدة فى مقدمة الدول الصناعية الكبرى التى يجب أن تستفيد من الفرص الجديدة فى أفريقيا ونسبة لذلك عملت الإدارة الأمريكية بشكل نشط على إدماج أفريقيا فى الاقتصاد العالمى من خلال: أ ـ تشجيع الدول الأفريقية على انتهاج سياسات اقتصادية ناجحة وهو الأمر الذى يحقق التنمية المستدامة لخلق أفضل الفرص للتجارة والاستثمارات الأمريكية فى القارة ب ـ قانون النمو والفرص فى أفريقيا، وهو الذى وافق عليه الكونجرس فى إطار تحقيق الرؤية الأمريكية الجديدة حول أفريقيا.: ***حمدي عبدالرحمن :السياسة الأمريكية*** تجاه إفريقيا من ***العزلة إلى الشراكة***، ***السياسة*** الدولية، العدد 144، يناير، 2013، ص (192- 193)

الأمريكيين للدول الإفريقية لعل أبرزها الجولة المكوكية التي قام بها الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون والذي أعلن خلالها عن قيام الشراكة الأمريكية الإفريقية، وفي نفس السياق وعقب زيارة ويليام مايكل وزير التجارة الأمريكي لبعض الدول الإفريقية صرح قائلاً " إن إفريقيا تمثل الحدود الأخيرة للمصدرين والمستثمرين الأمريكيين، وفيها إمكانيات كبيرة وواعدة ولقد سبق وأن ترك رجال الأعمال والمال الأمريكيون الأسواق الإفريقية لزمن طويل لتكون منطقة نفوذ لمنافسينا"، وهو المسار نفسه الذي أدركته وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت حيث قررت في إحدى زياراتها أن التحالفات الجديدة ستكون هي التحالفات العسكرية بالنسبة للقرن القادم[20]، كما أصدر نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني تقريراً في العام 2001 أكد فيه على أن أفريقيا أحد المصادر المتنامية بسرعة من النفط والغاز، وفي السياق نفسه أكد والتر كانستينر مساعد وزير الخارجية للشؤون الإفريقية في فبراير 2002 على أن النفط الإفريقي أصبح مصلحة إستراتيجية قومية لأمريكا، وفي خطاب حالة الاتحاد عام 2006 للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش عن عزم الولايات المتحدة الأمريكية عن 75% من الواردات النفطية القادمة من الشرق الأوسط[21]، ونسبة لذلك بدأت الشركات الأمريكية مع بداية العقد الأول من القرن الحالي في التوافد إلى مناطق غرب إفريقيا وساحل غينيا الغني بالنفط ودول الساحل الإفريقي لا سيما تشاد والنيجر ومالي التي بدأت فيها الاكتشافات

[20] الطاهر قاضي، الاهتمام والتنافس الدولي على منطقة الساحل الإفريقي، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، العدد الخامس آذار- مارس، 2019

[21] السيد خالد التزاني، الانتشار العسكري الأمريكي : الدوافع والرهانات، مركز دراسات الوحدة العربية على الموقع الإلكتروني :
www.caus.org.lb/ar/

النفطية تتزايد بشكل كبير وباحتياطيات ضخمة، حيث أخذت الكثير من الشركات الأمريكية تتسابق للحصول على عقود عمل داخل هذه الدول، وتأتي شركتا شيفرون تبكاستون وشركة إكسون موبيل أبرز الشركات التي أصبحت تمتلك استثمارات ضخمة في منطقة الساحل وغرب إفريقيا، والتي تقدر بعشرات المليارات من الدولارات[22]، غير أن التطور الأهم الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تلقي بثقلها في منطقة الساحل الإفريقي هو تفجيرات 11 سبتمبر 2001 والتي من تداعياتها تبني الولايات المتحدة إستراتيجية الحرب العالمية على الإرهاب، خاصة عندما أعلنت بعض الجماعات المتطرفة في الساحل والصحراء تبعيتها لتنظيم القاعدة الأم في المشرق، ونسبة لذلك أصبحت منطقة الساحل الإفريقي الجبهة الجديدة للحرب العالمية على الإرهاب، وخوفاً من أن تتحول هذه المنطقة إلى ملاذً أمن للجماعات الإرهابية والتي يمكن أن تشكل خطراً على الأمن الطاقوي فيها، كثفت الولايات المتحدة من حضورها في دول المنطقة لاسيما النيجر وتشاد ومالي وبوركينا فاسو من خلال إشراكها في مبادرات أمنية وإقامة قواعد عسكرية وزيادة نشاط قوة الإفريكوم في هذه الدول الأربعة، وتزايد الزيارات للمسئولين الأمريكيين بما في ذلك قائد الإفريكوم لهذه الدول للتنسيق معها في محاربة الجماعات المتطرفة، وربما لنقل مقر قيادة الإفريكوم إلى إحدى هذه الدول الأربعة باعتبارها تمثل موقعاً محورياً في قلب منطقة الساحل الشاسعة ولقربها من دول الشمال الإفريقي حيث تنشط جماعات متطرفة في ليبيا كداعش والقاعدة، وفي الجزائر كالجماعة السلفية للدعوة والقتال وقاعدة المغرب الإسلامي وغيرها،

[22] المرجع السابق.

وفي الجنوب حيث الجماعة النيجيرية المتطرفة (بوكو حرام)، وعليه تحولت هذه الدول الحبيسة القابعة في وسط الصحراء من دول هامشية ليس لها قيمة إستراتيجية في السياسات الدولية إلى محط اهتمام الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في العقدين الأخيرين.

المبحث الثاني / التحديات الأمنية والاقتصادية للولايات المتحدة في دول الساحل الأفريقي الأوسط.

تمهيد

تواجه الولايات المتحدة الأمريكية تحديات أمنية واقتصادية كبيرة في دول الساحل الأوسط من الساحل الإفريقي، هذه التحديات استجدت خلال العقدين السابقين من القرن الحالي، وقد تم تحديدها والإعلان عنها من خلال مراكز البحوث الأمريكية وصناع القرار السياسي الأمريكي وتضمنتها الوثائق الأمنية و الاستراتيجيات الأمريكية التي تبنتها الإدارة الأمريكية عقب هجمات 11 سبتمبر 2001، ولعل أبرز هذه التحديات تلك التهديدات الآتية من جماعات الإرهاب المتطرفة التي أخذت تتجمع في منطقة الساحل الإفريقي خلال العقدين السابقين، بالإضافة إلى ذلك التنافس الدولي على مناجم الثروات الطبيعية و الطاقة التي تم اكتشافها في المنطقة باحتياطيات ضخمة جعلتها محط أنظار الدول الكبرى في العالم، مما يؤدي إلى تحد كبير للاقتصاد الأمريكي وللزعامة الأمريكية على العالم.

وانطلاقاً من ذلك سيتم إلقاء الضوء على هذا المبحث من خلال الآتي :

1- التحديات الأمنية.

من المعروف أن البدايات الأولى لعمليات الإرهاب في القارة الإفريقية حدثت في الجزائر ومصر في بداية التسعينات من القرن الماضي، ثم أخذت تنتشر في مناطق مختلفة من القارة لاسيما في منطقة شرق إفريقيا عندما قامت منظمة القاعدة بضرب سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في كينيا وتنزانيا عام 1998، وإلى ذلك الوقت لم تشكل منطقة الساحل الإفريقي أي تهديد لأمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية، لكن بحدوث تفجيرات 11 سبتمبر 2001 و ما جاء بعدها من تداعيات تحولت المنطقة إلى إحدى المناطق التي شكلت تهديداً حقيقياً للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم تحديدها ضمن اهتمامات صانعي الإستراتجية الأمريكية باعتبارها إحدى الساحات الأساسية للحرب العالمية على الإرهاب التي أعلنتها الولايات المتحدة عقب تفجيرات 11 سبتمبر 2001، وقد تزايدت هذه التهديدات الإرهابية في منطقة الساحل الإفريقي عقب اندلاع ثورات الربيع العربي وسقوط نظام القذافي وفتح مخازن السلاح، حيث شهدت هذه المنطقة لاسيما دول المحور الأوسط بحكم موقعها الجغرافي القريب من ليبيا رواجاً كبيراً للأعمال غير المشروعة كتهريب البشر والجريمة المنظمة وانتشار السلاح، بالإضافة إلى ذلك عودة المئات من مسلحي الطوارق بكامل أسلحتهم وعتادهم إلى بلادهم في النيجر ومالي[23]، فمع زيادة انتشار جماعات التطرف التي تتبنى عقيدة معادية للحضارة الغربية وتحددها كهدف مشروع لعملياتها تعززت المخاوف الأمريكية من إمكانية تكرر تلك التفجيرات التي حدثت لسفاراتها في شرق إفريقيا، فقد استطاعت هذه الجماعات استغلال

[23] مادي إبراهيم كانتي، الصراع الداخلي وانتقال حرب الإرهاب إلى مالي، مرجع سابق ذكره، ص 38

الضعف الوظيفي لدول الساحل والفراغ الأمني في منطقة صحراوية شاسعة لكي تتحرك بكل سهولة للقيام بعمليات التفجير للشركات الغربية العاملة في المنطقة واختطاف مواطني الدول الغربية المتواجدين فيها[24].

إن الاهتمام الغربي بمنطقة الساحل والصحراء، على الصعيد الأمني تنامى أساساً في إطار ما يسمى بالحرب على الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية منذ تعرضها لهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، فقد أدت تلك الأحداث وما تلاها من اعتداءات إرهابية على المدن الأوروبية إلى انقلاب حقيقي في تصورات الفكر الاستراتيجي الغربي فيما يتعلق بعودة التهديد النووي الذي كان سائداً فترة الحرب الباردة، فقد أكد تقرير لجنة بريمر التي شكلها الكونغرس الأمريكي لدراسة ظاهرة الإرهاب على أن أبرز التحولات التي شهدتها هذه الظاهرة أن جماعات الإرهاب الجديد تتسم بغموض الهدف السياسي حيث من الصعب الوقوف على هدف سياسي محدد يحكم عملها، ويبدو أن الهدف هو الانتقام من الولايات المتحدة حكومة وشعباً و الدول الغربية الحليفة من خلال إيقاع أكبر عدد من القتلى و الضحايا بهدف معاقبتها على ما تراه تلك الجماعات تحفظات على سياسات الدول الغربية تجاه العالم العربي و الإسلامي، وخصوصاً فيما يتعلق بقضية فلسطين، وبالتالي فإن الحصول على هذه الأسلحة أحد الأهداف الرئيسة لجماعات الإرهاب إذا ما تحركت في اتجاهات نووية[25]، ولعل أبرز تلك الجماعات التي تنشط في منطقة الساحل أو

[24] عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، مرجع سابق ذكره، ص 79

[25]- أحمد إبراهيم محمود : الإرهاب الدولي الشكل الرئيس للصراع المسلح في الساحة الدولية، السياسة الدولية، العدد :47، يناير 2002، ص ـ ص 220 - 212

في المناطق القريبة منها حركة بوكو حرام التي تتمركز في شمال نيجيريا بالقرب من حدود النيجر وتشاد، والتي من ضمن عقائدها تحريم التعليم الغربي وإقامة دولة الخلافة، وتنظيم داعش الذي أخذ يتمدد من ليبيا إلى المحور الأوسط لمنطقة الساحل وكذلك الفرع الغربي من تنظيم القاعدة الذي تأسس في الجزائر ثم صار ينشط بشكل كبير في شمال مالي عقب انهيار النظام فيها إثر الحرب الأهلية التي اندلعت بين الجيش الحكومي والحركة الوطنية لتحرير أزاود، بالإضافة إلى تنظيمي المرابطين وأنصار الدين في مالي و حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا التي تأسست في العام 2011[26]، وتخشى الولايات المتحدة الأمريكية من تهديد مصالحها في المنطقة على غرار ما حدث في دلتا النيجر حيث تكررت الاضطرابات في حقول النفط في المنطقة، خاصة في الحقول النيجيرية، وهو ما شكل تحدياً للولايات المتحدة في تأمين واستقرار التنقيب عن النفط والمعادن، لقد أصبحت منطقة الساحل بشكل عام ودول المحور الأوسط منها بشكل خاص مأوى وملجئاً للإرهابيين الفارين من العمليات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية عامي 2001 و2003 على أفغانستان والعراق، وبوصول هذه المجموعات الفارة تنامت الحوادث الإرهابية بشكل ملحوظ في منطقة الساحل وخارجها[27]، فقد تحولت

[26] لمزيد التفاصيل عن موضوع الجماعات الإرهابية الناشطة في دول الساحل الإفريقي أنظر : محمد محمود أبو المعالي، التنافس بين القاعدة وتنظيم الدولة في الساحل والصحراء، ط : 1، مركز الجزيرة للدراسات قطر - الدار العربي للعلوم ناشرون لبنان،2017.

[27] عرفت العمليات الإرهابية في منطقة الساحل تزايداً كبيراً في الفترة مابين 2001 - 2009 بنسبة 56% لتبلغ أقصاها عام 2009 ب 204 عملية، ثم 178 عملية إرهابية عام 2010، وقد أحصى معهد بوتوماك في الفترة 2001 - 2010 حوالي 1103 عمل إرهابي خلفت مقتل 2000 شخص وجرح 6000 شخص، وقد حصلت بعض منها في دول المحور الأوسط للساحل الإفريقي (تشاد والنيجر ومالي) لمزيد من التفاصيل انظر : كريم مصلوح، الأمن في

منطقة الساحل الإفريقي إلى فناء خلفي لهذه الجماعات ونالت النيجر وموريتانيا وتشاد النصيب الأكبر من هجماتها[28]، كما شهدت بوركينا فاسو ومالي زيادة في الهجمات الإرهابية بمقدار خمسة أضعاف منذ عام 2016، فسجلت الأولى زيادة هائلة في عدد القتلى بمقدار 22 ضعفاً منذ بداية العقد الثاني من القرن الحالي حيث سجلت 137 هجوماً إرهابياً في سنة 2018 وحدها[29]، لقد تمكنت هذه التنظيمات من الاستفادة من انعدام الأمن وفشل الدولة وهشاشة حدود الدول في المنطقة، وعجز الدولة عن مراقبة حدودها لكي تقيم علاقات واسعة فيما بينها للتنسيق والتعاون في القيام بعملياتها داخل دول الساحل وخارجها، ونظراً لارتباط الجماعات الإرهابية المقيمة في أوروبا بهذه الجماعات وفي ظل انتشار الهجرة غير الشرعية وجماعات التهريب تخشى الدول الغربية من إمكانية انتقال السلاح والأفراد إلى الجماعات المتمركزة في القارة الأوروبية، فتزايد العمليات الإرهابية داخل الدول الغربية خلال العقدين السابقين أعطى مؤشراً واضحاً لإمكانية حدوث هذا التعاون[30]، فقد نبه نشاط هذه الجماعات صناع القرار الأمريكي إلى ضرورة التحرك بشكل استباقي لمنع تكرار هذه العمليات وإلى الأهمية الكبرى لضرورة إرساء الأمن والاستقرار في أقاليم القارة الإفريقية، حدث ذلك بعد مراجعات شاملة قامت بها مراكز

منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، ط :1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2014، ص - ص 101 - 110 .

[28] إيمان عبدالحليم، حسابات باريس : عوائق التدخل العسكري الفرنسي في شمال مالي، السياسة الدولية، العدد 191، يناير 2013.

[29] مارك لاجون، وراشيل سادوف، اتجاهات واشنطن لاحتواء الانتشار الصيني في إفريقيا، عرض إيمان فخري، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020، على الموقع الإلكتروني: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6018/

[30] كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق ذكره، 72

البحوث الأمريكية وصناع القرار السياسي، حيث نصت وثيقة الأمن القومي الأمريكي لعام 2002، على تحديد الإرهاب كعدو أول للسلام العالمي وعلى مواجهة المخاطر والتهديدات القادمة من دول جنوب الصحراء[31]، وعليه لم تكن كلمة الجنرال جونز قائد قوات الأطلسي في أوروبا شهر مارس من العام 2003 مستغربة عندما قال " لم يعد بمقدور الولايات المتحدة الأمريكية أن تبقى بعيدة عما يحدث في إفريقيا، وليس بوسع القوات الأمريكية أن تظل تراقب الوضع انطلاقاً من البحر، لقد آن لها أن تحط في اليابسة، في تلك المناطق الشاسعة من الصحراء، التي أصبحت مرتعاً للجريمة والاتجار بالمخدرات والأسلحة، ولم يعد بمقدور دولها أن تفرض سيطرتها ومراقبتها"[32]، ومن ضمن التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في دول المحور الأوسط من الساحل الإفريقي فشل الأجهزة الحكومية في أداء وظائفها الأمنية، الأمر الذي حولها إلى بؤرة لتجمع جماعات الإرهاب والجريمة المنظمة التي أخذت تنشط بشكل كبير فيها، فبحسب تقارير قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية فإن 27% من المخدرات التي تصل إلى أوروبا كان مصدرها دول الساحل الإفريقي[33]، وتخشى الدول الغربية من احتمالية انتقال الأسلحة التي راجت تجارتها عبر الحدود جنوب الصحراء عقب سقوط نظام القذافي، ولمواجهة هذه

---

[31] عربي بومدين، الساحل الإفريقي ضمن الهندسة الأمنية الأمريكية، قراءات إفريقية، العدد:9، يناير، 2014، ص -ص 41 -42

[32] السيد خالد التزاني، الانتشار العسكري الأمريكي : الدوافع والرهانات، مركز دراسات الوحدة العربية على الموقع الإلكتروني : www.caus.org.lb/ar/

[33] عصام عبد الشافي، معضلة مزمنة: تعقيدات غياب الأمن في الساحل والصحراء، على الموقع الإلكتروني :https://platform.almanhal.com

التحديات أكدت الوثيقة الإستراتجية الأمنية الأمريكية التي صدرت عام 2002 على ضرورة قيام الولايات المتحدة بالتركيز على أمن قارة إفريقيا وفق منطق التعاون الإستخباراتي والاتفاقيات الثنائية، غير أن الوثيقة الأمنية التي صدرت عام 2006 كانت أكثر وضوحاً على أهمية مساعدة الدول الفاشلة بالنسبة للأمن الأمريكي، حيث جاء فيها " إن أمن الولايات المتحدة الأمريكية يعتمد على الشراكة مع الأفارقة لتعزيز الدول الهشة والفاشلة"[34]، وأمام الواقع الذي تعيشه دول الساحل الإفريقي ولاسيما دولة مالي التي تعيش حالة من عدم الاستقرار ودولة تشاد التي صنفتها تقارير صادرة عن الأمم المتحدة أنها دولة فاشلة[35]، أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ديسمبر 2018 إن مواجهة تهديد الإرهاب الإسلامي الراديكالي والصراعات العنيفة ستكون واحدة من أهم أولويات إدارته في تعزيز علاقاتها مع إفريقيا[36]، وهو ما يمثل اعترافاً أمريكياً صريحاً بأن تزايد العنف في إفريقيا يمثل تهديداً ملحاً للأمن القومي الأمريكي.

2- التحديات الاقتصادية.

يعد استهلاك الطاقة قضية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها أكثر الدول في العالم استهلاكاً لها، ورغم أنها من الدول

---

[34] عربي بومدين، الساحل الإفريقي ضمن الهندسة الأمنية الأمريكية، مرجع سابق ذكره، ص 42

[35] كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق ذكره، ص 156.

[36] حمدي عبد الرحمن، ديمغرافية التطرف مقاربات بديلة لمواجهة عودة داعش بالساحل الإفريقي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2021، على الموقع الإلكتروني : https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6018/

الأكثر إنتاجاً للطاقة إلا أن أغلب ما تنتجه تقوم باستهلاكه في مجمعها الصناعي الضخم الذي يعتمد اعتماداً كبيراً على مصادر الطاقة من البترول والغاز المستورد، وعليه فهي تعتبر أن أي توقف في الإمدادات من النفط والغاز سيشكل تحدياً كبيراً لأمنها القومي، لاسيما وأن الإنتاج النفطي الأمريكي قد أخذ في التراجع إلى مستويات أقل من السابق وهذا ما جعلها تعتمد على النفط المستورد بشكل كبير جداً، وبحسب تقرير صدر عن وكالة الطاقة الأمريكية عام 2011 فإن على الولايات المتحدة أن تعمل على تنويع مصادر الحصول على البترول بعد أن زادت كميات استهلاك البترول والغاز بكميات أكثر من السابق، و أكدت التقرير أن الزيادة في الاستهلاك ستتضاعف خلال العشرين سنة المقبلة بنسبة برميلين من كل ثلاثة براميل نفط تستهلكها وتشير بعض التقارير أن الزيادة في الاستهلاك من النفط تقدر بنسبة 20% وفي الغاز بنسبة 50%[37]، وقد وصلت نسبة الواردات الأمريكية من دول جنوب الصحراء في العام 2001 إلى نسبة 16% من إجمالي الواردات الأمريكية، وبنسبة تتجاوز الكمية التي تستوردها الولايات المتحدة الأمريكية من المملكة العربية السعودية، وبحسب بعض الدراسات فإن هذه النسبة ستزداد إلى 25% بداية من العام2015[38]، ولعل أبرز التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في دول منطقة الساحل الإفريقي هي حماية مصادر الطاقة فيها وفي الدول المتاخمة والمجاورة لها، فعلى سبيل المثال تعمل في تشاد ثلاثة شركات

[37] قاسم محمد عبيد،إسراء رشيد عبدالله، المتغيرات الداخلية المؤثرة في الإستراتيجية الأمريكية تجاه" منطقة القرن الإفريقي بعد 2011"، دراسات إفريقية، العدد : 2، السنة الأولى، مركز الدراسات الإفريقية، النجف، العراق، نيسان 2017، ص27

[38] المرجع السابق، ص28.

أمريكية هي : أكسون موبيل ، وبتروناس، وشيفرون، حيث تمتلك نسبة 95% من استثمارات النفط التشادي، وتخطط هذه الشركات إلى مد خط بترول من ميناء ينبع السعودي إلى ميناء عروس السوداني، مخترقاً دار فور إلى تشاد ليلحق بأنبوب البترول التشادي الذي يصل إلى ميناء دولا الكاميروني على المحيط الأطلسي[39]، وبحسب إحدى الدراسات التي صدرت عن المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية فإن أحد العوامل المهمة للاهتمام الأمريكي بدول الساحل الإفريقي هو وجود احتياطيات كبيرة تحت الأرض عبر حوض واسع يمتد من إقليم دارفور مروراً بتشاد والكاميرون والنيجر ومالي وبوركينافاسو وموريتانيا ما يمكن أن يطلق عليه بحيرة بترول[40]، وفي ظل معاناة هذه الدول من عدم الاستقرار السياسي ترتب عليه تحد كبير للأمن القومي الأمريكي الذي سيكون مهدداً بإمكانية توقف تدفق النفط إليها، ولا يتوقف التهديد على مصادر الطاقة والثروات الطبيعية في دول المحور الأوسط من منطقة الساحل فقط بل يتعدى ذلك إلى مصادر الطاقة الموجودة في الدول المجاورة مثل نيجيريا التي تستورد الولايات المتحدة الأمريكية نسبة 58% من إنتاجها النفطي وموريتانيا التي قدر احتياطياتها من النفط حوالي مليار برميل، والسودان التي كانت لشركة شيفرون الأمريكية سبق الاستثمار فيها والتي أكدت من خلال عمليات التنقيب وجود إحتياطي نفطي فيها يقدر بأكثر من بليون دولار، بالإضافة إلى

[39] عبدالله صالح، الأزمة التشادية "إلى أين"، السياسة الدولية، العدد : 172، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، إبريل 2008، ص 29

[40] محمود ماضي، الاهتمام الأمريكي بدار فور مرتبط بتوجه إستراتيجي نحو إفريقيا، سويس انفو، 3 مايو، 2007، على الموقع الإلكتروني :http://www.swissinfo.ch

غانا وساحل العاج وخليج غينيا الغني بالنفط[41]، ولهذا لم يكن مستغرباً ذلك التقرير الأمريكي الذي صدر عام 2001 والذي جاء تحت عنوان " سياسة الطاقة الوطنية" عندما أوصى بإعادة تنشيط تجارة النفط (الأمريكية - الإفريقية) وتعميقها، بغرض تعزيز التنوع الجغرافي لإمدادات الطاقة، وعلى ضرورة أن تعمل الولايات المتحدة على تحسين المناخ الأمني، وتسهيل تدفق الاستثمارات اللازمة[42]، وفي نفس السياق كتب "بيير أبروفتشي" في مجلة العالم الدبلوماسي أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحرك بهدف حماية الإمدادات وخطوط الأنابيب الحيوية، وأن الغرض من التدابير العسكرية والجهود الأمنية في الساحل الإفريقي، لا يكمن في تعزيز الأمن في المنطقة أو حفظ السلام فحسب ، بل هي جزء من التدافع الجديد الذي تشهده منطقة غرب إفريقيا[43]، إن ازدياد اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على النفط الإفريقي وسعيها الحثيث إلى إحكام السيطرة على المخزون الطاقوي الإفريقي لتجعله وسيلة للتحكم في اقتصاديات الدول الكبرى جعلها تدخل في تنافس محموم معها، ولعل أبرز القوى المنافسة للنفوذ الأمريكي في هذه الدول فرنسا التي تعتبر أن هذه الدول ضمن منطقة نفوذها الطبيعي وتعتبرها حديقة خلفية لها بحكم تاريخها الاستعماري، وارتباط الدول الأربعة بالثقافة الفرنسية من خلال رابطة الفرانكوفونية، وعليه فإن الشركات الفرنسية تعد تاريخياً هي الأكثر نشاطاً في هذه الدول الأربعة، ولعل أشهر شركاتها العاملة في مجال التنقيب شركة توتال

41 فوزية قاسي، الساحل الإفريقي من منظور الأمن الطاقوي الأمريكي حماية تدفق الإمدادات من خليج غينيا، مرجع سابق ذكره ، ص - ص 30- 31

42 المرجع السابق، ص 31.

43 المرجع السابق، ص 37.

الفرنسية التي تعد أول الشركات العاملة في منطقة الساحل وشركة إيلفا الفرنسية للنفط واللتين دخلتا في تنافس محموم مع الشركات النفطية الأمريكية من أمثال شيفرونس، إكسون موبايل للحصول على عقود استثمار في تشاد والنيجر ومالي[44]، وتواجه السياسة الأمريكية تحدياً أخر قادماً من شرق آسيا متمثلاً في العملاق الاقتصادي الصيني الذي أخذ يبحث عن مناطق استثمار جديدة داخل القارة الإفريقية، حيث باتت الصين أكبر مستهلك للطاقة بداية من 2009 بعد الولايات المتحدة الأمريكية، ومن المتوقع أن يرتفع استهلاكها للطاقة إلى الضعف خلال العقد الثالث من القرن الحالي، حيث تمثل الطاقة التي تتحصل عليها من إفريقيا حوالي ربع الواردات الصينية من الطاقة، وبحسب التبادل التجاري بين الصين والدول الإفريقية سنة 2009 احتلت المرتبة الثالثة كشريك تجاري بعد الولايات المتحدة وفرنسا[45]، فالصين تستثمر دعوات إفريقية للاستثمار دون شروط سياسية واقتصادية خاصة بالحكم الرشيد والشفافية التي تفرضها أوروبا وأمريكا في تعاملها مع الدول الإفريقية، وقد بات النفوذ الصيني واضحاً في مجالات النفط واستخراج المعادن ومشروعات البنية التحتية واضحاً في هذه الدول الأربعة من الساحل الإفريقي، فقد اكتسحت الصين سوق التنقيب عن النفط في هذه الدول من خلال شركاتها النفطية وعلى رأسها شركة بترو تشاينا الصينية، وحصلت على عقود مهمة للتنقيب عن النفط في تشاد، حيث اتفقت الصين مع تشاد عبر شركة الصين الوطنية للنفط في

---

[44] أيمن شبانة، النفط الأمريكي عندما تتحرك السياسة الأمريكية وراء النفط الأفريقي، قراءات إفريقية، العدد : 11، يناير 2012، ص82.

[45] جميلة علاق، إستراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، الجزائر،19 - 12 - 2014، ص 343

حزيران 2011 على بناء مصفاة نفطية واستغلالها لمدة 22 عاماً على أن تقسم حصص الاستغلال بواقع 60% للجانب الصيني و40% للجانب التشادي كما أنها أبرمت العديد من العقود النفطية مع دولة النيجر[46] وتحصلت أيضاً على عقود للتنقيب عن اليورانيوم في دول المنطقة لتكسر الاحتكار التاريخي للشركات الفرنسية في هذا المجال[47]، ونتيجة للتوسع الصيني الكبير في هذه المنطقة والقارة الإفريقية بشكل عام نبّه مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي عام 2005 إلى ضرورة مواجهة هذا التوسع داعياً الولايات المتحدة إلى انتهاج أسلوب استراتيجيات استثماراً لمزيد من الموارد هناك، وقال المجلس إن أهمية إفريقيا الإستراتيجية تتزايد بسبب إمدادات الطاقة، وأنه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية تجاوز أسلوب التعامل مع القارة من منظور إنساني واعتبارها شريكاً[48]، المنافسة لا تقتصر على فرنسا والصين وحدهما، بل دخلت الكثير من الدول للمنطقة طمعاً في الحصول على عقود استثمار لشركاتها فعلى سبيل المثال دخلت الشركات الإيطالية على خط المنافسة ونجحت في اكتشاف البترول واليورانيوم والفوسفات في شمال مالي عن طريق الشركة الإيطالية " إيني" عام 2010[49]، وكذلك الشركات الأسيوية الأخرى

---

[46] ابتسام محمد العامري، الدور الصيني في إفريقيا دراسة في الأبعاد والتحديات، دراسات إفريقية، العدد الأول ، مركز الدراسات الإفريقية، العراق، السنة الثانية،كانون الثاني، 2017، ص 46

[47] خالد حنفي على، النفط الإفريقي : بؤرة جديدة للتنافس الدولي، السياسة الدولية، العدد : 164، أبريل 2006، ص 86.

[48] خيري عبدالرزاق جاسم، قيادة عسكرية جديدة لإفريقيا فرصة أمريكية ومحنة إفريقية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 21، شتاء/ 2009، ص 71

[49] مادي إبراهيم كانتي، الصراع الداخلي وانتقال حرب الإرهاب إلى مالي، مرجع سابق ذكره، ص 34

مثل شركة "بتروتاس" الماليزية والشركات البرازيلية وغيرها، وانضمت روسيا مؤخراً إلى ركب الدول الطامحة إلى موطئ قدم لها في دول الساحل الإفريقي الأوسط وتحديداً مالي التي حضر رئيسها السابق القمة الروسية الإفريقية في مدينة سوتشي الروسية حيث دعا من خلالها الرئيس السابق " إبراهيم بوبكر كيتا" الرئيس الروسي "بوتين" إلى تكثيف المساعدة لدولة مالي في حربها ضد الإرهاب وتكثيف التعاون الاقتصادي بين البلدين، وكذلك قيام حكومة الانقلاب العسكرية في مالي التي وصلت للسلطة عام 2020 بزيارة إلى روسيا بعد إدانة الدول الغربية للانقلاب العسكري بتوقيع اتفاقيات عسكرية وأمنية قضت باستضافة المجموعة العسكرية الروسية "فاغنر" بهدف حماية ثلاثة مواقع تعدين أساسية في مالي[50] ، وهذا ما يزيد من مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية التي تحججت بذريعة مكافحة الإرهاب في هذه الدول لتسويغ وجودها العسكري وتكثيفه والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى حماية تدفق النفط.

المبحث الثالث/ إستراتيجية مواجهة التحديات.

بعد التحول الكبير الذي شهدته السياسة الأمريكية باتجاه القارة الإفريقية عقب التداعيات الكبيرة التي أسفرت عنها هجمات 11 سبتمبر 2001 على المدن الأمريكية، والذي جاء تلبية لمواجهة التحديات الجديدة تبنت الإدارة الأمريكية إستراتيجية شاملة ارتكزت على ثلاثة ركائز أساسية هي الحرب العالمية على الإرهاب وتنويع مصادر الحصول على الطاقة وحمايتها وانتهاج إجراءات وقائية تهدف إلى منع العدو أينما كان من تهديد الأمن القومي

[50] ميرفت عوف، فانغر في الساحل .. لماذا تشتعل المنافسة بين روسيا وفرنسا في مالي؟، ميدان - موسوعة الجزيرة، شبكة الجزيرة الإعلامية، على الموقع الإلكتروني : https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2021/9/26

الأمريكي، وتحديد المناطق والدول التي قد تحوي تهديداً خطيراً للمصالح الأمريكية والتي يتطلب التحرك فيها من خلال آليات عسكرية وأمنية وسياسية واقتصادية وتأتي دول الساحل الأفريقي الأوسط (تشاد - النيجر - مالي - بوركينا فاسو) من ضمن الدول التي نشطت فيها السياسة الأمريكية.

وانطلاقاً من ذلك سيتم إلقاء الضوء على هذا المبحث من خلال الآتي :

1- في المجال العسكري والأمني .

تميزت الوسائل العسكرية والأمنية التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل مواجهة التحديات الإرهابية في دول الساحل الأوسط بشكل خاص وكل القارة الإفريقية بشكل عام بتنوع الكثافة، حيث تراوحت ما بين التدخل المباشر عبر ضربات جوية دقيقة لجماعات الإرهاب المنتشرة في دول الساحل، ومبادرات للتدريب والمناورات والتنسيق الأمني والتعاون العسكري لردع الجماعات الإرهابية وحماية مصادر الطاقة فيها، ولعل أولى هذه المبادرات تلك التي أعلنت عنها الحكومة الأمريكية عام 2002 بإنشاء " مبادرة عموم الساحل " لمساعدة دول النيجر وتشاد ومالي وموريتانيا لغرض مساعدتها على مكافحة الإرهاب، وتقديم مساعدات عسكرية وتدريب للقوات لمنع استخدام أراضيها من قبل الجماعات الإرهابية بميزانية قدرت ب 7.75 مليون دولار، وفي هذا الصدد يقول العقيد في الجيش الأمريكي "فيكتور نيلسون" المسئول عن برنامج مبادرة الساحل : " مبادرة الساحل هي أداة مهمة في الحرب ضد الإرهاب وفعلت الكثير لتعزيز العلاقات في منطقة كنا قد تجاهلناها إلى حد كبير في الماضي وخاصة مالي والنيجر وتشاد، فقد قلنا من قبل إنه إذا اشتدت الضغوط على الإرهابيين في كل من أفغانستان وباكستان،

فإنهم حتماً سيبحثون عن أماكن جديدة، كمنطقة الساحل الإفريقي والمغرب العربي"[51]، تلت هذه المبادرة مبادرة أخرى عام 2005 أطلق عليها " مبادرة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء لتشمل إضافة دول أخرى من منطقة الساحل الإفريقي، وقد قدرت ميزانيتها 100 مليون دولار سنوياً وبمخططات تصل إلى 30 مليون دولار، وفي يونيو 2005 دشنت الولايات المتحدة الأمريكية النسخة الأولى من عملية "فلينلتوك" وأصبحت تقليداً سنوياً تشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، وتشارك فيها دول الساحل الأوسط الأربعة تشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو بالإضافة إلى السنغال وموريتانيا والجزائر وتونس، وتهدف هذه العملية إلى بناء وتقوية القدرات لمكافحة الإرهاب والاتجار غير المشروع بالأسلحة والبضائع والبشر[52]، وبالإضافة لهذه المبادرات تقوم الطائرات الأمريكية بطلعات استطلاعية بشكل دوري و بتنفيذ غارات جوية تستهدف جماعات متطرفة تنتشر مناطق حدودية بين الجزائر ومالي على غرار الغارات التي قامت بها الطائرات الأمريكية عام 2004 لضرب الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية، عقب قيام الأخيرة باختطاف 32 سائحاً غربياً في تلك المناطق[53]، وفي نفس العام قامت القوات الأمريكية بدعم قوات من النيجر وتشاد عندما قامت بالاشتباك مع أعضاء من تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي، وقد أفضى هذا الاشتباك إلى مقتل 43

---

[51] عربي بومدين، الساحل الإفريقي ضمن الهندسة الأمنية الأمريكية، مرجع سابق ذكره، ص 46.

[52] عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، مرجع سابق ذكره، ص 85

[53] خيري عبد الرزاق جاسم، قيادة عسكرية أمريكية جديدة لأفريقيا فرصة أمريكية ومحنة أفريقية، مرجع سابق ذكره، ص 92

مسلحاً ينتمون إلى هذا التنظيم[54]، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية عام 2005 بمبادرة تختص بعمليات حفظ الأمن والتدريب على التكتيكات العسكرية أطلق عليها اسم برنامج المساعدة التدريبية على عمليات الطوارئ الأفريقية شملت مجموعة من دول غرب أفريقيا من بينها دولة مالي[55]، وجاء التطور الرئيس في الاهتمام الأمريكي بالقارة الإفريقية في عام 2007 عندما تم الإعلان بواسطة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش عن تأسيس قيادة إفريقية بمقر مؤقت في مدينة شتوتغارت الألمانية إلى أن يتم نقلها إلى إحدى دول الساحل الأفريقي أو دول المغربي العربي ، وقد أنيط بها الإشراف على كل العمليات العسكرية الأمريكية في كل دول أفريقيا عدا جمهورية مصر العربية ، بعد أن كانت دول القارة موزعة بين ثلاثة قيادات أمريكية[56]، وهذا يدل على مدى المكانة التي اكتسبتها القارة الإفريقية بشكل عام في الإستراتجية الأمنية

---

[54] عربي بومدين، الساحل الإفريقي ضمن الهندسة الأمنية الأمريكية، مرجع سابق ذكره، ص 46.

[55] فوزية قاسي، الساحل الإفريقي من منظور الأمن الطاقوي الأمريكي حماية تدفق الإمدادات من خليج غينيا، مرجع سابق ذكره، ص 33

[56] الأصل كانت دول القارة موزعة بين ثلاث قيادات عسكرية هي : 1- قيادة أوروبا، التي يمتد نطاقها الجغرافي من الساحل الشرقي الأمريكي عبر المحيط الأطلسي، مروراً بالجزيرة البريطانية حتى شرق أوروبا على الحدود الروسية، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وهي مدعومة بالأسطول السادس، ويقع في نطاقها 41 دولة إفريقية. 2- قيادة الهادئ ويمتد قطاع المسئولية الجغرافية لها ما يقارب نصف الكرة الأرضية تقريباً، وتشمل الصين واليابان وروسيا واستراليا ومعظم دول شرق وجنوب آسيا ، وهي مدعومة بالأسطول السابع. 3- القيادة الوسطى، وتقع حدود مسئوليتها الجغرافية في المسطح الجغرافي بين كل من القيادتين السابقتين، وتمتد حدودها الجغرافية من شرق إفريقيا حتى الحدود الغربية للصين، ويقع مقرها في قاعدة "ماكديل" للقوات الجوية الأمريكية بولاية فلوريدا، وهذه القيادة مسئولة عن المصالح الأمنية الأمريكية في 27 دولة تمتد من القرن الإفريقي حتى أواسط آسيا، مروراً بمنطقة الخليج العربي. لمزيد من التفاصيل انظر : خيري عبد الرزاق جاسم، قيادة عسكرية أمريكية جديدة لأفريقيا فرصة أمريكية ومحنة أفريقية، مجلة العلوم السياسية، العدد 21، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،شتاء /2009.

للولايات المتحدة الأمريكية، وفي نفس السياق ومع وصول "باراك أوباما" لمنصب الرئاسة الأمريكية أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاغون"، أنها ستراجع طموحاتها لبناء قيادة مركزية في أفريقيا على غرار القيادة المركزية في الشرق الأوسط، عقب فشل الولايات المتحدة الأمريكية في الحصول على موافقة من دول الساحل الإفريقي لاستقبال مقر قيادة الأفريكوم على أراضيها، ولعل أبرز العمليات التي قامت بها قوة الأفريكوم في منطقة الساحل تقديم الدعم العسكري واللوجستي للقوات الفرنسية التي تحارب الجماعات المتطرفة في شمال مالي، كما أنها قامت بإدراج الحركات الجهادية في مالي على اللائحة الأمريكية للتنظيمات الإرهابية، وتصفية قياداتها، ورصد المكافآت الضخمة لمن يدلي بمعلومات عنها[57]، ووقعت الولايات المتحدة الأمريكية عام 2015 اتفاقية مع دولة النيجر تضمنت الموافقة على وجود قوات عسكرية أمريكية حيث وصل عددها إلى 800 جندي للقيام بمهام تتعلق بمكافحة الإرهاب والسماح للطائرات الأمريكية من دون طيار بعمليات استطلاع في المنطقة[58]، ومنذ تفجر ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا قامت القوات الأمريكية بمئات المهام الخاصة التي قامت بها فرق عسكرية أمريكية بالتعاون مع القوات العسكرية في تشاد والنيجر ومالي وقد بلغت ذروتها عام 2016 عقب تعرض سياح غربيين واختطاف قس أمريكي في النيجر من قبل جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، حيث وصلت إلى 100 عملية قامت بها

[57] مادي إبراهيم كانتي، الصراع الداخلي وانتقال حرب الإرهاب إلى مالي، مرجع سابق ذكره، ص - ص 42-43

[58] أحمد عسكر، الدور الإقليمي للنيجر في منطقة الساحل والصحراء : مقوماته وتحدياته ومستقبله، مركز الإمارات للسياسات، سبتمبر 2020، على الموقع الإلكتروني : https://epc.ae/ar/research-unit/west-africa

القوات الأمريكية الخاصة شملت كل دول حوض النيجر[59]، كما أنها تشرف على تدريب وتسليح قوات مشتركة لبوركينا فاسو ومالي خاصة بعد أن تعرضت دولة بوركينا فاسو لعمليات إرهابية راح ضحيتها المئات من المدنيين خلال العامين 2018 و2019، وقد تم الاتفاق على ذلك بعد الزيارة التي قام بها قائد الأفريكوم الجنرال ستيفن "تاونسند" والتي جاءت ضمن إطار زيارته لعدد من دول الساحل الإفريقي[60]، وعلى الرغم من أن التقرير الذي أعده مركز إفريقيا للدراسات الإستراتيجية التابع للبنتاغون عام 2020 والذي تضمن نتائج مقلقة بشأن ارتفاع قدرات الإرهاب في القارة الأفريقية بنسبة 43% وأن العمليات العسكرية الأمريكية لم تؤدي إلى إضعاف قدرات الجماعات الإرهابية في حوض تشاد بالشكل المطلوب وأن هناك زيادة في الخسائر المادية الأمريكية مما جعل الإدارة الأمريكية في عهد "ترامب" تقوم بسحب الكثير من قواتها العاملة واعتماد إستراتيجية دعم أفرقة مكافحة الإرهاب إلا أن عمليات المراقبة و تتبع الجماعات الإرهابية مازال مستمراً في المنطقة[61]،وبالنظر إلى حجم التدخل العسكري الأمريكي وتنوعه وحجم التكاليف المادية التي تتطلبها لتطبيق آليات العمل الأمني والعسكري في دول الساحل الإفريقي الحبيسة يتضح لنا أن مدى المكانة التي صارت تحتلها هذه الدول في الإستراتيجية

---

[59] بلال المصري، القيادة العسكرية بالنيجر تتلقى ضربة موجعة، المركز الديمقراطي العربي ، القاهر، على الموقع الإلكتروني : https://democraticac.de/?p=50189

[60] قائد الأفريكوم يناقش مكافحة الإرهاب في بوركينا فاسو ومالي، مجلة قراءات إفريقية، على الموقع الإلكتروني : https://www.qiraatafrican.com/home/new/

[61] حمدي عبدالرحمن، هل حان وقت نزع عسكرة الإرهاب في أفريقيا، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،30- مارس 2021، على الموقع الإلكتروني : https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6190

الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية وأن موقعها الداخلي في وسط صحراء الساحل لم يمنعها من أن تتحول إلى مطمع تتنافس الدول الكبرى على الفوز بها، بعد أن استجدت عليها متغيرات حاسمة تتعلق باكتشاف الثروات وتمركز جماعات التطرف على أراضيها .

2- في المجال السياسي و الاقتصادي.

لم تقتصر وسائل الإدارة الأمريكية التي اعتمدتها لمواجهة التحديات التي ظهرت في دول المحور الأوسط من الساحل الإفريقي على الوسائل العسكرية والأمنية والقوة الصلدة بل شملت حتى الوسائل الناعمة التي تعتمد على الدبلوماسية والتبادل التجاري وتقديم المساعدات المالية والفنية، هذه الوسائل بدأت منذ أن حازت منطقة الساحل مكانتها البارزة في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية خلال العقدين السابقين من القرن الحالي ثم أخذت تتسع على حساب الوسائل الصلدة في أواخر إدارة أوباما وكل فترة إدارة ترامب، فعقب هجمات 11 سبتمبر 2001 تم الإعلان عن إنشاء مبادرة أطلق عليها " المنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب" وهو عبارة عن مبادرة اقترحتها الولايات المتحدة الأمريكية ودعمتها عدة دول من بينها عدد من دول الساحل الإفريقي، حيث أعلنت "شيلا فيلا روسا" نائب مساعد كاتبة الدولة للشئون الخارجية الأمريكية ومنسق الشئون الإقليمية في مكتب مكافحة الإرهاب، عن تأسيس المنتدى في نيو يورك، وتم تشكيل خمس مجموعات عمل من بينها مجموعة عمل تخص تعزيز القدرات في مجال مكافحة الإرهاب في بلدان الساحل الإفريقي، ويعمل المنتدى على تجنيد الخبرة والموارد الضرورية لمواجهة الإرهاب، كما يعد أرضية بالنسبة إلى أصحاب القرار والخبراء والشركاء والدول الفاعلة من

مختلف مناطق العالم من أجل تبادل التجارب والإستراتيجيات وتعزيز القدرات[62]، وحوت المبادرات الأمريكية التي أقامتها في منطقة الساحل الإفريقي لمكافحة الإرهاب شقين أحدهما عسكري وأمني تم التطرق إليه في النقطة السابقة والثاني سياسي اقتصادي تمثل في تقديم مساعدات مالية بلغت 100 مليون دولار عام 2010 ووصلت إلى 16 مليون دولار في العام 2016، ويضاف إلى ذلك مساعدات أخرى تقدمها وزارة الدفاع الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، حيث تقدم مساعدات إضافية غير عسكرية إلى البرامج الإقليمية التابعة لشراكة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء، تشمل التربية وبرامج المجتمع المدني الذي تتوخى مكافحة تأثير التطرف، ويهدف برنامج الشراكة لمكافحة الإرهاب عبر الصحراء إلى الآتي : تقوية القدرات الإقليمية لمكافحة الإرهاب و تشجيع الحكومة الديمقراطية والقضاء على أيديولوجيات الإرهاب وتقوية العلاقات العسكرية والسياسية الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية[63]، ومن بين أسباب إنشاء قيادة أفريقيا " الأفريكوم" بحسب الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش في خطابه المؤرخ في 7 فبراير 2007 هي دعم المساعدات الإنسانية و احترام حقوق الإنسان والتخفيف من الكوارث و بناء إمكانيات الشراكة مع الدول الإفريقية ودعم المنظمات الإفريقية[64]، وضمن سياسة كسب القلوب في دول الساحل الإفريقي الأوسط تقوم الولايات

---

62 عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، مرجع سابق ذكره، ص 86

63 كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق ذكره، ص 127

64 خيري عبد الرزاق جاسم،قيادة عسكرية أمريكية جديدة لأفريقيا فرصة أمريكية ومحنة أفريقية،مرجع سابق ذكره، ص94

المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات الإنسانية حيث لم تتوقف عن تقديم المنح المالية لمساعدة دول الساحل الأربعة على مواجهة المجاعات لعل أخرها تلك التي قدمتها في بداية العام 2021 بقيمة 80 مليون دولار[65]، كما أنها تقوم بتقديم الدعم المالي والفني لمجموعة الساحل الخمسة والتي تشمل دول الساحل الأوسط الأربعة الحبيسة (تشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو بالإضافة موريتانيا، حيث تأسست عام 2015 للتعاون في مجال مكافحة الإرهاب والتنمية، بهدف الحيلولة دون انهيار دول المنطقة و تعزيز أمن السلع والأشخاص وضمان الوصول إلى الفرص الاقتصادية وتحسين فرص الحصول على الخدمات الأساسية وتعزيز الحوكمة المحلية والاجتماعية وإدماج العائدين قسراً من ليبيا ونيجيريا وكوت ديفوار ومعالجة التحديات الأمنية لاسيما تجارة المخدرات والهجرة غير الشرعية والإرهاب[66]، وفي سبيل تحجيم الدور الصيني في دول المنطقة والقارة الأفريقية بشكل عام قامت بتقديم تسهيلات جمركية سهلت من وصول السلع الإفريقية للأسواق الأمريكية وبهذا يكون باستطاعة الدول الأفريقية تصدير ما يقارب 50% من السلع المعفاة من الرسوم الجمركية، وأن الدول التي أجرت إصلاحات وفق المنظور الأمريكي ستتمتع بامتيازات أفضل، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تمانع من التفاوض معها بخصوص التبادل التجاري الحر، وهذا ما حصل فعلاً عندما اتخذت التجمعات الاقتصادية الموجودة في القارة والتي من بينها منظمة غرب إفريقيا والتي تضم

[65] بوابة إفريقيا الإخبارية 20- مارس - 2021، على الموقع الإلكتروني :
https://www.afrigatenews.net/article

[66] أحمد عسكر، الدور الإقليمي للنيجر في منطقة الساحل والصحراء : مقوماته وتحدياته ومستقبله، مركز الإمارات للسياسات، سبتمبر 2020، على الموقع الإلكتروني :
https://epc.ae/ar/research-unit/west-africa

مجموعة من الدول الإفريقية من بينها النيجر ومالي وبوركينا فاسو إجراءات مهمة لإنشاء مناطق للتبادل الحر مع الولايات المتحدة الأمريكية[67]، وبالنظر إلى السياسة الجديدة التي بدأت الإدارة الأمريكية تتبناها في أفريقيا منذ تولي منصب الرئاسة فيها الرئيس "ترامب" والتي جاءت بعد تقييم و دراسات وافية قامت بها مراكز البحوث لعل أشهرها التقرير الذي صدر عام 2020 عن مركز إفريقيا للدراسات والذي جعل الكثير من المسئولين الأمريكيين يفضلون ما يمكن تسميته بأفرقة مكافحة الإرهاب ويقصد بها جعل الدول الإفريقية هي من تقوم بمحاربة الإرهاب من خلال قواتها العسكرية والأمنية واكتفاء الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الدعم المادي واللوجستي أو توجيه ضربات جوية عند الضرورة،لكي تقلل من الخسائر في الجنود والآليات التي أخذت تتزايد خلال العامين الماضيين بفعل الضربات القوية التي قامت بها مؤخراً الجماعات المتطرفة في تشاد والنيجر[68]، فإن إمكانية ترك دول المنطقة لا يمكن تصوره، إذ أن تعديل أو تغيير الخطط والآليات المتبعة القديمة بعد ضعف النتائج التي انتهت بها بآليات وتكتيكات جديدة لا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية قد قررت الخروج بشكل نهائي من هذه الدول، والدليل هو استمرار الأفريكوم في التنسيق معها للقضاء على الإرهاب في المنطقة.

---

[67] جميل مصعب محمود، تطورات السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا وانعكاساتها الدولية، ط:1، دار مجدلاوي، عمان، 2006، ص 67.

[68] حمدي عبدالرحمن، هل حان وقت نزع عسكرة الإرهاب في أفريقيا، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،30- مارس 2021، على الموقع الإلكتروني :
https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6190

الخاتمة :

اتضح في هذه الدراسة أنه لاعتبارات جغرافية تتعلق بموقعها الداخلي في الصحراء الكبرى وعدم امتلاكها منافذ بحرية واعتبارات تاريخية وسياسية تتعلق بترك الولايات المتحدة الأمريكية هذه الدول إلى حليفتها فرنسا للارتباط الثقافي والتاريخي فيما بينهم، و اعتبارات اقتصادية لفقر هذه الدول للموارد الجاذبة للاستثمار فيها ، لم تحتل دول الساحل الأفريقي الحبيسة الأربعة (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) مكانة بارزة في الإستراتيجية الأمريكية طيلة عقود القرن الماضي، ومع بداية القرن الحالي وعقب تفجيرات 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من ملاحقة للجماعات الإرهابية في أفغانستان والعراق خلال أعوام 2001 و2002 و 2003 بعد أن تبنت الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجية الحرب العالمية على الإرهاب وملاحقة الجماعات الإرهابية أينما وجدت على خريطة العالم تطبيقاً لمبدأ الضربات الوقائية حماية لأمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية الأمر الذي أدى بها إلى الفرار باتجاه دول الساحل الأفريقي والانضمام للجماعات الموجودة فيه من الأساس والتي سبق وأن أعلنت تبعيتها إلى تنظيم القاعدة الأم في المشرق، مستغلة عجز أجهزة الدولة فيها من حماية حدودها لتتخذ منها مركزاً لتوجيه ضرباتها للمصالح الغربية والأمريكية ، خاصة وأن هذه المصالح صارت تحتل مكانة بارزة لدى صناع القرار السياسي الأمريكي بعد ازدياد الاكتشافات الضخمة لمصادر الطاقة في منطقة الساحل والمناطق المجاورة لها، وازدياد حدة التنافس الدولي على الفوز بالحصول على عقود استثمار فيها، الأمر الذي أدى إلى احتلال منطقة الساحل الإفريقي بشكل عام ودول المحور الأوسط الأربعة من المنطقة نفسها مكانة هامة في

الإستراتيجية الأمريكية، يظهر ذلك من خلال تصريحات المسئولين الأمريكيين وتقارير الوثائق الأمنية الأمريكية ونتائج دراسات مراكز البحوث الأمريكية.

وعلى ضوء ما سبق يمكننا عرض ما توصلنا إليه من نتائج عبر هذه الدراسة وهي كما يلي :

- نالت دول الساحل الأفريقي الأربعة الحبيسة أو ما يطلق عليها بدول المحور الأوسط من الساحل الإفريقي مكانة بارزة في أغلب مداولات ونقاشات وتصريحات المسئولين الأمريكيين خلال العقدين الأخيرين من القرن الحالي، حيث أكدت كلها على أن حماية ومساعدة ودعم هذه الدول في مكافحة الإرهاب وبناء مؤسساتها وتنمية اقتصادها يحقق مصالح وأمن الولايات المتحدة الأمريكية.

- إنشاء القيادة العسكرية الأمريكية الموحدة لأفريقيا التي يطلق عليها اختصاراً" الأفريكوم" مهمتها الإشراف على جميع الأعمال العسكرية والأمنية في أفريقيا، ماعدا مصر، والبحث عن موقع لها في إحدى دول المنطقتين المتجاورتين المغرب العربي والساحل الإفريقي لكي يكون مركز القيادة على أراضيها، أعطت مؤشراً واضحاً إلى مكانة منطقة الساحل الإفريقي في الإستراتيجية الأمريكية.

- تنوعت وسائل وآليات تنفيذ الإستراتيجية الأمريكية في تعاملها مع الأخطار التي يمكن أن تأتي من داخل أراضي هذه الدول بين استخدام العنف والقوة الصلدة من خلال توجيه الضربات الجوية وعمليات التدخل من خلال قوات المهام الخاصة، وبين استخدام الأساليب اللينة كمنتديات الحوار والشراكة والمعونات المالية.

- عقب اكتشاف الثروات الطبيعة كاليورانيوم والذهب وموارد الطاقة في دول المحور الأوسط من الساحل الإفريقي تحولت أنظار الدول الكبرى كالصين والبرازيل والعديد من الدول الأسيوية والأوروبية الأخرى ومن قبلهم جميعاً فرنسا باتجاهها لتدخل في تنافس شديد فيما بينها للحصول على عقود استثمار وتنقيب وإنتاج لهذه الثروات لاسيما الطاقة التي زاد الطلب عليها نتيجة للنمو الاقتصادي والصناعي فيها وهذا يعني أن الولايات المتحدة وهي المستهلك الأول للطاقة في العالم لن تترك الساحة لغيرها من المنافسين الدوليين.

- إنشاء القواعد العسكرية وانتشار قوات المهام الخاصة الأمريكية وكثافة المراقبة والطلعات الجوية والقصف الجوي المركز و عمليات التدريب وإقامة المناورات العسكرية المتعددة على أراضي الدول الأربعة الحبيسة من منطقة الساحل الإفريقي والدول المجاورة لها بالتوازي مع تكثيف النشاط الاقتصادي والسياسي معها خلال العقدين الآخرين من القرن الحالي يعطي مؤشراً واضحاً على مدى المكانة التي صارت تحتلها هذه الدول في الإستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية.

- بالرغم من الانسحاب الجزئي الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً من هذه الدول بعد ازدياد الخسائر في الجنود والعتاد فإن هذه الدول الأربعة الحبيسة ومنطقة الساحل بشكل عام مازالت تحتل نفس المكانة نظراً لاستمرار الزيارات المتكررة التي يقوم بها قادة الأفريكوم من أجل دعم وتنسيق الجهود مع هذه الدول لمكافحة الإرهاب في ظل ازدياد نشاط هذه الجماعات خلال السنتين الأخيرتين، وكذلك استمرار مراقبة نشاطات الجماعات

المتطرفة وضربها عند أول فرصة كما حدث مؤخراً في النيجر ومالي يثبت أن الأمر لا يتعدى من أن يكون إعادة انتشار وتغيير الآليات السابقة بآليات أكثر نجاعة وبأقل الخسائر.

وبناء على ذلك فسيتعين على دول الساحل الحبيسة الأربعة في المستقبل القريب التعامل مع الإستراتجية الأمريكية التي تنفذها الإدارة الأمريكية في هذه الدول في الآتي :

- أن دول المحور الأوسط الأربعة من الساحل الإفريقي (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) التي دخلت في مبادرات واتفاقيات مع الولايات المتحدة الأمريكية ستكون مضطرة إلى تقديم تسهيلات عسكرية ولوجستية بحجة مكافحة الإرهاب.

- إن انتباه الدول الكبرى لحجم الثروات الاقتصادية التي بدأت تكتشف مؤخراً في دول الساحل الأوسط خاصة فيما يتعلق باليورانيوم والذهب وأيضاً موارد الطاقة التي وإن كان حجمها لا يضاهي نظيراتها في خليج غينيا وشمال أفريقيا لكن إمكانية تطور تلك الثروة وزيادتها في المستقبل أمر وارد جداً، سيخلق تنافساً دوليا من أجل الظفر بالنصيب الأكبر من هذه الثروات، خاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين وفرنسا، ولهذا سيكون على القادة السياسيين في دول الساحل الأفريقي الأوسط مضطرين إلى التعامل مع هذه الدول الكبرى ومطالبين بتحديد أفضل الخيارات والسياسات لذلك، لكي لا يتورطوا في اتفاقيات قد تغرق دولهم اقتصادياً وسياسياً.

- بعد أن صارت دول المحور الأوسط الأربعة من الساحل الإفريقي تحتل مكانة مهمة في الإستراتيجية الأمريكية خلال العقدين الأخيرين سيتعين

عليها الاستعداد للتعامل مع المزيد من المبادرات التي ستتبناها الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل تحقيق أمنها القومي وحماية مصالحها، والتي قد تتغير وسائل تنفيذها وحجمها وكثافتها من وقت لآخر، لكنها لن تتركها بشكل نهائي كما حدث في السابق.

المراجع :

أولاً / الكتب :

1- إبراهيم حلمي الغوري، أطلس العالم، دارالشرق العربي، بيروت، 2013..

2 - جميل مصعب محمود، تطورات السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا وانعكاساتها الدولية، ط:1، دار مجدلاوي، عمان، .2006

3- سيد عبدالرحيم أبوالخير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو ليبيا منذ 1969 - 1989، زهران للنشر، القاهرة، .2003

4- كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، ط:1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2014.

5- فتحي محمد أبوعيانة، دراسات في الجغرافيا السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983

6 - محمد رياض : الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوسياسية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

ثانياً / الدوريات :

1- ابتسام محمد العامري، الدور الصيني في إفريقيا دراسة في الأبعاد والتحديات، دراسات إفريقية، العدد الأول ، مركز الدراسات الإفريقية، العراق، السنة الثانية،كانون الثاني، 2017.

2- أحمد إبراهيم محمود : الإرهاب الدولي الشكل الرئيس للصراع المسلح في الساحة الدولية، السياسة الدولية، العدد :47، يناير .2002

3- أحمد إدريس، منطقة الساحل الإفريقي وأمن المغرب العربي، المغرب العربي وأفريقيا، مجموعة الخبراء المغاربين، مركز الدراسات المتوسطية والدولية، العدد:4، فبراير، .2011

4 -- الطاهر قاضي، الاهتمام والتنافس الدولي على منطقة الساحل الإفريقي، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، العدد الخامس، آذار- مارس، 2019.

5- أميرة محمد عبدالحليم، تنظيم القاعدة في الساحل الإفريقي وربيع الثورات العربية، آفاق أفريقية، السنة، 11، العدد : 38، 2012.

6 - إيمان عبدالحليم، حسابات باريس : عوائق التدخل العسكري الفرنسي في شمال مالي، السياسة الدولية، العدد 191، يناير .2013

7- جميلة علاق، إستراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، الجزائر،19 - 12 - 2014.

*8- **حمدي عبدالرحمن :السياسة الأمريكية تجاه إفريقيا من العزلة الشراكة، السياسة الدولية، العدد 144، يناير، 2013.***

9 - خالد حنفي علي، النفط الإفريقي : بؤرة جديدة للتنافس الدولي، السياسة الدولية، العدد : 164، أبريل 2006.

10- خيري عبدالرازق جاسم، قيادة عسكرية أمريكية جديدة لإفريقيا : فرصة أمريكية ومحنة إفريقية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد : 21، فبراير، .2009

11 - راوية توفيق، السياسة الفرنسية، في إفريقيا، الأداة العسكرية في خدمة المصالح الاقتصادية ودعاوي المهمة الحضارية، قراءات إفريقية، العدد 20، أبريل .2014

12 - سعيد الهوسي، مكانة دول **المغرب** العربي الأمنية في الإستراتيجية الأمريكية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد : 33، شتاء،2012.

13 - عبدالله صالح، الأزمة التشادية "إلى أين"، السياسة الدولية، العدد : 172، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، إبريل .2008

14- عربي بومدين، الساحل الإفريقي ضمن الهندسة الأمنية الأمريكية، قراءات إفريقية، العدد:9، يناير، 2014.

15- عشور قشي، التنافس الفرنسي - الأمريكي حول منطقة الساحل الأفريقي : دراسة في منطلقات الاهتمام وآليات التغلغل، المستقبل العربي، العددان : 45-46، شتاء - ربيع، 2015. 16- فوزية قاسي، الساحل الإفريقي من منظور الأمن الطاقوي الأمريكي حماية تدفق الإمدادات من خليج غينيا، قراءات إفريقية، العدد التاسع عشر، محرم - ربيع الأول، مارس 2014.

17 - قاسم محمد عبيد،إسراء رشيد عبدالله، المتغيرات الداخلية المؤثرة في الإستراتيجية الأمريكية تجاه" منطقة القرن الإفريقي بعد 2011"، دراسات إفريقية، العدد : 2، السنة الأولى، مركز الدراسات الإفريقية، النجف، العراق، نيسان 2017.

18- مادي إبراهيم كانتي، الصراع الداخلي وانتقال حرب الإرهاب إلى مالي، مجلة دراسات إفريقية، العدد: صفر، السنة الأولى، تشرين الأول، مركز الدراسات الإفريقية، العراق، 2016.

ثالثاً / التقارير :

1- تقرير التنمية البشرية 2014: المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر، نيويورك : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2014.

خامساً / شبكة المعلومات الدولية :

1- أحمد عسكر، الدور الإقليمي للنيجر في منطقة الساحل والصحراء : مقوماته وتحدياته ومستقبله، مركز الإمارات للسياسات، سبتمبر 2020، على الموقع الإلكتروني : https://epc.ae/ar/research-unit/west-africa

2- السيد خالد التزاني، الانتشار العسكري الأمريكي : الدوافع والرهانات، مركز دراسات الوحدة العربية على الموقع الإلكتروني :

www.caus.org.lb/ar/

3 - بلال المصري، القيادة العسكرية بالنيجر تتلقى ضربة موجعة، المركز الديمقراطي العربي ، القاهرة، على الموقع الإلكتروني : https://democraticac.de/?p=50189

4- حمدي عبد الرحمن، ديمغرافية التطرف مقاربات بديلة لمواجهة عودة داعش بالساحل الإفريقي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2021، على الموقع الإلكتروني : https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6018/

5 - حمدي عبدالرحمن، هل حان وقت نزع عسكرة الإرهاب في أفريقيا، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،30- مارس 2021، على الموقع الإلكتروني : https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6190

6- عصام عبد الشافي، معضلة مزمنة: تعقيدات غياب الأمن في الساحل والصحراء، على الموقع الإلكتروني :https://platform.almanhal.com

7 -مارك لاجون، وراشيل سادوف، اتجاهات واشنطن لاحتواء الانتشار الصيني في إفريقيا، عرض إيمان فخري، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020، على الموقع الإلكتروني: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/6018/.

8- مجلة قراءات إفريقية ، الدول الإفريقية في مستنقع الديون الخارجية، على الموقع الإلكتروني : https://www.qiraatafrican.com/country/BF / .

9 - محمود ماضي، الاهتمام الأمريكي بدار فور مرتبط بتوجه إستراتيجي نحو إفريقيا، سويس انفو، 3 مايو، 2007، على الموقع الإلكتروني :http://www.swissinfo.c .

[10] - ميرفت عوف، فانغر في الساحل .. لماذا تشتعل المنافسة بين روسيا وفرنسا في مالي؟، ميدان - موسوعة الجزيرة، شبكة الجزيرة الإعلامية، على الموقع الإلكتروني : https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2021/9/26

انتشار داعش في أفريقيا ـ التمدد في موزمبيق نموذجاً

أ. محمد عادل عثمان
جامعة القاهرة

المقدمة:

مع الضربات التي تعرض لها تنظيم "داعش" في سوريا والعراق منذ عام 2017 سعى التنظيم للبحث عن مناطق بديلة يمكنه من خلالها الانتشار والتمدد للحفاظ على"مشروعه" المزعوم بإقامة "دولة الخلافة"، ومن المعروف أن مثل هذه التنظيمات عادة ما تبحث عن المناطق التي تشهد صراعات وتعاني من الهشاشة والمشاكل الداخلية للتمدد فيها لأنها عادة ما تلعب على هذه التناقضات لهذه المجتمعات وتتمدد وتسعى فيها للبقاء.

وتعتبر القارة الإفريقية ملاذ أمن بالنسبة لهذه التنظيمات فقد شهدت انتشار واسع سابقًا لعناصر تنظيم القاعدة في بداية ظهورها مع حقبة التسعينيات من القرن الماضي، ولذلك فأن تنظيم "داعش" يجد في دول القارة الإفريقية وبخاصة جنوب الصحراء الكبرى الملاذ الآمن له لأنه كما سبق الإشارة توفر البيئة التي يعيش فيها .

وقد نجح التنظيم منذ بداية العام 2018 في أن يحقق نجاحات على الأرض في دول إفريقيا جنوب الصحراء إذ تمكن من مواجهة القوات الأمنية في الدول التي انتشر فيها حيث أظهر قدرة عالية الدقة في الاشتباك وإدارة

المعارك مع تنوع الأسلحة وغيرها من الموارد التي وفرت للتنظيم قدرات عالية جعلته يتفوق حتى على جماعات أخرى تحاول أن تسيطر على الأوضاع هناك كـ جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" التابعة لتنظيم القاعدة.

بل أن التنظيم حاول الاندماج في المجتمعات المحلية عبر تقديم الخدمات الاجتماعية في بعض المناطق بنيجيريا عبر فرعه هناك المعروف باسم ولاية غرب إفريقيا في محاولة منه لاستقطاب أكبر عدد من المؤيدين وذلك عبر إستراتيجية تعرف بـ كسب القلوب والعقول والتي تبنى على أساس الشراكة مع المدنيين في تنظيم بعض الأعمال التجارية وتقديم الخدمات للمواطنين في بعض الأحيان كنوع من التمدد [1].

وفي ذات السياق، فقد مثل انتشار تنظيم "داعش" في موزمبيق عبر جماعة الشباب التابعة له على مدينة بالما لأيام تهديد كبير باتت تمثله هذه الجماعة بالنسبة للقارة الإفريقية في جزئه الجنوب الشرقي من القارة، وباتت هناك تساؤلات حول الخطورة الحقيقية التي بات يشكلها تنظيم ‘‘داعش’’ في إفريقيا بعد أن انتشر في كافة أقاليم القارة من الشمال إلى الوسط إلى الجنوب إلى الشرق والغرب.

وفي هذه الورقة سيتم الإشارة إلى أحد النقاط الجديدة في القارة الإفريقية وكيف يسعى تنظيم "داعش" للانتشار فيها وهي دولة موزمبيق وكيف أنها أصبحت أحد أهم النقاط التي باتت تمثل نقطة انطلاق وبقاء قوية لتنظيم "داعش" خاصة في إطار دعمه لما يعرف بتنظيم الدولة في وسط إفريقيا والتي تعتبر موزمبيق جزء منها.

أولاً-إستراتيجية داعش في شرق إفريقيا:

عرفت منطقة القرن الإفريقي تاريخًا بأنها أحد المناطق التي شهدت انتشار واسع للإرهاب منذ بداية ظهور تنظيم "القاعدة" حيث تحولت هذه المنطقة إلى ملاذ أمن للجماعات المسلحة والعنيفة بشكل عام، وهو ما جعلها محل اهتمام للجماعات بشتى إيديولوجيتها ويرجع ذلك الأمر إلى الأسباب التالية: -

1.**ضعف المؤسسات الأمنية وهشاشة الأنظمة**: أدت الحروب والصراعات وتنوع العرقيات في منطقة القرن الإفريقي إلى هشاشة الأنظمة الحاكمة هناك مما أثر على استقرارها، وما يزيد من خطورة هذه المشكلة هو أن التنظيمات في شرق إفريقيا نشئت كمجموعات مسلحة منشقة عن حركات أخرى موجودة في المنطقة، وانطلقت هذه الجماعات في صورة العمل السري لفترة وتحولت لكيانات أشبه بالدول التي لها امتدادات قبلية، لذلك تجد الجماعات في تلك المناطق في بعض الأوقات دعم سياسي واقتصادي [2].

2.**الصراع الإقليمي والدولي**: تعتبر منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا بشكل عام أحد المناطق الهامة جيوسياسيًا وهو ما جعلها محل صراع دولي إقليمي للبحث عن موطيء قدم فيها الأمر الذي يدفع البعض منها إلى التعاون مع الجماعات الإرهابية وعصابات الجريمة المنظمة هناك من أجل الانتشار والتواجد .

3.**تصارع الجماعات الإرهابية:** كما سبق الإشارة تعاني منطقة القرن الإفريقي من صراعات داخلية أدت إلى عدم الاستقرار، وهي البيئة التي تبحث عنها عادة الجماعات الإرهابية وتسعى للانتشار من خلالها ولذلك، يسعى تنظيم

"داعش" للسيطرة هناك والانتشار كجزء من إستراتيجيته القائمة على التوسع في إفريقيا حتى لو لم يتمكن من إقامة دولة "الخلافة" هناك على غرار ما فعله بسوريا والعراق، وللبحث عن جانب من السيطرة على حساب حركة الشباب التي تعتبر من أقدم الجماعات الإرهابية هناك وفي تلك المنطقة [3].

1.داعش والشرق الإفريقي :

عمل تنظيم "داعش" منذ نشأته على وضع خريطة دولته المزعومة في إفريقيا كان من بين مناطقه ما عرف بـ " ولاية الحبشة" وهي التي تشمل على منطقة القرن الإفريقي كاملة، مما يؤكد على أهمية هذه المنطقة في عقلية عناصر التنظيم، ومع بيعة عناصر متطرفة صومالية لتنظيم "داعش" في عام 2015 وعلى الرغم من أن عددهم لا يزال محدود إلا أن وجوده في هذه المنطقة يمثل بؤرة خطر على دورها قد تتسع.

ينطلق تنظيم "داعش" في منطقة الشرق الإفريقي من خلال حرب العصابات واستنزاف الجيوش والمدن، وروج الخطاب الداعشي لهذه الإستراتيجية عبر ما أطلق عليه" جهاد التحدي" وذلك في مايو من عام 2019 بصحيفة النبأ التابعة له، وهو ما يعني أن تنظيم داعش سيعمل على شن أكبر قدر من العمليات في هذه المنطقة عبر المؤيدين له ومبايعيه في دول القرن الإفريقي .

وفي ذات السياق، أشار تقرير صادر عن هيئة الإذاعة البريطانية أن التغير في العمل العسكري التابع لتنظيم "داعش" يتجه عبر مراحل مختلفة ومن بينها تغيير كبير في نهج عمل التنظيم يقوم على التصعيد المرحلي في التنقل بين المناطق عبر التركيز على بؤر أخرى للتنظيم ليس فقط في معاقله بسوريا

والعراق بل في مناطق أخرى كإفريقيا وأفغانستان [4]، وعلى وجه الخصوص في الشرق الإفريقي وتحديداً موزمبيق والكونغو الديمقراطية، وهو ما يعني أن منطقة الشرق الإفريقي ستعاني من نشاط حركة "الشباب" الصومالية وولاية شرق إفريقيا إذ أن الأخيرة، تواصل تهديد كافة الدول التى ترى أنها تمثل تهديد لوجودها في الصومال كإثيوبيا وأوغندا.

وبدء ظهور تنظيم "داعش" فعليًا في شرق إفريقيا في أكتوبر عام 2015 وذلك عقب انفصال مجموعة من حركة الشباب عن الحركة وإعلانهم مبايعة التنظيم، ومنذ ذلك الوقت والتنظيم يعمل على مضاعفة أعداد عناصره وتشير الأرقام والتقديرات الغربية أن عدد مقاتلي تنظيم داعش في شرق إفريقيا يقارب الـ (300) عنصر [5]، وبالرغم من هذا العدد القليل بالمقارنة مع عناصر حركة الشباب إلا أن التنظيم يعطى اهتمام كبير بتواجده في المنطقة وسبق له أن دعا عناصره إلى الانضمام لداعش الصومال .

2. داعش موزمبيق من الدعوة إلى العنف

يرجع تاريخ بداية انتشار تنظيم "داعش" الغير معلنة في موزمبيق منذ عام 2015 وذلك عندما قام مجموعة من الشباب بتجميع أنفسهم، في مقاطعة "كابو ديلغادو" ذات الأغلبية المسلمة، بدفع الاعتراض على حالة المظالم الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها هؤلاء الشباب بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية في الإقليم وغياب فرص التوظيف في الأعمال الاستثمارية التي تتم في المقاطعة[6]، نتيجة لسيطرة أغلب الشركات الأوروبية على فرص التوظيف ومصادرة أراضي سكان المدينة من قبل الحكومة لصالح هذه الشركات العاملة في مجال التعدين والبترول [7].

و تتكون الجماعة من مقاتلين من مقاطعات (موشيمبوا دا برايا ، بالما وماكوميا ، إلى جانب عناصر من الصومال وتنزانيا)، واستطاعت الجماعة أن تجند عدد كبير من الشباب على نطاق واسع وبناء شبكة مالية عبر الاستفادة من المظالم المحلية، فقد كان قادة هذه الجماعة، يتجولون في الأحياء ويحتكون بشكل مباشر بالأفراد وينظمون الندوات واللقاءات سعيًا في حشد أكبر قدر ممكن من الأفراد لضمان نجاح أهدافهم [8] .

وفي بداية الظهور أطلقت على نفسها جماعة " أنصار السنة" ثم جماعة الشباب وكانتلا تتبني نهج العنف بل أنها كانت تدعو الشباب إلى الالتزام وتقدم دروس اجتماعية ودينية إلى أن تحولت بعد ذلك وأصبحت تمارس العنف والقتل والنهب الجماعي.

وتشير بعض التقارير والدراسات إلى أن قادة ومؤسسي هذه الجماعة وهم " نور ادرمان وجعفر علوي" تأثروا بفكر حركة الشباب الصومالية وتحديدًا بالكيني "عبود روجو" أحد الأشخاص الذين اتهمتم الولايات المتحدة الأمريكية بتفجير سفارتها في تنزانيا عام 1998، والذي قتل في عام 2012، وبعد وفاته عبر هؤلاء الأشخاص الحدود التنزانية ومنها إلى موزمبيق وعملوا مع ظهور "داعش" على تأييدهم للتنظيم ودعوته، واتجهوا إلى تجنيد الشباب في مقاطعة كابو ديلجادو وغيرها من المناطق لتأييد أفكار التنظيم، ونجحوا في تجنيد عدد من الشباب في الفئة العمرية من (20) إلى (35) عام [9].

وجاء غالبية أعضاء الجماعة من قبيلة كيموانى وهي أحد المجموعات العرقية التي تم تهميشها اجتماعياً واقتصاديًا، وهنا تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الجماعات تتجه في بعض الأحيان إلى رفع خطاب إثني ممزوج ببعض

المزايا الاقتصادية عبر اللعب على التهميش الذي تعاني منه جماعة معينة كنوع من التنجيد والاستقطاب.

ويتحدث عناصر هذه الحركة اللغة البرتغالية والسواحلية، ويرفعون خطاب يعادي الدولة ومؤسساتها خاصة الأجهزة الأمنية، كما تدرب عدد كبير منهم في معسكرات تابعة لحركة الشباب الصومالية وذلك قبل مبايعة تنظيم "داعش".

أخذ تطور هذه الجماعة نفس الشكل الذي نشأت على أساسه الجماعات الاخرى في إفريقيا كجماعة نصرة الإسلام والمسلمين وجماعة بوكو حرام إذ تتسم نشأة الجماعات المتطرفة في إفريقيا بسمة العمل "الدعوي" السلمي في بداية الظهور ثم تنطلق تدريجًيا نحو الإعلان عن نفسها وعن أهدافها ومشروعها [10] ، وكان هجوم الخامس من أكتوبر عام 2017 وذلك عندما أقدم (20) عنصر مسلح من جماعة الشباب، بتنفيذ هجوم على ثلاثة جهات شرطية في مقاطعة كابو ديلجادو بشمال شرق البلاد[11]، بمثابة الإعلان الحقيقي عن ظهورها، ومنذ هذا التاريخ وحتي يوليو من عام 2020 نفذت هذه الجماعة (490) هجوم أسفر عن مقتل (1417) شخص منهم (920) مدني وذلك وفقا لقاعدة بيانات (ACLED) المتخصصة في رصد النزاعات المسلحة حول العالم، وأعلنت هذه الجماعة عن مبايعتها لتنظيم "داعش"في يونيو 2018 وقررت في عام 2020 تغير أسمها لحركة الشباب بعد أن كان أنصار السنة [12].

ثانيًا-موزمبيق بوابة "داعش" نحو جنوب القارة:

مع تصاعد خطورة تنظيم"داعش" في موزمبيق والكونغو أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في مارس 2021 عن تصنيف ما يعرف بـ " ولاية وسط إفريقيا" منظمة إرهابية [13]، وكان تنظيم داع قد أعلن أن عناصره في موزمبيق ضمن ولاية وسط إفريقيا، وهو ما يعنى أن هذه المنظمة باتت تشكل تهديد وجودي في القارة الإفريقية وبأن تمدد "داعش" في وسط القارة الإفريقية بات أمر حتمى ولا يمكن التهاون فيه، فقد عمل التنظيم على تصعيد عملياته الإرهابية، من أجل تعزيز قدرته على تصدر خريطة التنظيمات الإرهابية بشكل قد يهدد أمن واستقرار تلك الدول[14]، إذ قام التنظيم بشن هجوم إرهابي بتنزانيا في أكتوبر 2020، معلنًا عن قيام تنظيم ولاية وسط إفريقيا الذي يضم موزمبيق وتنزانيا كجزء منه، مما يؤكد على فرضية إقدام التنظيم على التوسع الرأسي والأفقي في الإقليم الجنوب الشرقي من إفريقيا.

1.التعاون مع الجماعات المسلحة المحلية:

اعتمد تنظيم "داعش" على إستراتيجية تبنى على أساس دعم الجماعات المسلحة المحلية حول العالم إذا استوفت هذه الجماعات الشروط التي يضعها التنظيم نحو الاعتراف به كفرع تابع له[15].

ويتنبى التنظيم هذه الإستراتيجية لعدة أسباب من أهمها زيادة ثرواته المالية خاصة في المناطق الغنية بالموارد الطبيعية والمواد الخام والبترول وهي الحالة التي تنطبق على منطقة النزاع في شمال موزمبيق، التي سعى التنظيم إلى التوغل فيها عبر دعم جماعة أنصار السنة أو الشباب من أجل

السيطرة على موارد البلاد البترولية المكتشفة حديثًا عبر استغلال القوة والتمرد ضد الحكومة الموزمبيقية[16] .

ونتج عن هذا التعاون الذي يتباهبه التنظيم في موزمبيق تهديد أي محاولات للاستفادة من الموارد النفطية التي تقدر بـ(60) مليار دولار مما قد يساهم في تحسن الوضع الاقتصادي لموزمبيق التي تصنف ضمن أكثر (10) دول فقيرة في العالم ، ومن جهة أخرى يدفع هذا الأمر الدول إلى سحب استثماراتها النفطية ، خوفًا من تعرض الشركات الاستثمارية إلى التهديدات أو الخطف لموظفيها[17].

2.القرصنة البحرية:

أدى الموقع الجيوسياسي والاستراتيجي لموزمبيق على المحيط الهندي إلى جعلها محل اهتمام كبير في منظومة الطرق والممرات التجارة البحرية بالمحيط الهندي[18]، وجغرافيا تقع موزمبيق في منطقة الجنوب الإفريقي وتشترك بحدود جغرافية مع تنزانيا وجنوب إفريقيا وزامبيا وزيمبابوي .

وأمام هذه الأهمية الجيوسياسية فإن تنظيم "داعش"يسعى إلى التمدد هناك من أجل تكثيف نشاط القرصنة البحرية، خاصة أن الدول التي يسعى للتمدد فيها تمتلك سواحل بحرية تطل على المحيط الهندي مباشرة لذلك، فنجاح التنظيم في الانتشار هناك يعني قدرته على تهديد الملاحة الدولية [19]، بالإضافة إلى السعي نحو تهديد مصالح بعض القوى الدولية والإقليمية التي شاركت في الحرب ضده في سوريا والعراق، وبخاصة الولايات المتحدة، وفرنسا وغيرها من القوى التي تمتلك العديد من المصالح الاستراتيجية في المنطقة[20].

و يستفيد التنظيم من الانتشار في موزمبيق في أنه يؤثر بشكل مباشر على الواردات وصادرات جنوب إفريقيا التي تمر عبر المحيط الهندي من خلال عمليات القرصنة البحرية على اعتبار أنها واحدة من أكثر الدول قوة اقتصادية في إفريقيا ، وبخاصة الواردات النفطية

3. إقامة مثلث للنفوذ:

يسعى تنظيم "داعش" إلى إحكام السيطرة على الجزء الأوسط من القارة الإفريقية مرورًا بـ الجزء الجنوبي الشرقي من القارة حيث تنزانيا وموزمبيق والدول الأخرى ،عبر ما يعرف بولاية وسط إفريقيا إذ تشير تقارير غربية أن مقاتلي موزمبيق تلقوا تدريبات على أساليب حروب العصابات في شرق الكونغو لا سيما في استخدام قذائف الهاون، ويرجع ذلك الاهتمام إلى رغبة التنظيم الربط بين عناصره في الصومال وموزمبيق والكونغو الديمقراطية[21].

ويستند تنظيم داعش إلى هذه الاستراتيجية عبر ضم أو إعادة تسمية الجماعات المسلحة القائمة بالفعل، وهو ما يعتبر تأكيد للطابع المألوف لدى تنظيم داعش القائم على أساس البناء الجغرافي، بصرف النظر عن مقاطعتها في جنوب شرق آسيا ، والتي تمتد عبر دول جزرية متعددة بسبب الطبيعة الجغرافية في المقام الأول[22].

ولعل الهدف الداعشي من تلك المحاولات ترجع إلى التصعيد المستمر بين داعش في إفريقيا والقاعدة عبر فروعها هناك، إذ لا يزال استمرار التنافس والصراع بين حركة "الشباب" المبايعة للقاعدة وعناصر تنظيم داعش في الصومال المعروفين بـ ولاية شرق إفريقيا، خاصة أمام القوة الضاربة لحركة

"الشباب" في الصومال والتي تجعل من الصعوبة على تنظيم "داعش" هناك احراز تقدم حقيقي على الأرض[23].

وتشير تقارير غربية إلى أنه في الوقت الذي يتم فيه إعادة تأكيد حركة الشباب بموزمبيق على الانتماء داعش، تتلقى الجماعة دعم بمقاتلين وأسلحة من متمردي تحالف القوى الديمقراطية في أوغندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية الذين تم الاعتراف بهم على أنهم الولاية الرسمية لداعش في وسط أفريقيا[24] حيث يأمل التنظيم عبر ما يعرف بـ ولاية وسط إفريقيا أن يحقق هذا الزخم عبر التوغل من الوسط في الكونغو إلى الشرق حيث تنزانيا وموزمبيق وبالتالى تضييق الخناق على حركة الشباب وشق الطريق إلى دول أخرى .

والدليل على ذلك أن التنظيم يسعى عبر التمدد في موزمبيق للانتقال والسيطرة على دول الإقليم الجنوبي للقارة الإفريقية وتحديدًا جنوب إفريقيا، فبداية من عام 2016 تم رفع مستوى التهديد في جنوب إفريقيا بعد تحذيرات من السفارة الأمريكية هناك من احتمالية وقوع هجمات على الشركات والرعايا الأمريكيين بالبلاد. وبشكل عام يمكن الإشارة إلى دلائل الاهتمام الداعش بالتمدد في جنوب إفريقيا وفقا للنقاط التالية:-

- **المنصات الإعلامية لداعش:** حذر مجلس الأمن الدولي في تقرير له صدر عام 2015 من أن تنظيم داعش يسعى التمدد نحو جنوب إفريقيا وأن المنصات الإعلامية لداعش تستهدف المسلمين هناك وفي إبريل من العام نفسه القت قوات الأمن القبض على فتاة تبلغ من العمر 15 عام بمطار كيب تاون بعد مراقبة حسابها على مواقع التواصل الاجتماعي وثبت تواصلها مع أشخاص من التنظيم في سوريا والعراق وأقنعوها بالانضمام إليهم[25] ، كما

سبق وأن ألقت قوات الأمن بجنوب إفريقيا القبض على (11) رجلًا من تنزانيا وجنوب إفريقيا وثبت أنهم على علاقة بحسابات تابعة لتنظيم داعش وعلى اطلاع دائم بالأخبار التي تأتي من نشرات التنظيم ، و بتفتيش منازلهم عثر على إعلام للتنظيم ومواد مكتوبة حول طرق تصنيع المتفجرات.

وبشكل عام مر الخطاب الداعشي الموجه نحو جنوب إفريقيا بمرحلتين الأولي هي تلك التي اتسمت بتكثيف الدعاية وبدأت من عام 2013 وحتي عام 2015، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الدعوة بشكل مباشر للانضمام للتنظيم لجذب تعاطف المجتمع الجنوب إفريقي مع تنظيم "داعش".

- **جنوب إفريقيا ملاذ آمن في تجنيد مقاتلين للتنظيم:** ينظر "داعش" إلى جنوب إفريقيا من بوابة أنها تمثل خلايا نائمة يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها في هدفه نحو بناء فرع للتنظيم يمكنه أن ينتشر هناك[26].

فقد سبق وأن حذر المتحدث باسم قوات القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا(أفريكوم) في مايو 2019 من أن هناك روابط بين تنظيم "داعش" و"جماعة تحالف القوات الديمقراطية" في الكونغو الديمقراطية وقوات "أنصار السنة" في موزمبيق وأن كلًا من الطرفين يمهدان لنشر عناصر من التنظيم في جنوب إفريقيا، كما شهد عام 2018 عودة ما يقارب من (100) مقاتل جنوب إفريقي كانوا مع تنظيم داعش في سوريا والعراق إلى البلاد[27]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المقاتلين الذين شاركوا مع تنظيم داعش امتازوا بخصوصية تختلف عن تلك التي تدفع بعض المقاتلين للانضمام لداعش في دول إفريقيا جنوب الصحراء وهي أن هؤلاء المجندون كانوا من خلفيات اجتماعية

واقتصادية مستقرة، وأن الدافع نحو الانضمام للتنظيم كان نتيجة رؤية التنظيم الطوباوية للمجتمع في بناء دولة "عادلة" .

ثالثًا -سيناريوهات ومقاربات أمنية:

شكل انتشار العنف والإرهاب في موزمبيق والدعاية الإعلامية الداعشية لهذه المنطقة تهديد حقيقي لدول الجوار بالإضافة إلى المجتمع الدولي، وبخاصة الدول التي لديها مصالح استثمارية هناك، الأمر الذي دفع باتخاذ مقاربات أمنية للتعامل مع هذه الأزمة وهو ما سيتم طرحه في النقاط التالية عبر الإشارة إلى المقاربات الامنية على المستوى الإفريقي

وتشير المقاربات الأمنية الإفريقية للمحاولات التي أقدمت عليها الدول الإفريقية والمنظمات الإقليمية الإفريقية في التعامل أمنيًا مع جماعة الشباب في موزمبيق وهي: -

1.جهود الجماعة الإنمائية لإقليم جنوب إفريقيا (SADC): كانت موزمبيق قد طلبت مساعدة الجماعة الإنمائية لإقليم جنوب إفريقيا لمحاربة الإرهاب وذلك بمؤتمر قمة رؤساء الدول الأعضاء والمنعقدة في مدينة هراري عاصمة زيمبابوي في19 مايو2020،وذلك بالاستناد إلى المادة (5) من معاهدة الجماعة لعام 1992 والتي تنص على تعزيز السلم والأمن بين دول الأعضاء، وقد تم الموافقة على إرسال قوات السادك في 23 يونيو إلى موزمبيق[28].

2.جنوب إفريقيا: أعلن البرلمان الجنوب إفريقي في يوليو 2021 موافقته على إرسال عدد من قواته إلى موزمبيق من أجل المساعدة في محاربة الإرهاب هناك، حيث تقرر إرسال قوة قوامها (1495) جندي إلى موزمبيق.

كما أعلن وزير الخارجية الجنوب إفريقي "ناليدي باندور" بأن بلاده على استعداد للتعاون المخابراتي مع الجهاز الأمني الموزمبيقي.

وسعت جنوب إفريقيا نحو التعاون ومساعدة موزمبيق في القضاء على الإرهاب هناك بسبب مخاوفها الأمنية بالإضافة إلى المشروعات الاقتصادية والاستثمارية التي تمتلكها هناك وبخاصة في مجالي النفط الغاز، فقد سبق وأن تعرضت قافلة تابعة لإحدى شركاتها العاملة في مجال التنقيب عن النفط لهجوم في 27 يونيو 2020 أسفر عن مقتل(8)عمال[29].

3.**رواندا:**أعلنت الحكومة الرواندية عن عزمها إرسال قوات أمنية لمواجهة الإرهاب القائم في موزمبيق وذلك في محاولة منها للتصدي لحالة الإرهاب الذي بات يؤثر على كافة أرجاء شرق ووسط إفريقيا.

فقد قامت رواند بإرسال (1000) جندي من قطاعات الشرطة والجيش ، وتستند رواند في هذا التدخل إلى مذكرة التعاون الأمني التي وقعت بين البلدين في عام 2018[30] ، واستطاعت القوات الرواندية أن تبلي حتى الآن بلاء حسن في القضاء على العنف في البلاد فقد تمكنت من استعادة السيطرة على بعض المدن الاستراتيجية مثل أواسي ودياكا، والتي كانت تقع تحت سيطرة التنظيم[31].

4.بوتسوانا وأنجولا: قامت بوتسوانا بإرسال بعض القوات لموزمبيق، كما أرسلت أنجولا 20 عسكريًا اعتبارًا من 6 أغسطس 2021 ضمن مهمة سادك التي تعهدت بها مؤخرًا إزاء الصراع في موزمبيق[32] .

رابعًا- سيناريوهات مستقبلية:

وختامًا، يمكن القول بإن هناك عدد من السيناريوهات التي قد تشهدها موزمبيق في ظل حالة الاهتمام الداعشي بالانتشار فيها والجهود الإفريقية التي تحاول التصدي لهذه الازمة، وهذه السيناريوهات هي:

1.**مزيد من استنزاف للقوات الأمنية والحكومية في موزمبيق:** ربما يؤدى تفاقم المشاكل الإجتماعية والاقتصادية في الدولة إلى زيادة الضغط على الحكومة في موزمبيق[33] ، مما يعني مزيد من انخراط الشباب الساخط على أوضاع الدولة في صفوف حركة الشباب الموزمبيقية، وبالتالي زيادة تكاليف الدولة من الناحية الأمنية، وبخاصة بعد الاستعانة بشركات أمنية خاصة لاستعادة السيطرة على مناطق في شمال البلاد، بينها شركتا "فاغنر" الروسية و"دايك أدفيزوري غروب" الجنوب إفريقية.

2.تمدد عناصر التنظيم لدول الجوار:كما سبق الإشارة والإيضاح بأن عناصر تنظيم حركة الشباب الموزمبيقية هم من مؤيدي التنظيم في دول شرق ووسط وجنوب القارة الإفريقية ولا يوجد بينهم عناصر من الشرق الأوسط، كما أنهم تلقوا تدريبات في الكونغو الديمقراطية والصومال،وأنهم من متحدثي اللغة السواحيلية من جميع أنحاء شرق إفريقيا، بما في ذلك كينيا وتنزانيا، وربما أيضًا أوغندا ودولة جزر القمر.

ولهذا الأمر دلالة هامة في أن تعدد جنسيات العناصر المنتمين إلى هذه الحركة قد يدفع تنظيم "داعش" إلى توظيفهم في بلدانهم لتنفيذ عمليات إرهابية أو تجنيد مقاتلين جدد.

3.**استنزاف الجيوش الإفريقية:**قد تمثل حالة موزمبيق مستنقع للجيوش الإفريقية عبر دحرها في صورة حرب العصابات، ومما يزيد من احتمالية فشل الجيوش الإفريقية في التصدي لهذه الأزمة هو أن هذه الجيوش لا تمتلك الخبرة الكافية في التعامل مع حروب العصابات الأمر الذي قد يعرضها للخسائر الفادحة خاصة أنها تعاني من ضعف في العتاد والخبرة.

وفي ذات السياق، تشير بعض التقارير إلى أن فرنسا تحاول أن تدفع بالجيش الروندي لكي يلعب الدور الذي كان يقوم به الجيش التشادي في منطقة الساحل والصحراء، خاصة أن الجيش الروندي يعتبر من الجيوش المجهزة عسكريًا[34] وتدعم فرنسا ذلك التوجه بعد فشل المنظومات والمقاربات الأمنية الدولية والأوروبية في التعامل مع أزمة الإرهاب في بعض الدول الإفريقية كحالتها في منطقة الساحل والصحراء.

4.**اندلاع أزمات سياسية:** ربما يؤدي مشاركة الجيوش الإفريقية في الداخل الموزمبيق إلى تصعيد المعارضة ضد النظام الحاكم في البلاد ،بقيادة حزب "رينامو" المعارض الرئيسي للحكومة، خاصة في ضوء انقسام الرأي العام ما بين مؤيد ومعارض للتدخل الخارجي في أزمة موزمبيق[35].

قائمة المراجع:

(1) بسمة سعد، دلالات وتداعيات مقتل أبو بكر شيكاو على أمن منطقة الساحل، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، بتاريخ 2021/6/26 متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3y3M8ZX

(2) نهاد أحمد مكرم عبد الصمد، الارهاب وتحديات التنمية المستدامة في منطقة القرن الافريقي، **مجلة كلية السياسة والاقتصاد**، (بنى سويف: جامعة بني سويف، كلية السياسة والاقتصاد، العدد الرابع،2019)،ص136.

(3) أحمد عسكر، مخاطر تمدُّد تنظيم الدولة "داعش" في منطقة القرن الإفريقي،مجلة قراءات إفريقية،20219/9/24 ، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3m8RhNn

(4) محمد عبد القادر خليل، داعش بعد رحيل البغدادي،المجلة، 2019/11/4، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/37qxnEl

(5) أحمد عسكر،مخاطر تمدُّد تنظيم الدولة "داعش" في منطقة القرن الإفريقي ،مرجع سابق.

(6) زينب مصطفى رويحة، داعش في موزمبيق.. الملامح والتحديات، مجلة قراءات إفريقية، 2020/9/1، متاح على الرابط التالي:https://bit.ly/2ZgDz2g

(7) Gregory Pirio, Robert Pittelli, and Yussuf Adam, "The Emergence of Violent Extremism in Northern Mozambique", **Spot Light**,(Washington: Africa Center for Strategic Studies, March, 2018),at:**https://bit.ly/3nllNTH**

(8) زينب مصطفي رويحه، داعش في موزمبيق.. الملامح والتحديات، مرجع سابق.

(9) Joan Swart, "Countering Ahlu Sunnah Wa-Jamo (Al - Shabaab)Insurgency in Mozambique", (London: Islamic Theology of Counter Terrorism –ITCT, *January 2019),p.*

(10) Audu Bulama Bukarti, Sandun Munasinghe,"The Mozambique Conflict and Deteriorating Security Situation", (London: The Tony Blair Institute for Global Change , June 2020),p.3.

(11) Clayton Hazvinei Vhumbunu, Insurgency in Mozambique: the Role of the Southern African Development Community, The African Centre for the Constructive Resolution of Disputes (ACCORD), APRIL 21, 2021,at:https://bit.ly/3aWya2J

(12) نهال سيد أحمد، "داعش موزمبيق".. أي مصير ستؤول إليه الأوضاع بعد سيطرته على مناطق كاملة في الشمال؟، مركز المسبار للبحوث والدراسات، 2021/5/16، متاح على الرابط التالي:https://bit.ly/30TQaJn

(13) Will Marshall, The Political Economy of Mozambique's 'Faceless Insurgency', Global Risk Insights, April 19, 2021,at: https://bit.ly/3B67TcW

[13] Will Marshall, The Political Economy of Mozambique's 'Faceless Insurgency', Global Risk Insights, April 19, 2021,at: https://bit.ly/3B67TcW

(14) عباس محمد صالح عباس، "ورقات تحليلية: شمال موزمبيق جبهة عالمية جديدة لمكافحة الارهاب"،(الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، أبريل 2021)،ص4.

(15) حمدي عبد الرحمن، تحدي المكافحة: دلالات تمدد "داعش" في أفريقيا الوسطي، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، 2021/6/20، متاح على الرابط التالي:https://bit.ly/2Zegmx8

(16) تصاعد موجات الإرهاب في موزمبيق... الأسباب والتأثيرات، **وحدة رصد اللغات الإفريقية**،(القاهرة:مشيخة الازهر الشريف،مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، أغسطس 2020) .

(17) مركز سمت: لماذا يهتم "داعش" بتعزيز وجوده في موزمبيق، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، 2021/4/17، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3jrOcpL

(18) نهال سيد أحمد، مرجع سابق

(19) مركز سمت: لماذا يهتم "داعش" بتعزيز وجوده في موزمبيق، مرجع سابق

(20) احمد عسكر،مخاطر تمدُّد تنظيم الدولة "داعش" في منطقة القرن الإفريقي، مرجع سابق.

(21) Revealed: ISIS central command's links to Mozambique and terror across Africa, The National, Apr 11, 2021,at:https://bit.ly/3Ca9gZ8

(22) Brian M. Perkins, "The Emerging Triad of Islamic State Central Africa Province",**Terrorism Monitor,**(Washington: The Jamestown Foundation , Volume: 18 Issue: 5, March 11, 2020),p.7.

(23) Jacob Zenn, ISIS in Africa: The Caliphate's Next Frontier,**Terrain Analysis** (Washington:Newlines Institute for Strategy and Policy, May 26, 2020).

(24) Goldberg,ISIS In Mozambique Greatest Terror Threat To East And South Africa Yet,Strategic Intelligence,June 11, 2019,at: https://bit.ly/3B9epzz

(25) Apparent Islamist Attack Raises Fears in South Africa, Time, October 14, 2015, at: https://bit.ly/3jw4gac

(26) Albertus Schoeman and Cassim Cachalia, Are ISIS returnees a risk for South Africa?The Institute for Security Studies (ISS), May 23 ,2017, at: https://bit.ly/3b556G7

(27) Terror threat in SA debated as 100 South Africans return home from Isis camps,theSouthAfrican, mar ,12 2018,at:https://bit.ly/3EbGE2p

(28) أحمد عسكر، التحركات الاقليمية لمواجهة داعش في موزمبيق، القاهرة، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط،2021/8/19، متاح على الرابط التالي:https://bit.ly/3mb5pG0

(29) Clayton Hazvinei Vhumbunu,op.cit

(30) محمد عبد الكريم أحمد،حلول إفريقية للمشكلات الإفريقية: دروس التدخل الرواندي في أزمة موزمبيق، مجلة قراءات إفريقية، 2021/8/19، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3EaB14t

(31) أحمد عسكر، التحركات الاقليمية لمواجهة داعش في موزمبيق،مرجع سابق.

(32)المرجع السابق.

(33) نهال سيد أحمد،مرجع سابق

(34) محمد عبد الكريم أحمد،مرجع سابق.

(35) أحمد عسكر، التحركات الاقليمية لمواجهة داعش في موزمبيق، مرجع سابق.

مالي بين الأزمة السياسية والتهديدات الأمنية

■ **د/ محمد عبد الكريم أحمد**

منسق أبحاث أفريقيا- معهد الدراسات المستقبلية- بيروت

■ **أ. عز الدين مختار فكرون**

عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد، جامعة المرقب

تشهد مالي منذ انقلاب 24 مايو 2021 تطورات سياسية متسارعة في مسار التأسيس لمرحلة انتقالية "ثانية" بعد نجاح نائب رئيس الحكومة السابقة عاصمي غويتا في احتواء الأمور عقب اعتقال رئيس الحكومة ورئيس وزرائه في موقع "كاتي" العسكري وتبنيه خطاب سياسي يحظى بشعبية كبيرة وسط الماليين تتمثل هم مكوناته في محاربة الفساد، وإعلاء الاستقلال والسيادة الوطنيين عبر تنويع مصادر التسليح العسكري والشراكات مع دول خارج دائرة حلفاء مالي التقليديون (فرنسا والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة) لتشمل روسيا وذراعها في مجال الأمن الخاص: شركة واجنر.

وتواجه الحكومة الانتقالية بقيادة غويتا تحديات داخلية وخارجية جمة يأتي في مقدمتها تصاعد الأعمال الإرهابية لاسيما بعد 6 أكتوبر 2021 وتجدد وقوع حوادث إرهابية ضخمة تستهدف جنود ومواطنين ماليين، والالتزام بالموعد المحدد لعقد الانتخابات العامة (فبراير 2022) وإنجاز بقية استحقاقات

المرحلة الانتقالية الدستورية والسياسية، وضبط موقع مالي الإقليمي في مجموعة الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس"، ودورها في مجموعة الساحل Sahel G5لمحاربة الإرهاب، وتقديم حلول حقيقية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة في مالي منذ عهد الرئيس الأسبق إبراهيم بوبكر كيتيا (عزل في أغسطس 2020).

أما في المسارات الخارجية فإن نظام غويتا دخل منذ مطلع سبتمبر الماضي بشكل مباشر في صراع ممتد مع أوثق حلفاء مالي التقليديون: فرنسا. فقد قادت تقارير التقارب الروسي- المالي واحتمالات استعانة نظام غويتا بخدمات شركة واجنر الروسية للأمن الخاص في مواجهة التهديدات الإرهابية وتدريب عناصر الأمن المالي إلى تصعيد فرنسي ضد غويتا والتهديد بوقف كافة أوجه التعاون بينهما. كما بادر شركاء فرنسا في إقليم الساحل (مثل ألمانيا واستونيا) بالإعلان عن مواقف مشابهة؛ ووصل التصعيد ذروته قرب منتصف أكتوبر2021 بإعلان رئيس الوزراء المالي أن القوات الفرنسية -التي تحتكر التواجد في شمال شرق مالي وتحظر وجود أية قوات مالية- تقوم بتدريب جماعات إرهابية في المنطقة، وأن حكومته تملك أدلة على ذلك، فيما يصعد بالتوتر المالي- الفرنسي إلى مستويات جديدة وعلى خلفية استدعاء مالي سفيرها من باريس بسبب تصريحات للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بخصوص الأزمة في مالي.

تطورات الأزمة السياسية في مالي بعد انقلاب مايو 2021

بعد أن حققت مالي مطلع العام الجاري (2021) نجاحًا وتقدمًا نسبيًا في تطبيق خريطة الطريق الانتقالية، لاسيما إصدار تقويم للانتخابات وإطلاق

التحضيرات للانتخابات المقررة وقتها في فبراير 2022، شهدت البلاد حالة اضطراب سياسي عقب القبض على رئيس الحكومة الانتقالية با نداو Bah N'Daw ثم إجباره على الاستقالة، واعتقال رئيس الوزراء مختار Ouane، وظل اضطراب التقدم في تطبيق اتفاق السلام والمصالحة في مالي واضحًا، وتجسد بشكل أكبر عقب اغتيال رئيس تنسيقية الحركات الأزوادية(Coordination des mouvements de l'Azawad (CMA والأمين العام للحركة العربية الأزوادية Mouvementarabe de l'Azawad-CMA. في 13 أبريل 2021[1].

1- سياقات انقلاب مايو السياسية

تمر مالي منذ انقلاب أغسطس 2020 بأزمة سياسية طاحنة تجلت في اضطراب المسار الانتقالي بشكل واضح، فيما انتقد الفاعلون السياسيون وبالمجتمع المدني السلطات الانتقالية –قبل مايو 2021- لما اعتبروه افتقارًا للشمول والوضوح في العملية الانتقالية. وفي 31 مارس كون رئيس الحكومة الانتقالية –بمقتضى مرسوم- ما عرفت بلجنة التوجيه الاستراتيجي للإصلاحات السياسية والمؤسساتية Comitéd'orientation stratégique sur les réformes politiques et institutionelles بحيث تدعم رئيس الوزراء في الإصلاحات السياسية، لاسيما حول إعادة تنظيم الأقاليم، والمراجعة الدستورية والإصلاحات الانتخابية. وشملت هذه اللجنة

[1]UN Security Council, Situation in Mali - Report of the Secretary-General (S/2021/519), June 1, 2021 https://reliefweb.int/report/mali/situation-mali-report-secretary-general-s2021519

الاستشارية، المكونة من خمسين عضوًا منهم عشرًا من النساء، ممثلون من الحكومة الانتقالية والأحزاب السياسية والحركات المسلحة الموقعة على اتفاقات سياسية، والأكاديميا، والمجتمع المدني والقطاع الخاص ونقابات العمال والقادة التقليديون والدينيون، وعقدت اللجنة اجتماعها الافتتاحي في 19 أبريل الفائت. ولوحظ تراجع نسبة مشاركة المرأة في اللجنة عن النسبة المقررة قانونًا (30%، فيما مثلت نسبة النساء 20% فقط رغم دعم الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي لمشاركة النساء في الانتقال السياسي بثلاث ورش عمل ذات صلة)[2].

وبلغت بوادر هذه الأزمة السياسية ذروتها في 24 مايو عندما أصدر رئيس الحكومة الانتقالية مرسومًا بتعيين حكومة جديدة استبدل فيها وزيرا الدفاع والأمن (وهما عضوا اللجنة الوطنية لخلاص الشعب التي أسقطت نظام الرئيس السابق إبراهيم بوبكر كيتا في أغسطس 2020)؛ وفي نفس اليوم ألقت قوات عسكرية القبض على رئيس الحكومة الانتقالية ورئيس الوزراء وعدد من المسئولين الحكوميين واحتجزتهم في موقع "كاتي" العسكري، ورغم جهود الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس"اللحظية للإفراج عن "المعتقلين" أُعلن في 26 مايو عن استقالة رئيس الحكومة ورئيس الوزراء، وفي 28 مايو عينت المحكمة العليا نائب الرئيس السابق عاصمي غويتا رئيسًا جديدًا للحكومة الانتقالية ما اعتبرته إيكواس "انقلابًا ثانيًا" في مالي وقامت على أثر ذلك بتعليق عضوية مالي

[2]Ibid.

بها[3]. وجاء إسقاط غويتا للحكومة الانتقالية (24 مايو) وسط وعود قدمها غويتا بعقد الانتخابات العامة في مالي في فبراير 2022 حسب توقيتات الحكومة الانتقالية بالرغم من بطء الاستعدادات الواضح لهذه الانتخابات، التي وصفتها جماعة إيكواس بأن توقيتاتها "غير قابلة للتفاوض"[4].

2- مسار "الانتقال السياسي"

تنتهج حكومة مالي الانتقالية (التي وصلت للحكم منذ أسابيع قليلة) توجهًا واضحًا قائمًا على عدة محددات أهمها-كما لاحظ مراقبون ماليون وفرنسيون في سياقات انتقادية- التأكيد على سيادتها الوطنية وانتقاد استراتيجية فرنسا العسكرية في الإقليم، وتعزيز النزعة الشعبية المتنامية وسط قطاعات مالية كبيرة الرافضة "للاستعمار الفرنسي الجديد".وهكذا فقد حضرت فرنسا في قلب مسار الانتقال السياسي، المضطرب في حقيقة الأمر، إذ استعر التوتر بين فرنسا ومالي في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 2021 (تحديدًا يوم 25 من الشهر نفسه) عندما أكد رئيس الوزراء المالي أن فرنسا، بمضيها قدمًا في قرارها الأحادي بسحب قواتها من شمالي مالي، تتخلى عن بلاده. وبعدها بيومين ردت وزيرة الدفاع الفرنسية فلورنس بارلي واصفة اتهامات "مايجا" بأنها غير لائقة وغير مقبولة موضحة "عندما يكون لديك

3UN Security Council, Situation in Mali, Op. Cit.

4Thousands in Mali Demonstrate in Support of Army Rulers, The Defence Post, September 23, 2021 https://www.thedefensepost.com/2021/09/23/mali-support-army-rulers/

آلاف الجنود على الأرض وتنشر دبابات حديثة الطراز في الساحل، فإن ذلك لا يمكن أن يكون موقف دولة تسعى للخروج من الإقليم"[5].

وكان ملفتًا ما شهده الخطاب الوطني المؤكد على سيادة مالي الوطنية من قبول شعبي كبير وسط الماليين الأمر الذي تجسد في مظاهرات حاشدة شهدتها العاصمة باماكو في 22 سبتمبر الفائت، ودلالات ذلك على قبول شعبي بالدور المحتمل للجيش المالي في إدارة المرحلة الانتقالية بعد تمديدها. ولاحظ مراقبون ماليون، في قراءة صحيحة جزئيًا وإن افتقرت إلى شمول عجز المقاربة الفرنسية وتخاذلها وربما معارضتها الضمنية للمجلس الانتقالي العسكري، أن الرغبة في السيادة الوطنية وتعاظم عدم الثقة لدى حلفاء مالي الخارجيون أصبحت ظاهرة واضحة في سلوك القادة العسكريون وقطاعات واسعة للغاية من سكان المناطق الحضرية "الأقل تأثرًا بالأزمة الأمنية مقارنة ببقية سكان الريف الذي تمثل نسبتهم 80% من سكان مالي ويفتقرون فعليًا لوسائل إعلاء صوتهم في السياسة المالية؛ مما يعني- حسب عدد من المحللين الماليين- أن تأكيد المجلس العسكري المالي على مسألة السيادة الوطنية لا يعكس توجهًا شعبيًا كليًا، بقدر ما أنه يعبر عن طبيعة المرحلة الانتقالية في الفترة المقبلة وهيمنة المكون العسكري في إدارتها، وأن عددًا كبيرًا من الماليين يوقن أن بلادهم قد استفرغت عملية صنع قرار مواجهة الإرهاب وأنه على

5Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, France 24, September 29, 2021 https://www.france24.com/en/africa/20210929-mali-junta-s-sovereignty-push-arouses-hope-fear-amid-troubled-anti-jihadist-struggle

الدولة (الآن) استعادة الأراضي التي يهيمن عليها المتمردون، وأن المجلس العسكري يعتقد أن هاتين المسألتين ستمكنانه من الاستمرار في المشهد السياسي لفترة طويلة كلاعب سياسي أساسي- كما تمكنانه من التقليل من أهمية الانتخابات. لكن رغم تأكيد الكثير من الماليين على مسألة السيادة الوطنية فإنهم قلقون من مآلاتها، إذ أنه في حال تحقيق قوات الأمن الخاصة والجيش المالي انتصارات عسكرية على "الإرهابيين" فإن ذلك قد يقوي مشاعر العداء ضد فرنسا، ومن جهة فإنه إن أقدمت مالي على قطع صلاتها مع فرنسا ومع حلفائها الإقليميون فإنها تجازف بأن تجد نفسها "منبوذة"في مواجهة الحركات الجهادية في الساحل، دون شركاء يعتمد عليهم في دعمها. مما سيثير سخط الشعب المالي"[6].

وتكشف هذه السياقات عن أن المرحلة الانتقالية المقبلة ستشهد استقطابًا شعبيًا كبيرًا وراء أجندة المجلس العسكري الانتقالي بقيادة عاصمي غويتا، وأن مسألة "الحرب على الإرهاب" ستستنزف الجانب الأكبر من جهود الحكومة المالية التي تدفع بشكل مؤكد المواعيد المحددة للانتخابات المقبلة بشكل تدريجي من فبراير 2022 إلى نهاية العام 2022 أو في العام 2023.

التهديدات الأمنية في مالي: العامل الروسي

يهدد انتشار العنف في مالي على كافة المستويات (مواجهات الجماعات الإرهابية وعصابات الجريمة المنظمة واحتمالات تصاعد معارضة مسلحة لنظام غويتا) استقرار البلاد في الفترة المقبلة مع تزايد شكوك داخلية، لاسيما

[6]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, Op. Cit.

وسط نخب تدين بالولاء لنظام الرئيس الأسبق إبراهيم بوبكر كيتا وشركاؤه الفرنسيون،إزاء وجود إرادة سياسية لدى السلطات لضمان أمن المدنيين لاسيما في الأقاليم الأكثر تأثرًا بالصراع (في المناطق الريفية وفي شمالي مالي) وجدية دعم شركاء مالي وفعاليته لاستعادة سلطة الدولة وضمان حماية المدنيين[7]، وحضرت هذه المحددات في تعقيدات الأزمة الأمنية في مالي، منها الدور الفرنسي وتصاعد الدور الروسي المحتمل في الشراكة مع باماكو في مجال المواجهات الأمنية وتدريب القوات المالية.

1- فرنسا وتعقيدات الأزمة الأمنية في مالي

بدأت فرنسا حربها ضد الإرهاب في إقليم الساحل في العام 2013 بناء على طلب مالي مساعدتها في استعادة المناطق التي استحوذ عليها الإسلاميون بعد تمرد للطوارق في نفس المناطق في العام 2012. ونجح الجيش الفرنسي في هذه المهمة التي عرفت باسم عملية سرفالOperation Serval والتي تحولت إلى حملة طويلة الأجل لمحاربة الإرهاب حملت اسم عملية برخان Operation Barkhane لكن الجماعات الإرهابية انتشرت في أرجاء مالي وعبر حدودها إلى النيجر وبوركينا فاسو بالرغم من وجود نحو خمسة آلاف جندي فرنسا بمقتضى عملية برخان[8].

7Mali violence threatens country's survival, Modern Diplomacy, August 12, 2021 https://moderndiplomacy.eu/2021/08/12/mali-violence-threatens-countrys-survival/

[8]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, France 24, September 29, 2021 https://www.france24.com/en/africa/20210929-mali-junta-s-

وفي نفس هذا السياق لم ترغب فرنسا في التورط في الشأن المالي عندما أسقط الجيش كيتا، وفضلت باريس –التي لم ترحب بالانقلاب- التركيز على مكافحة الإرهاب بدلًا من الضغط على المجلس العسكري المالي لتحقيق "إصلاحات". لكن الانقلاب الثاني في مايو 2021 قاد إلى خلل في هذا التوازن الهش، وعندما أقال الجيش الحكومة الانتقالية المدنية حل الجيش محلها على الفور. واعتبر مراقبون فرنسيون أن "الانقلاب الثاني" قد مثل نقطة تحول حقيقية مع وصول عاصمي غويتا للرئاسة وتعيين مايجا رئيسًا للوزراء، فالأخير معروف بنزعته الوطنية المالية المفرطة ويعد شخصية رئيسة في المظاهرات ضد إبراهيم كيتا في حركة احتجاجا كبيرة لاقت تجاهلًا ملحوظًا من المجتمع الدولي. ويمكن النظر لأداء مايجا بعد وصوله للسلطة على أنه انتقام من حلفاء مالي الذين لم يولونها اهتمامًا عقب اندلاع موجة الاحتجاجات هذه[9].

وقد تلا الانقسام الحالي في المواقف الفرنسية والمالية إعلان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في يونيو 2021 أن فرنسا ستدمج برخان في عملية دولية أكبر وتنقل القوات الفرنسية إلى النيجر –التي اعتبرتها باريس حليف يمكن التعويل عليه أكثر من مالي- بعد إسقاط الجيش المالي للحكومة المدنية في مايو 2021[10].

---

sovereignty-push-arouses-hope-fear-amid-troubled-anti-jihadist-struggle

[9] Ibid.

[10] Ibid..

2- الإرهاب والتعقيدات الاجتماعية

بينما لم تبد فرنسا التفهم اللازم لتصاعد التهديدات الإرهابية وظلت – حسب تصريحات رسمية سواء للرئيس ماكرون أو وزيرة دفاعه فلورنس بارلي- ترهن استجابتها لهذه التهديدات في مالي –وغيرها- بمنطلقات السياسة الفرنسية فقط (مثل ربط سحب القوات الفرنسية أو خفضها من إقليم الساحل بموعد الانتخابات الرئاسية المقبلة في فرنسا) فإن مالي تواجه مزيدًا من التهديدات الإرهابية والأمنية على خلفية الأزمة الاقتصادية المتنامية واحتمالات تزايد وطأة موجات الجفاف في مناطق عدة بمالي.

وفي مؤشر على احتمالات توسع رقعة الأنشطة الإرهابية في مناطق متزايدة في مالي لاحظت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على لسان مديرها الإقليمي في أفريقيا باتريك يوسف أن التغير المناخي يضرب مناطق متزايدة في مالي، التي أصبحت نموذجًا بارزًا في التأثيرات السلبية لهذه الظاهرة، وأن سكان مالي لن يمكنهم التغلب على هذه التأثيرات، كما في حالة المنطقة المحيطة ببحيرة فاجوبينLake Faguibine(الواقعة في شمالي مالي على بعد 80 كم من تمبكتو) التي بدأت في التبخر تمامًا طوال الفترة من سبعينيات القرن الماضي واختفت تقريبًا في السنوات الأخيرة[11] وخلفت مشكلات اقتصادية واجتماعية خطيرة في هذه المنطقة.

11Mali: Climate change transforms Lake Faguibine into desert, exiling population ReliefWeb, September 29, 2021 https://reliefweb.int/report/mali/mali-climate-change-transforms-lake-faguibine-desert-exiling-population

وهكذا فإن تصاعد الأزمة السياسية والتهديدات الاجتماعية-الاقتصادية، إلى جانب ما تردده الحكومة الانتقالية من تواطؤ فرنسي في مسألة الحرب على الإرهاب أو التخلي عن دورها المعلن في محاربته، يؤشر إلى تعمق خطورة التهديدات الإرهابية التي تواجه مالي حاليًا ويتوقع أن تزداد حدة في الفترة المقبلة، مما يوفر سياقًا مبررًا لطلب الحكومة المالية التعاون مع قوات غير تقليدية في الإقليم مثل مجموعة واجنر الروسية المشهورة.

3- مالي والاتفاق مع شركة "واجنر" الروسية

ظهرت منذ وصول عاصمي غويتا لقيادة مالي بعد انقلاب مايو 2021 توقعات وتقارير عن توجه مالي نحو روسيا طلبًا لدعمها في مواجهة مشكلاتها الأمنية؛ وقد ساد ترقب دولي حذر إزاء مناقشات مالي مع شركة واجنر المثيرة للجدل وسط توقعات مهمة لمراقبين ماليين بصعوبة أن يحل الروس محل القوات الفرنسية في المستقبل القريب. ويرجع هذا الترقب إلى الأدوار السابقة للمجموعة الروسية بداية من الأزمة في شرقي أوكرانيا ودعمها للانفصاليين الأوكرانيين الموالون للروس (2014) ثم تورطها في العديد من مناطق النزاع مثل سوريا، وموزمبيق، والسودان، وليبيا، وجمهورية أفريقيا الوسطى. بينما اكد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في أكثر من مناسبة في العام الجاري (2021) عزمه سحب قوات بلاده من مالي مطلع العام 2022 مما دفع رئيس الوزراء المالي مايجاMaiga إلى اتهام فرنسا "بالتخلي عن بلاده"، وبدوره أكد ماكرون "دمته" بهذا الاتهام مدينًا حكومة مالي العسكرية التي قال أنها لا تتمتع

"بشرعية ديمقراطية" بعد انقلابين في أقل من عام (أغسطس 2020- مايو 2021)[12].

ويلاحظ مراقبون منذ فترة تحول الرأي العام في مالي بقوة ضد الوجود العسكري الفرنسي باعتبارها قوة استعمارية سابقة وأن هذا الوجود امتداد للهيمنة الاستعمارية، وأن قطاعات واسعة من الماليين تنظر للروس أو لحضورهم العسكري على أنه أكثر حيادية وأن روسيا شريك تاريخي للجيش المالي. وأن الميزة التي يملكها الروس أنه ليس لديهم اهتمام بشئون السياسة الداخلية في مالي، على نقيض فرنسا التي تدير الصراع وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية؛ بينما يرى مراقبون آخرون أن وجود القوات الفرنسية في حد ذاته يمثل مبررًا لعنف الإسلامويين، إذ لطالما عارضت فرنسا التفاوض مع الجهاديين وهو خيار انحاز له قطاع من الماليين. ورغم أنه لا توجد احتجاجات عامة ضد الروس –عكس الاحتجاجات المتكررة ضد القوات الفرنسية- فإن الرأي العام المالي انقسم نسبيًا إزاء التدخل المقترح لقوات واجنر، فقد قالت تنسيقية حركات الأزواد، وهو تحالف من المتمردين العرب والطوارق السابقين في شمالي مالي، أن العمل مع الروس قد يهدد اتفاق السلام 2015 الذي وقعوا عليه وقتها، ويعزى القلق الدولي إزاء الاتفاق مع واجنر لسمعة هذه المنظمة التي تجند المرتزقة كما يحظى إنكار الحكومة الروسية المتكرر صلتها بالمجموعة بتشكك كبير. وهو الأمر الذي لا يمكن نفيه في ضوء تصريحات وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف التي أكد فيها أن

[12]Moses Rono, Mali's plan for Russia mercenaries to replace French troops unsettles Sahel, BBC, October 2, 2021 https://www.bbc.com/news/world-africa-58751423

مالي قد "توجهت لشركة عسكرية خاصة من روسيا" للمساعدة في مواجهة الجماعات "الجهادية"[13].

وقد ردت باماكو منتصف سبتمبر الماضي على إعلان فرنسا وعدة دول عن قلقها من تقارير التقارب المالي الروسي بقوة مؤكدة، على لسان وزير الخارجية مايجا الذي لم يؤكد صحة التقارير من عدمها، بأن لها الحق في البحث عن الدعم لاعسكري من أي طرف تراه، ولم يعلق على التقارير المالية المتكررة بأن الحكومة على وشك التوصل للاتفاق مع متعهد الأمن الروسي الخاص بحيث تقوم "مجموعة واجنر" بتوفير "المرتزقة" لتدريب الجيش المالي وحماية كبار المسئولين استنادًا لاتفاق يتم التفاوض عليه[14]. أما على الأرض فقد استقبلت مالي نهاية سبتمبر الفائت أربعة طائرات هيلوكوبتر روسية الصنع حيث وصف وزير الدفاع روسيا بأنها "دولة صديقة تمتعت مالي معها دائمًا بصداقة مثمرة للغاية"، وأن الطائرات الأربع جزء من اتفاق سبق توقيعه في ديسمبر 2020 قبل وقت من إعلان فرنسا خطط تراجع وجودها. ويمكن أن يكون الوجود العسكري الروسي ذريعة للحكومة الانتقالية بتمديد ولايتها عقب انقلاب مايو 2021[15].

---

[13]Ibid.

14Mali says it can seek military help from anyone, despite French concern, Reuters, September 18, 2021 https://www.reuters.com/world/africa/mali-says-it-can-seek-military-help-anyone-despite-french-concern-2021-09-18/

[15]Moses Rono, Mali's plan for Russia mercenaries to replace French troops unsettles Sahel, Op. Cit.

المواقف الإقليمية والدولية

رغم ما يعده متخصصون ظاهرة تقليدية "أفريقية" بوقوع الانقلابات للخروج من مسارات الأزمات السياسية أو الاقتصادية، فإن حالة الانقلاب في مالي حظيت باهتمامات إضافية بسبب حضور ملف الحرب على الإرهاب، بكافة تشابكاته وتعقيداته المحلية والإقليمية والدولية، في قلب الأزمة السياسية في مالي. وعلى سبيل المثال فقد عبرت باريس صراحة عن قلقها من الوصول المحتمل لأي مرتزقة روس إلى مالي باعتباره "تحركًا يحجم عملياتها لمواجهة الإرهاب في إقليم الساحل"، بينما بدأت بالفعل –حسب مصادر عسكرية فرنسية- خفضها لحجم قواتها البالغ خمسة آلاف جندي وإعادة تشكيلها بالتعاون مع مزيد من الحلفاء الأوروبيين. وفيما أوضح رئيس الوزراء المالي قبل نهاية شهر سبتمبر الماضي تخوفات مفهومة لبلاده من أنه في حال قرر شركاء مالي مغادرة مناطق معينة أو قرروا المغادرة "غدًا" فما الذي سنفعله؟ موضحًا "أليس علينا أن تكون لدينا خطة بديلة؟"، فإن شركاء مالي –الدوليون والإقليميون- لا يأخذون هذه الاعتبارات بجدية كافية، وسط حالة تجاهل مستغرب من قبل باماكو لتقارير مستقاة من مصادر عسكرية فرنسية أن الجيش الفرنسي بدأ بالفعل في إعادة الانتشار من قواعده في كيدال وتساليت وتمبكتو في شمالي مالي وأنه ثمة محادثات جارية لتسليم القواعد للقوات المالية أو قوات الأمم المتحدة، وأن خطة الجيش الفرنسي تقوم على إعادة هيكلة عملياته في الساحل بحيث تشمل خفض عدد القوات ما بين 2500-3000 جندي

ونقل مزيد منهم إلى النيجر، وإكمال عملية إعادة الانتشار بحلول يناير 2022 ونشر مزيد من القوات الأوروبية الخاصة[16].

1- إيكواس وتطورات الأزمة في مالي

حضرت الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس" في تفاعلات الأزمة المالية الحالية في مراحلها المتعددة، وعلى سبيل المثال فقد قام وفد للجماعة برئاسة جودلاك جوناثان رئيس نيجيريا السابق بزيارة مالي 9-12 مايو والاجتماع مع السلطات الانتقالية وممثلي الأحزاب السياسية والمجتمع المدني ودبلوماسيين، ورحب الوفد "بالتقدم المحرز" ودعا إلى توافق الآراء بشأن أولويات الإصلاح وإدارة الانتخابات المقبلة والشفافية والشمول في العملية الانتقالية. وبعدها بيومين، في 14 مايو، بدأت مفاوضات لتشكيل حكومة جديدة بناء على مشاورات سابقة بين الرئيس وحركة 5 يونيو وتجمع القوى الوطنية، وأطلقت في 16 مايو عملية برعاية إقليمية (من قبل إيكواس والاتحاد الأفريقي) لتخفيف حدة التوتر بين القوى الداخلية وتيسير الوصول لتوافق في الآراء حول مستقبل المرحلة الانتقالية[17].

ولم تمض خطط "إيكواس" كما كان متوقعًا بوقوع انقلاب مايو 2021 في سياقات مساعي الحكومة المالية السابقة إقصاء وزيري الدفاع والأمن من الترتيبات السياسية اللاحقة؛ وأقدمت "إيكواس" على الفور بتعليق

[16]Mali says it can seek military help from anyone, despite French concern, Op. Cit.

[17]UN Security Council, Situation in Mali - Report of the Secretary-General (S/2021/519), June 1, 2021 https://reliefweb.int/report/mali/situation-mali-report-secretary-general-s2021519

عضوية مالي، التي أصبحت تواجه -بعد تعليق عضويتها من إيكواس والاتحاد الأفريقي- تواجه إمكان فرض عقوبات اقتصادية عليها؛ مع ملاحظة أن عقوبات إيكواس التجارية ضد مالي في الانقلاب الأول (أغسطس 2020) قد أثرت سلبيًا بشكل واضح على الاقتصاد المالي ويرى محللون أن إيكواس قد تفرض الحظر التجاري على مالي مرة أخرى لمعاقبة الحكومة المالية على تأجيل الانتخابات. لكن يلاحظ أن إيكواس نأت -حتى نهاية سبتمبر الفائت ومطلع أكتوبر الفائت- عن اتخاذ خطوة مشابهة لأنها واجهت في السابق انتقادات كثيرة لتداعياتها على فئات معينة من الشعب المالي (في المناطق الريفية والأكثر تهميشًا على الحدود) إلى جانب حقيقة أن اقتصادات دول غرب أفريقيا لا تعتمد على الصلات البينية بينها بشكل كبير[18].

كما أدانت جماعة إيكواس بقوة خطة استئجار شركات الأمن الخاصة، ولفت شريف محمد زيني، وزير خارجية تشاد التي تلعب دور حيوي في محاربة الجماعات الإسلاموية في أرجاء غرب أفريقيا، إلى أن المتمردين الذين قتلوا الرئيس التشادي السابق إدريس ديبي في أبريل 2021 كانوا مدربون على يد مجموعة واجنر وحذر من تدخلاتهم. مع ملاحظة مراقبين أن وزير الدفاع المالي ساديو كماراSadioCamara وعدد من كبار شخصيات المجلس العسكري الحاكم في مالي قد تلقوا تدريبهم في روسيا[19].

[18]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, Op. Cit.

[19]Moses Rono, Mali's plan for Russia mercenaries to replace French troops unsettles Sahel, BBC, Op. Cit.

2- الموقف الفرنسي

كانت العلاقات الفرنسية المالية قد شهدت تراجعًا ملفتًا حتى قبل تقارير الاتفاق مع شركة واجنر الروسية؛ فقد انتقد كثير من الماليين عملية برخان لفشلها في وقف التدهور البالغ في الوضع الأمني المالي، وانتشرت المظاهرات المناهضة للوجود الفرنسي في مالي مرات عدة خلال رئاسة إبراهيم بوبكر كيتا (آخر رئيس مدني منتخب ديمقراطيًا في مالي والذي عزل من منصبه في أغسطس 2020 بعد انقلاب جاء مصاحبًا لموجة من الاحتجاجات الداعية لمغادرته منصبه)، الأمر الذي دفع ماكرون لتكريس قمة عقدها جعا إليها قادة الساحل في يناير 2020 للتعبير عن سخطه إزاء الاحتجاجات المناهضة لفرنسا[20].

وكشف رئيس الوزراء أن حركة الإرهابيين القادمين من ليبيا إلى مالي كانت نتيجة التدخل العسكري الفرنسي في ليبيا في العام 2011 إلى جانب حلفاءها في الناتو، وأوضح رئيس الوزراء أن بلاده كانت ترغب في التعاون مع فرنسا في مكافحة الجماعات الإرهابية "بدعم البيانات الاستخباراتية والدعم الجوي" فإن باريس زادت من وجودها العسكري في الإقليم" الذي لم تدعها له مالي (وأغلب دول الساحل). وحسبه فإن ثلثي مالي يشهد انتشارًا كبيرًا للإرهابيين وأنه ثمة تدهور كبير في الوضع في الأعوام الثمانية السابقة حينما كان الإرهابيين حاضرون في معاقل محدودة. وفي الوقت نفسه فإن الرئيس الفرنسي ماكرون قال أن بلادها لا تنتوي البقاء في مالي "لذا فإننا نغلق القواعد.

[20]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, Op. Cit.

إن عملنا في تساليت أو كيدال (شمالي مالي) لا يستهدف الاحتفاظ بالقواعد". وأكد في كلمته أمام قمة أفريقيا- فرنسا مونبيليه أن باريس أرادت مغادرة القواعد في مالي "في أقرب وقت ممكن لكن ذلك يتطلب دولة قوية في مالي ومشروعات استثمارية كبيرة في هذه الدولة"[21].

وصعد رئيس الوزراء المالي تشوجولكوكالامايجا ChoguelKokallaMaiga من هجومه على فرنسا التي اتهمها اتهمت في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة "بتدريب إرهابيين" داخل البلاد رغم تأكيد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عدم نية بلاده الاحتفاظ بقواعدها العسكرية في مالي "لفترة أطول". وأكد مايجا في مقابلة لوسائل إعلام روسية أن ضباطًا فرنسيين مكلفون بعمليات مكافحة الإرهاب يقومون بدلًا من ذلك بتدريب العناصر الإرهابية في إقليم كيدال شمالي مالي. ونشرت شبكة "روسيا اليوم" التي تديرها الحكومة الروسية أن مالي تملك أدلة على تدريب فرنسا للإرهابيين داخل أراضيها "هناك جماعات مسلحة هناك يدربهم ضباط فرنسيون"، ونقل التقرير عن رئيس الوزراء المالي اتهاماته بأن القوات الفرنسية تسيطر الآن على كامل إقليم "كيدال" لدرجة "أن السلطات المالية محظور عليها دخول أراضيها"، حيث ينسق الفرنسيون مع جماعة إرهابية

21Joydeep Bose, Is France 'training terrorists' in Mali? The country's prime minister seems to think so, The Hindustan Times, October 9, 2021 https://www.hindustantimes.com/world-news/is-france-training-terrorists-in-mali-the-country-s-prime-minister-seems-to-think-so-101633758611398.html

مرتبطة بالقاعدة "أنصار الدين" وغيرها من الجماعات التي "جاءت من ليبيا"[22].

وتلا هذا الموقف أسابيع من الخلاف بين باريس وباماكو على خلفية تقارير تفاوض مالي للتوصل لاتفاق مع مجموعة واجنر الروسية للأمن الخاص لتوفير مرتزقة للحكومة المالية، وتنظر باريس لوجود قوات روسية شبه عسكرية على أنه أمر غير متوافق مع انخراط فرنسا العسكري في إقليم الساحل ككل ومالي على وجه الخصوص[23].

ويبدو من الخلاف المالي- الفرنسي رغبة القادة العسكريون في باماكو إظهار قدرتهم على انتقاء واختيار تحالفات البلاد العسكرية حسب ما يلائمها، وتأكيد فكرة لمالي الحق في البحث عن شركاء آخرين. كما ترفض الحكومة المالية ما تعتبره تدخلًا خارجيًا من جاراتها في غرب أفريقيا، الأمر الذي تمثل في أكثر من مناسبة أبرزها التراجع عن تعهدات الحكومة الانتقالية التي عينت عقب الانقلاب العسكري الأول في أغسطس 2020 بعقد الانتخابات في غضون 18 شهرًا (بحلول فبراير 2022) وتأكيد الحكومة الحالية –على لسان رئيس وزرائها- إمكان تأجيل الانتخابات معتبرًة أن الموعد الذي حددته الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "إيكواس" كان "غير واقعي"[24].

[22]Ibid
[23]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, Op. Cit.
[24]Op. Cit.

3- الاستجابات الأوروبية والأمريكية

تحضر الأزمة في مالي في قلب تفاعلات العلاقات الدولية بين شركاء المالي الدوليون لاسيما الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. كما حضرت في جوهر الخلاف الفرنسي الأمريكي الأخير بعد أن استدعت فرنسا منتصف سبتمبر الفائت سفيرها في واشنطن على خلفية إلغاء أستراليا عقدًا بقيمة 56 بليون دولار مع فرنسا لبناء غواصات وتوقيع استراليا المفاجئ على تحالف أستراليا- المملكة المتحدة- الولايات المتحدة "أوكوس" AUKUS ضد الصين. مع ملاحظة مبادرة واشنطن بعد أقل من أسبوع من خطوة باريس إلى إعلان خطوات لإصلاح "الصلات" بين البلدين وقمة محتملة بين ماكرون وبايدن في أوروبا في أكتوبر 2021 لمناقشة "الأزمة". وعبر بايدن عمليًا عن مسئوليته في عدم التشاور مع باريس بخصوص AUKUS حسب بيان صدر عن البيت الأبيض الذي شدد -إلى جانب التأكيد على أهمية العلاقات الفرنسية- الأمريكية وتشابكاتها- على التزام واشنطن بدعم "دفاع أوروبي أقوى وأكثر قدرة،" اعتبره البيان "مكملًا للناتو" ودعم دور فرنسا في الحرب الدائرة في مالي وإقليم الساحل[25]. وقالت ألمانيا، التي تساهم بقوات عاملة في مالي، أنها ستعيد النظر في (استمرار) نشر قواتها إن توصلت مالي للاتفاق مع واجنر. وتكرر نفس الموقف على لسان وزير دفاع استونيا كالي لانيتKalleLaanet أنه في

25Alex Lantier, Biden, Macron pledge to meet amid mounting US-EU conflicts over China, World Socialist Web Site, September 23, 2021 https://www.wsws.org/en/articles/2021/09/23/euus-s23.html

حال توصل مالي لاتفاق مع واجنر فإن الفرقة الاستونية المكونة من مائة جندي ستغادر الأراضي المالية[26].

كما أدان مجلس الأمن في بيان (4 أكتوبر 2021) بأقوى العبارات الهجوم الذي شن في 2 أكتوبر على فوج تابع لـ MINUSMA قرب تساليت وكيدال وأسفر عن مقتل أحد أفراد قوة حفظ السلام (مصري الجنسية) وإصابة أربعة آخرون، وقدم أعضاء المجلس التعازي لعائلة الضحية المصري ومصر وMINUSMA. ودعوا حكومة مالي الانتقالية إلى التحقيق العاجل في هذا الهجوم ومثول المتهمين أمام العدالة، ولفتوا إلى أن الجرائم ضد قوات حفظ السلام قد تمثل جرائم حرب وفق القانون الدولي، كما أن التورط في التخطيط أو التوجيه أو الرعاية أو التنفيذ في مثل هذه الهجمات تمثل أساسًا للعقوبات التي يفرضها مجلس الأمن بالأمم المتحدة. كما عبر أعضاء مجلس الأمن في البيان عن قلقهم إزاء الوضع الأمني في مالي والبعد العابر للدول للتهديد الإرهابي في إقليم الساحل. ودعوا الأطراف المالية إلى التطبيق الكامل "لاتفاق السلام والمصالحة في مالي" دون أي تأخير. وأن التطبيق الكامل للاتفاق وتكثيف الجهود من أجل تجاوز التهديدات المتعددة يمكن أن يسهم في تحسن الوضع الأمني في أرجاء مالي، وأكد البيان على أن جهود القوة المشتركة لدول الساحل *Force Conjointe* of the G5 Sahel "لمواجهة أنشطة

[26]Thousands in Mali Demonstrate in Support of Army Rulers, The Defence Post, September 23, 2021 https://www.thedefensepost.com/2021/09/23/mali-support-army-rulers/

الجماعات الإرهابية وغيرها من الجماعات الإجرامية سوف تسهم في تكوين بيئة أكثر أمنًا في إقليم الساحل"[27].

ويمكن ملاحظة قصور المقاربات الأوروبية في أزمة مالي، بمعنى شمولها واستهدافها حل الأزمة من جذورها ومعالجة الأسباب الجوهرية لتصاعد التهديدات الإرهابية، في الموقف البريطاني من الأزمة، ووصوله إلى ما يمكن اعتباره مشكلة خلافية داخلية في بريطانيا. فقد كشفت تحقيقات برلمانية بريطانية في أكتوبر 2021أن الحكومة تخطت البرلمان لدعم معونات أرسلها الاتحاد الأوروبي للشرطة المالية (بعد التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد) استخدمت بالأساس لقمع المتظاهرين (وليس مواجهة العناصر الإرهابية) وقتل أعداد منهم في العام 2020. وإضافة إلى تقديم الحكومة البريطانية تمويلًا جزئيًا لبعثة الاتحاد الأوروبي لبناء القدرات في مالي EU's Capacity Building Mission in Mali (EUCAP Sahel Mali) في الفترة 2017-2019 (المكلفة بتدريب قوات الأمن في غرب أفريقيا) فإن مساعدات بريطانيا (ضمن الاتحاد الأوروبي والتي وصلت إلى 30 مليون يورو بنسبة مهمة بلغت 15% من إجمالي هذه المخصصات المالية حتى يناير 2019) المشار لها وصلت لوحدة شرطة مكافحة الإرهاب في مالي المعروفة باسم "قوة مكافحة الإرهاب الخاصة" Special Anti-Terrorism Force (Forcat) في العام 2020 واستخدمت في قتل ما لا يقل عن 14 محتجًا؛ وقدم

[27]Security Council, Attack against United Nations Multidimensional Integrated Stabilization Mission in Mali (MINUSMA) on 2 October 2021, SC/14654, October 4, 2021 https://www.un.org/press/en/2021/sc14654.doc.htm

وزير الخارجية الأسبق آلاندنكان اعتذاره أمام لجنة بالبرلمان مقرًا بأن الاتفاق لم "يتم بطريقة سليمة"[28].

كما قدمت بريطانيا تمويلًا وقوات في مالي حتى مايو 2020 تحت لافتة مشروع منفصل وهو بعثة تدريب الاتحاد الأوروبي في مالي EU Training Mission Mali التي استفادت منها "قوة مكافحة الإرهاب الخاصة" Forcat، التي كشفت التحقيقات أن حالات القتل المذكورة قد وقعت على يدها بعد تلقيها تدريبات الاتحاد الأوروبي بثلاثة شهور فقط. وكان قد ألقي القبض على رئيس هذه الوحدة الشرطية عمر ساماكيO. Samake على خلفية مذبحة يوليو 2020 التي جرت وسط احتجاجات جماهيرية طالبت باستقالة الرئيس إبراهيم بوبكر كيتا قبل خلعه بانقلاب في أغسطس 2020. وأكد الأمين العام للحزب الشيوعي البريطاني روبرت جريفيث أن الدعم البريطاني والأوروبي لقوات الأمن الخارجية يكون في أغلب الأحوال جزءًا من المشكلة وليس حلًا، وأنه ثمة شكوك عميقة أن الحكومة البريطانية تفادت مراجعة البرلمان من أجل مواصلة تمويل برنامج مشكوك فيه تابع للاتحاد الأوروبي في

[28]Government bypassed parliament to to support EU aid for a Malian police squad that massacred protesters, investigation finds, Morning Star, October 11, 2021 https://www.google.com/search?q=Government+bypassed+parliament+to+to+support+EU+aid+for+a+Malian+police+squad+that+massacred+protesters%2C+investigation+finds&oq=Government+bypassed+parliament+to+to+support+EU+aid+for+a+Malian+police+squad+that+massacred+protesters%2C+investigation+finds&aqs=chrome..69i57j35i39i362l2j35i19i39i362j35i39i362l2j46i19i39i175i199i362j69i60...6.441j0j7&sourceid=chrome&ie=UTF-8

مالي بعد نتيجة استفتاء "البريكسيبت"، وأنه مع استمرار العمل السري الفرنسي في مالي فإن هذا التقرير يؤكد أن القوة الشرطية المسلحة المالية التي ساعدناها عن طريق التدريب قد أقدمت على قتل مدنيين[29].

وتكشف هذه الحالة الراهنة مدى عمق القصور الفرنسي والأوروبي في دعم الحكومة المالية لمواجهة أزماتها الأمنية والاقتصادية بشكل ناجع، وارتفاع تكلفة المشروطيات السياسية للتعاون الأوروبي- المالي (التي لا يتوقع خفضها مستقبلًا)على حساب إدخال إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حقيقية من قبل الحكومات المالية المتعاقبة، بما فيها حكومة عاصمي غويتا الحالية.

الانتقال السياسي في مالي: الفرص والتهديدات

ثمة فرص وتهديدات لمسار الانتقال السياسي في مالي بقيادة الجيش المالي في المرحلة المقبلة، ويمكن تلمس أهمها على النحو التالي:

1- يبدو مسار الانتقال السياسي في مالي واضحًا إلى حد كبير، رغم التقارير الغربية المتواترة عن غموضه، إذ يتزايد يومًا بعد يوم حجم التأييد الشعبي، بدرجات متفاوتة، لسياسات ومواقف الحكام العسكريون في مالي. وعلى سبيل المثال فقد شهدت العاصمة باماكو في أواخر سبتمبر الماضي مظاهرات حاشدة دعمًا لهم وسط تعاظم الضغوط الدولية على عاصمي غويتا على خلفية توجهه لعقد اتفاق مع شركة واجنر الروسية.وقدر عدد المتظاهرون في باماكو بثلاثة آلاف متظاهر أيدوا بحماس بالغ الحكام العسكريين ودعوا

[29]Government bypassed parliament to support EU aid for a Malian police squad that massacred protesters, investigation finds, Op. Cit.

صراحة إلى خروج القوات الفرنسية "الاستعمارية" من البلاد نهائيًا لاسيما بعد فشل التدخل الفرنسي في مواجهة الإرهاب[30].

2- ويبدو أن الجيش المالي سيواصل جهوده لتعزيز دوره المحوري في البلاد في الفترة المقبلة، حيث أعلن المجلس الانتقالي الوطني نهاية سبتمبر الماضي عزمه على إنشاء "كلية حربية" لتقديم مستوى رفيع من التدريب لكبار الضباط بقوات الدفاع والأمن (داخل الجيش أو الشرطة) ولعدد من المسئولين المدنيين وبحيث تكون "مكانًا للبحوث المتعلقة باستراتيجيات الدفاع والأمن وبالتعاون مع الجماعة الأكاديمية، وأن يتقلد خريجو هذه الكلية أعلى المناصب سواء داخل الجيش المالي وفي العمليات الدولية مثل بعثات سلام الأمم المتحدة[31].

3- هناك تهديد العزلة الإقليمية لمالي بدعم من دول معينة لاسيما النيجر وتشاد، وتأثير مباشر من فرنسا وحلفائها في الاتحاد الأوروبي. ورغم التراجع الديمقراطي الملحوظ في غرب أفريقيا –لاسيما في تشاد مطلع العام الجاري (2021) وغينيا في سبتمبر وبينهما مالي في مايو 2021- فإن توجه مالي العسكري يثير مسألة "عدم الثقة" إقليميًا. وأمكن تلمس ذلك على وجه الخصوص في الانتقاد الحاد الذي وجهه وزير خارجية النيجر حسومي مسعودو HassoumiMassaoudou لإمكان التوصل لاتفاق مالي مع

---

[30]Thousands in Mali Demonstrate in Support of Army Rulers, Op. Cit.

31Malian authorities ready to create war college, Africa News, September 24, 2021 https://www.africanews.com/2021/09/24/malian-authorities-ready-to-create-war-college/

مجموعة واجنر (في مقابلة مع راديو فرنسا الدولي RFI) ودعوته القادة في باماكو باحترام التوقيتات التي حددتها "إيكواس" للعودة إلى الحكم المدني، بينما ردت الحكومة المالية على تصريحاته ببيان إدانتها باعتبارها "غير مقبولة، وغير ودية ومنحطةcondescending". وأظهر بيان الحكومة المالية عدم تقبل القادة العسكريون لمثل هذه الانتقادات لأنهم يرون أن التجارب الأخيرة في بلادهم كشفت أن الانتخابات لن تؤدي إلى حل مشكلاتها، وأن الجيش المالي يسعى للشرعية عبر الفاعلية في تحركاته، وليس فكرة أن الانتخابات الديمقراطية ضرورية لشرعنة الإصلاحات الاقتصادية[32].

خلاصة

تواجه مالي أزمة سياسية وأمنية متعددة الجوانب والتشابكات الداخلية والإقليمية والدولية، ويبدو أن المجلس العسكري الانتقالي يدير مواجهة بلاده لهذه الأزمة بقدر من الحسم وعدم رهن مستقبل البلاد بترتيبات أمنية وسياسية تقودها فرنسا وحلفاؤها الأوروبيون في المنطقة، الأمر الذي قد يمثل لاحقًا تحديًا خطيرًا على نظام عاصمي غويتا نفسه ويختبر مدى وحدة القوات المسلحة المالية وحشدها ورائه، بعد تنامي التأييد الشعبي الملحوظ لغويتا في أكثر من ملف من بينه "رفض الوجود الفرنسي" في مالي (بغض النظر عن مستويات واقعيته أو كونه معززًا لقوة غويتا التفاوضية في مواجهة فرنسا).

[32]Mali junta's sovereignty push arouses hope, fear amid troubled anti-jihadist struggle, France 24, September 29, 2021 https://www.france24.com/en/africa/20210929-mali-junta-s-sovereignty-push-arouses-hope-fear-amid-troubled-anti-jihadist-struggle

دور المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في توثيق تاريخ القبائل الإفريقية

د. ناجية سليمان عبدالله
جامعة الزاوية

الملخص

ساهم المؤرخ الهادي الدالي بتوثيق جزء مهم في التاريخ الإفريقي وهو عن القبائل الإفريقية، ووعليه تتناول الدراسة هذا الموضوع الذي تهدف منه إلى إبراز دور المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في الإسهام بالتعريف بتاريخ القبائل الإفريقية، والوقوف على دوافعه من توثيقه، محاولة الإجابة عن سؤال رئيس وهو كيف كان دور المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في إبراز تاريخ القبائل الإفريقية؟ معتمدة في ذلك على تناول ثلاث محاور كشف **الأول** عن دوافع المؤرّخ الهادي المبروك الدالي لتوثيق تاريخ القبائل الإفريقيّة. ورصد الثاني المصادر التي اعتمد عليها المؤرّخ الدالي في توثيقه لتاريخ القبائل الإفريقية. أما الثالث فاستعرض مدونات المؤرّخ الهادي المبروك الدالي عن القبائل الإفريقيّة.

يمثل تاريخ القبائل الإفريقية جزءًا مهمًا من تاريخ إفريقيا، وهي من سطّر تاريخ القارّة السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ والاقتصاديّ، وذادوا عنها بأرواحهم، حيث ساهموا في نشر الإسلام فيها. وقارعوا الاستعمار حتّى نالوا التحرّر. وتمكّنت القبائل ذات الثقل البشريّ والاقتصاديّ والثقافيّ من تصدّر المشهد الإفريقيّ.

كتب العديد المؤرخين الأفارقة والمستشرقين عدة بحوث ودراسات عن هذه القبائل، فمنهم من أنصفهم ومنهم من تعمّد إغفال دورهم التاريخي؛ لإظهارهم بأنهم شعوب متخلّفة وبدون حضارة، ولا يمتلكون من القدرات ما يمكنّهم من استغلال مقدّرات قارّتهم، وذلك لدواع استعماريّة ورغبة في تحقيق أهدافهم وحماية مصالحهم.

والمؤرّخ الهادي المبروك الدالي من بين المؤرّخين المتميّزين الذين دوّنوا لهذه القبائل، حيث أشار لذلك، بقوله: (كان لقبائل الفلان، والطوارق، والبرابيش، والهوسا، والماندنجو، وأولاد موسى، والقرعان، والزغاوة، والتبو، والمجابرة، وأولاد سليمان، بالغ الأثر في المنطقة).[1] فأفرد لهم سلسلة خاصّة، متناولًا إياهم من حيث الاسم، والنسب، وتقسيماتهم، ومناطق تواجدهم. بالإضافة إلى دورهم القيادي في القارّة وتأثيراتهم على مرّ الأزمنة. مع تحليل لحياتهم الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة مبيّنا أبرز ساستهم وعلمائهم الذين وصلوا لمراحل متطوّرة في شتّى العلوم كعلوم الطبّ والفلك واللّغة وفنون العمارة.

(1) أحمد بلعراف التكني، تاريخ علماء التكرور والصحراء وشنقيط (من خلال مخطوط إزالة الريب والشك والتفريط)، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، الطبعة الثانية، 2009م.

ولمعرفة ذلك نحدّد الإشكاليّة في سؤال رئيس، هو:

كيف كان دور المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في إبراز تاريخ القبائل الإفريقية؟

ومرفقا بتساؤلات فرعية وهي: ما دوافع المؤرخ لتوثيق تاريخ القبائل الإفريقيّة؟ وممّن استقى المعلومة عنهم؟ وبما تميّزت تلك المدوّنات؟

للإجابة عن هذه التساؤلات نتناول المحاور الآتية:

المحور الأول: دوافع المؤرّخ الهادي المبروك الدالي لتوثيق تاريخ القبائل الإفريقيّة.

المحور الثاني: المصادر التي اعتمد عليها المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في توثيقه لتاريخ القبائل الإفريقية.

المحور الثالث: مدونات المؤرّخ الهادي المبروك الدالي عن القبائل الإفريقيّة.

والهدف من هذه الدراسة هو إبراز دور المؤرّخ الهادي المبروك الدالي في الإسهام بالتعريف بتاريخ القبائل الإفريقية، والوقوف على دوافعه من توثيقه.

أمّا الفرضية التي تنطلق منها فهي: إنّ المؤرخ الهادي المبروك الدالي بتوثيقه تاريخ القبائل الإفريقيّة ساهم في التعريف بهم، كاشفًا عن كثير من حقائقهم التي كانت مجهولة، وإبراز دورهم في التاريخ الحضاري لإفريقيا.

المحور الأول: دوافع المؤرّخ لتوثيق تاريخ القبائل الإفريقية

تحتل الكتابة عند المؤرّخ الهادي المبروك الدالي مكانة مهمّة في حياته العلمية، لم تشغله عنها ظروف الحياة المختلفة، فهو مهتّم بالبحث والتحليل منذ بداية مشواره العلميّ، هذا البحث الذي حصره في القارة الإفريقية كانت بدايته مع الموضوع الذي اختاره لرسالة الماجستير، والموسوم بمملكة مالي الإسلاميّة وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، ودعمه أكثر بأطروحة الدكتوراه المعنونة: بالتاريخ السياسيّ والاقتصاديّ والحضاريّ للسودان الغربي من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ليتوسّع بكتاباته فيما بعد، متناولًا التاريخ الإفريقي، وعلى الرغم من أنّ القبائل الإفريقيّة هي ضمن ذلك التاريخ إلّا أنّه أفرد لها سلسلة خاصّة بها، فيا ترى ما دوافعه لذلك؟

هذا الاهتمام حسب ما يبدو دفعه له الآتي:

أولا: حبّ المؤرّخ لإفريقيا وإعجابه الشديد بأبنائها الذي تبرزه كلّ كتاباته عنها، وزياراته المتواصلة لها. مع استقراره فيها لفترات طويلة، جعلته في اختلاط دائم مع أبنائها من طلاب علم وساسة وشعراء ومشائخ، جمعته معهم جلسات ممتعة على حدّ وصفه، فيقول: " عند زيارتي لبلاد إفريقيا فيما وراء الصحراء، ولا سيّما جمهوريّة مالي فكانت لقاءاتي مع أدباء تلك المناطق في ليالي تنبكت وجاو المقمرة، وعلى رمالها الساحرة، سبيلا للحديث عن أدب الصحراء وتنوّع ينابيعه وأغراضه"[2]، وتشارك معهم في حوارات تخصّ

(2)الهادي المبروك الدالي، آفاق لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مارس2001م، ص11.

شؤون القارّة وشبابها، فانبهر بأخلاقهم ودرجة علمهم، وثقافتهم وشهامتهم، وفي ذلك يقول: "أحببت فيهم الذكاء الخارق والشجاعة والشهامة والكرم الحاتمي".[3] ويقول أيضًا: "لقد ساقني قلمي إلى أن أكتب عن هذه القبائل التي أعجبت بها أيّما إعجاب، وشغفت بها وشغلت اهتمامي وهمومي لفترة من الزمن".[4]

لذلك أصرّ المؤرّخ عن البحث في أصول هذه القبائل، وتحديدًا منطقة ما وراء الصحراء- وهنا لم يشمل المؤرّخ كلّ القبائل الإفريقية، لأن إفريقيا تعجّ بالقبائل ولا يمكن لباحث واحد القدرة على تغطيّة تاريخهم، بل تحتاج لفريق عمل متكامل- لمعرفة أنسابهم، وتسمياتهم المختلفة، وتتبع أفخاذهم وبطونهم.

من هنا وضع المؤرّخ الهدف نصب عينيه، وأطلق العنان لبحثه في تاريخ القبائل الإفريقيّة.

ثانياً: حظيت العديد من القبائل المختلفة بالاهتمام في المؤرخات القديمة والحديثة، فتم التعريف بها (أصولها-اسمائها-مواطنها- مكانتها التاريخية وغيرها) كالقبائل العربيّة في نجد، الحجاز، اليمن، حضرموت، عمان، العراق، مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، شرق الأردن، التي كتب عنها عمر كحالة في

([3])الهادي المبروك الدالي، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، إصدارات القيادة الشعبية الاجتماعية، الطبعة الأولى، 2006م، ص 3.

([4]) الهادي المبروك الدالي، قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، 2013م، ص8.

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.[5] وأيضا سلسلة تتناول القبائل العربيّة في العراق كانت في عدّة أجزاء منها إصدار خاص بقبيلة حمير القحطانيّة.[6]

أما القبائل الإفريقيّة فلم يشار إليها إلا نادرًا. فما السبب؟ هنا كان سؤال المؤرّخ.

خاصّة في ظلّ مرور إفريقيا بالكثير من الصراعات الأهليّة، وإرجاع أسبابها لصراعات قبليّة قديمة، فعلى الرغم من أن بعض الصراعات بين القبائل كانت على الكلأ بسبب الجفاف إلّا أنه تم تسيسها واستغلالها لتحقيق مكاسب لبعض النخب السياسيّة والقوى الخارجيّة.[7]

ولتبين صحة هذه الادعاءات، ورفع النقاب عن الكثير ممّا تمّ تعتيمه عن القبائل الإفريقيّة، اتجه المؤرّخ بالبحث في تاريخهم، وكيف كانت العلاقات بينهم؟؟؟ وهل الصراعات متجذرة فيهم؟؟؟ أم هي بفعل عوامل خارجية؟؟؟

ثالثا: شعور المؤرّخ بأنّه ابن إفريقيا وتقع عليه مسؤوليّة كتابة تاريخها، وقبائلها هي جزء من هذا التاريخ، لذلك بعد أن كانت كتاباته مقتصرة عن تاريخ القارة السياسيّ والحضاريّ وتاريخ ممالكها، وما لامسه من دور مهم لهذه القبائل قرر أن ينصفهم ويمنحهم حقّهم في كتاباته فهم صنّاع ذلك التاريخ. وما يؤكّد محاولته لكشف النقص في التوثيق لتاريخ إفريقيا وقبائلها ما أشار إليه بالقول: نتيجة للنقص الذي لمسته في تاريخ إفريقيا فإني أصدرت سلسلتين

([5])عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1968م.

([6])علي الكوراني العاملي، وعبدالهادي الربيعي ، قبيلة حمير، د.ر.ن، الطبعة الأولى، 2010.

([7])أحمد عسكر، الصراعات القبلية وأثرها على التحول الديمقراطي وطبيعة النظم السياسية في إفريقيا. كينيا نموذجًا، قراءات إفريقية، 27-8-2018، على الموقع www.giaatafrican.com.

سلسلة تخص التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا فيما وراء الصحراء، والثانية سلسلة من تاريخ قبائل إفريقيا.[8]

رابعا: كتب مؤرّخون مختلفون عن القبائل الإفريقيّة، ولكن ما جاءت به بعض كتاباتهم يشوبها الكثير من اللّغط، فأراد المؤرّخ الهادي المبروك الدالي أن يصحّح ما تمكّن من الوصول إليه، ومنها على سبيل المثال ما كتبه بول مارتي بشأن قبائل البرابيش، حيث يقول إنّهم ينتمون إلى ثلاث فئات، الأولى مجموعة بربريّة طارقيّة، وأراد بذلك من وجهة نظر المؤرّخ أن يقول: إنّ الطوارق ليسوا من الهجرات العربيّة القديمة التي جاءت من اليمن.[9] وأيضا ما كتبه المؤرّخون الغربيون عن قبائل الفلان وجزمهم إنّ أصولهم يهودية. "إنّهم طائفة من بني إسرائيل (أو اليهود) انتقلوا من طور سيناء، فنـزلوا توروفي حوض السنغال".[10] ويرى المؤرّخ في ذلك تضليل لأبناء القارة وخلق بؤر توتر في إفريقيا[11] ففند هذا الرأي، مبيّنا نسبهم مع تحليله لتأكيد ذلك، فيقول: "أمام اختلاف الآراء حول أصل الفلان، فإنّي أميل إلى ما ذهب إليه محمد محمد المفتي مرحبا، والشيخ عثمان بن فودي، في نسب الفلان وصاحب مخطوطة خبر السوق، لأنهم يؤكدون أن أصل الفلان من نسل عقبة بن

([8])الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 2009م، ص2.

([9])الهادي المبروك الدالي، قبائل البرابيش دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2008م، ص8.

([10])علي يعقوب ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، عقبة بن نافع الفهري وانتساب القبائل الفلانية إليه..دراسة تقويمية، نقلا عن عبد الله بن فوديو، مسألة أصل الفلانين، مخطوط في مكتبة الباحث، ورقة 1. قراءات إفريقية، 2018/8/26 م. على الموقع https://www.qiraatafrican.com/home/new

([11])الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 2009م، ص225.

نافع"[12]، ومن الأسباب التي يرها المؤرّخ لتأكيد هذا النسب "ما ورد من أنّ الفلان من اليهود، نظرًا لحبهم للبقر، وتمسكهم بالعصا، فهو دليل واه، لا يستند إلى الحقيقة العلميّة. فكيف لنا أن ننسب شعبًا اعتمادًا على بعض مظاهره الخارجية، إذ لو كان الأمر كذلك لكن الأحرى والأجدى بنا أن نؤصلهم إلى الهنود، لأنهم لا يحبون البقر فقط بل يقدسونه".[13]

خامسًا: إنكار بعض الكتابات أن يكون لإفريقيا تاريخ وحضارة، ومنهم هيجل الذي أورد في أحد كتاباته إن إفريقيا ليست جزءًا تاريخيًا من العالم، فهي ليست لها أحداث ولا تطورات يمكن إبرازها، أي أنّها ليست لها أحداث تاريخية خاصة بها، وسار على نهجه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي فعلى الرغم من تقديمه لتسع موسوعات عن التاريخ وإسهامات الحضارات العالميّة، لم يذكر إفريقيا السوداء البتّة.[14] ووصفوا الثقافة الإفريقيّة بالبدائيّة والهمجيّة، في محاولة منهم لطمس تاريخها، والترويج بادعاءات تقول إن أصول القبائل في شمال القارة من خارجها، وإنّهم استغلوا الأفارقة، وتاجروا بهم، وفي ذلك يقول المؤرّخ الدالي: " لقد أنكروا بأنّ يكون لإفريقيا تاريخ وحضارة، ووصفوا الثقافة الإفريقية بالبدائيّة والهمجيّة لذلك حاولوا طمس الكثير من معالمها وخصائصها وتراثها".[15] ويقول أيضا: "تخصص باحثون

([12])الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1999م، ص239-240.

([13])المرجع السابق، ص240.

([14])الطيب النقر، جناية مؤرخي أوروبا على تاريخ إفريقيا والسودان، صحيفة راي اليوم، 29 سبتمبر 2019م، على الموقع https://www.raialyoum.com

([15])الهادي المبروك الدالي، قبائل البرابيش، مرجع سابق، ص2 .

في ترويج نظرية سلاليّة تدّعي إنّ الجذور العرقية لسكان الشمال الإفريقي موجودة خارج القارة، وإنّ العرب غرباء على إفريقيا، حيث جاؤوها مستعمرين وأغلبهم تجار رقيق".[16] لذلك كانت دراسته لأنسابهم وأصولهم باستفاضة، وتقديم البراهين والدلائل عن عمق التلاحم بين أبناء القارة الإفريقية. وفي ذلك تأكيد بقول المؤرّخ: " لهذا رأيت أن أكشف النقاب عن تاريخ أفريقيا الزاهر بالأمجاد".[17]

المحور الثاني: المصادر التي استقى منها المؤرّخ معلوماته عند توثيق تاريخ القبائل الإفريقيّة

عندما قرر المؤرّخ الهادي المبروك الدالي الخوض في غمار كتاباته عن القبائل الإفريقيّة لم يضع أمامه عراقيل تمنعه من الوصول إلى هدفه، فمن يكتب التاريخ لاييأس من شحّ المعلومة، بل يبحث ويسأل ويستقصي، وعملا بذلك كان المؤرّخ ميّالا لتنوّع مصادر معلوماته عند كتابته عن القبائل الإفريقيّة فشملت:

أولًا: الرواية الشفهيّة

اعتمد المؤرّخ في جزء من حصوله عن المعلومة التي تخصّ أيّ قبيلة على أبنائها، وذلك من خلال تواصله معهم، ومجالستهم؛ بالسؤال

([16])المرجع السابق، ص3. وتاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء دراسة وثائقية تجميع ودراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي، ، مركز الدراسات والبحوث بأمانة مؤتمر الشعب العام، الطبعة الثانية، 2008م، ص3.

([17])الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 13-15م، الزاوية: مطابع الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1999م، ص10.

والاستماع والاستقصاء والتنقيب، وفي ذلك يقول: " لقد عشت ردحًا من الزمن باحثًا في ربوع ديار هذه القبائل؛ أسال وأستمع واستقصي وأنقب عن تراثهم. فجلست مع سلاطينهم وشيوخهم وشبابهم وعدد من مثقفيهم"[18] وقوله: إنه اعتمد على أكثر من أربع وثلاثين رواية شفويّة في توثيق تاريخ قبيلة الطوارق[19]. واستعان في توثيقه لتاريخ قبائل الهوسا بست عشرة رواية شفوية.[20] وبثلاثين رواية عن قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا.[21] وأيضا في توثيقه لتاريخ قبائل الفلان. وللوقوف على صحة نسبهم، زار مواطنهم، واستمع إلى مثقفيهم، ليصل إلى صحة نسبهم، ويقول: " من خلال زيارتي لمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، وإلى مضارب خيام الفلان في ليرة، وتنبكت، وقندام، وجاد، وجني، وأقدز، وطاو، وكني، وغيرها من أماكن تواجدهم واتصالي ببعض من مثقفيهم أمثال : عمر سيسه ومحمود محمد طاهر، وبوبو ولد سيدي أكدوا لي بأنهم عرب، وأنهم من نسل جيش عقبة بن نافع الفهري الذي تركه على ضفاف نهر النيجر".[22]ووثق المؤرخ تلك الزيارات بصور فوتوغرافية تصورها مع أبناء القبيلة.[23]

([18])الهادي المبروك الدالي، قبائل الطوارق، مرجع سابق، ص2.
([19]) المرجع السابق، ص4.
([20])الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، مرجع سابق، ص 295.
([21])الهادي المبروك الدالي، قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، مرجع سابق، ص251-252.
([22])الهادي المبروك الدالي، تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء. دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص165.
([23]) المرجع السابق، ص163.

ثانيًا: المخطوطات

هي مخطوطات منها ما يرجع تاريخها لمئات السنين، كتبها الأسلاف وذكروا فيها أخبار الأمم، وكان لتاريخ القبائل نصيب فيها. بحث عنها المؤرخ في شتى مراكز المخطوطات، ومنها ما وجدها عند بعض العلماء محتفظين بها وأهدوه إياها، وبعضها كانت نسخة وحيدة. وعلى رغم تعرض بعضها لبعض التلف بسبب سوء الحفظ، إلا أنه استنطقها وحصل منها على ما يريد من معلومة متبع أسلوبه العلمي في قراءة المخطوطات. ومنها مخطوط تاريخ أزواد في خبر البرابيش، حصل عليه المؤرخ من مركز أحمد بابا التنبكتي، ورمز له بحرف (أ) ومصنف تحت رقم 175، وعدد أورقه 40 ورقة، في كل ورقة 23 سطر، وفي كل سطر 7 كلمات.[24]

وأيضًا اعتماده في دراسة قبيلة الطوارق على مخطوطات وصل عددها إلى تسعة وثلاثين مخطوطًا.[25]

ثالثاً: المخطوطات المحققة

كانت المخطوطات المحققة مصدرًا آخرًا للمعلومة عن القبائل الإفريقية، ومنها مخطوط أخبار الدولة الهوسية لعبد القادر بن المصطفى، قدمه وحققه عبدالعلي الودغيري.[26] والترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان لمؤلفه محمد محمود الأرواني، تحقيق

([24])الهادي المبرك الدالي، قبائل البرابيش ، مرجع سابق، ص24.
([25])الهادي المبروك الدالي، قبيلة الطوارق، مرجع سابق، ص4.
([26])الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، ص270.

الهادي المبروك الدالي.[27] وكانت مصدرًا لكثير من المعلومات عن قبائل البرابيش.

رابعًا: المعالم الحضرية الأثرية

هي معالم بناها أبناء إفريقيا، فكانت مراكزًا للعلم ارتادها طلابه، وساهمت القبائل في إثرائها بالعلماء، فكانت دليلًا على مدى التطور الحضاري الذي وصل له أبناء القارة، فقد بحث المؤرخ في تاريخها ووقف عن كثب على إبداعات الأفارقة فيها، ومن أبرزها جامعة سنكري،[28] ومسجد جنكري بيري بمدينة تنبكت الذي زاره المؤرخ وصلى فيه أكثر من مرة بالأعوام 1985م-1987م-1996م.[29] ومسجدي محمد البخاري حمودة وآسكيا الحاج محمد المقامان بمدينة آقدز، ووثق المؤرخ وصوله لهما بالصور الفوتوغرافية.[30]

خامساً: الوثائق الأهلية والرسمية

هي نماذج من مخطوطات لرسائل متبادلة بين مشايخ وعلماء بعض القبائل تحاكي نسبهم وأصولهم،كالرسالة التي تناولت أصل قبيلة الفلان،[31]

([27])محمد محمود الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم أ. د. الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، الطبعة الأولى، 2009م. ص7

([28]) الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن الثامن عشر، الطبعة الثانية، 2008م، ص151-206، الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامي وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 13-15م، مرجع سابق، ص 105-114.

([29])الهادي المبروك الدالي، تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء. دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص141.

([30])الهادي المبروك الدالي، المرجع سابق ، ص 155-156.

([31])الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص193.

ورسالة نسبهم ومدة إمارة سلاطينهم.[32] وأيضًا رسالة أمير المؤمنين أحمد بن محمد التي بعثها إلى الشيخ المختار بن سيدي محمد في شأن خلاف بين الفلان والطوارق وتاريخها 929ه.[33]

المحور الثالث: مدونات المؤرخ الهادي المبروك الدالي عن القبائل الإفريقية

سلسلة تاريخ القبائل الإفريقية التي قدمها المؤرخ الهادي المبروك الدالي للقاري، تعد سلسلة متميزة عن غيرها مما كتب في هذا المجال، وتضمنت السلسلة الأتي:

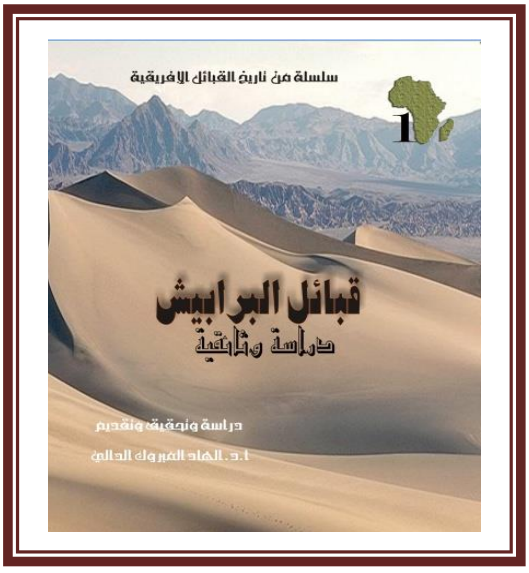

أولا: قبائل البرابيش

كانت قبائل البرابيش أولى القبائل التي بدأ بها المؤرخ سلسلة دراسته عن القبائل الإفريقية. جاءت الدراسة في طبعتين، في كتاب يحتوي 169 صفحة بما فيها صور لمخطوط تاريخ أزواد في خبر البرابيش، واختار الصحراء على غلافه

([32])المرجع السابق، ص214.
([33])الهادي المبروك الدالي، تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص179.

مع خريطة للقارة الإفريقية.[34]

تناول المؤرخ لهذه القبيلة جاء في شقين،الشق الأول: ضمنه أصل تسمية القبيلة، ونسبهم متطرقًا لعشائرهم وأفخاذهم، مُبيا ذلك برسم لشجرة النسب لعدد من أسر البرابيش ومواطنهم، مرفقا معها خريطة توضح نسب تواجدهم في كل دولة. وأشار إلى أن عددهم يبلغ حوالي عشرين مليون نسمة تقريبًا.

ولتسهيل معرفة تقسيمات هذه القبيلة صنفت إلى خمس عشرة فخذًا، وكل فخذ تنقسم إلى عدة بطون.

بين المؤرخ مكانتهم في إفريقيا من خلال ثقلهم السياسي، وقدرتهم في السيطرة على طرق القوافل القادمة من الشمال الإفريقي.

من خلال بحث المؤرخ وتحليله عن القبيلة تمكن من الإجابة عن سؤاله الذي طرحه وهو من أين جاء البرابيش بهذه القوة؟

ليصل إلى نتيجة حتمية تقول إن قوتهم تعود إلى الانتماء العرقي رغم توزعهم على رقعة جغرافية واسعة.[35]

والشق الثاني: تضمن تحقيقا لمخطوط ابن آد المعنون بتاريخ أزواد في خبر البرابيش.

ثانيًا: قبائل الفلان

([34])الهادي المبروك الدالي، قبائل البرابيش دراسة وثائقية، منشورات الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية،2008م.

([35])الهادي المبروك الدالي، قبائل البرابيش، مرجع سابق، ص22.

قبائل الفلان احتلت المرتبة الثانية في كتابات المؤرخ الهادي المبروك الدالي، جاءت الدراسة في 324 صفحة، محاولًا عبرهم التعريف بهذه القبيلة، وتصحيح ما تناقله عنها المؤرخون الغربيون.

صدر هذا المؤلف في أربع طبعات آخرها في العام 2009م .[36]

وما عدد هذه الطبعات إلا دليلا على اقتنائها لما تحويه من معلومات قيمة.

رصد المؤرخ ما جمعه من معلومات عن قبائل الفلان في هذه الدراسة في ستة فصول.

قبيلة الفلان شكك الكثيرون في نسبهم وأرجعوها إلى أصول يهودية، وهذه أكثر معلومة أراد المؤرخ إثبات مدى صحتها. فبحث وتقصى في نسبهم مستخدمًا كل المصادر التي تَعودَ أن يصل إلى معلومته عبرها، والتي أرفق بعضها في هذا المؤلف.

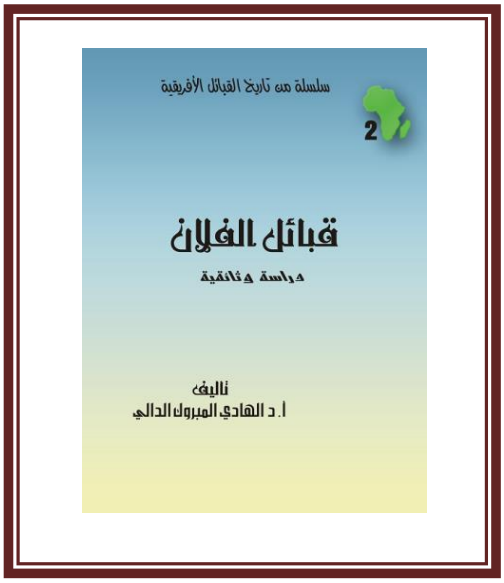

ليخلص في خاتمة الفصل الأول أن قبائل الفلان هي قبيلة أصولها إفريقية بعد

(36)الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 2009م.

استعراض الآراء المختلفة في نسبهم وأصولهم ومواطنهم.

ولبيان مكانتهم الاجتماعية في إفريقيا جاء الفصل الثاني متضمنا تقسيماتهم، ونظم الحكم لديهم ونظامهم الاجتماعي، ونشاطهم في برنو وفوت وحوض السنغال، ودخولهم في معترك الحياة السياسية.

أما اللغة الفلانية ومدى تأثرها بلغات أخرى، خصص المؤرخ لها الفصل الثالث ، وخلص إلى أن اللغة العربية أثرت بشكل كبير في اللغة الفلانية، واقتبست معظم مصطلحاتها منها. والدليل على ذلك أن معظم تاريخ الفلان الاجتماعي والسياسي والثقافي كتب باللغة العربية.

وتناول المؤرخ في فصلها الرابع أبرز الشخصيات الفلانية العلمية والسياسية، الذين ذاع صيتهم في إفريقيا، مع عرض لنماذج من أدب رسائلهم، ونصوص محققة في أصل الفلان بالفصلين الخامس والسادس.[37]

ثالثًا: قبائل الهوسا

جاءت قبائل الهوسا في المرتبة الثالثة من سلسلة القبائل الإفريقية التي أرخ لها المؤرخ الهادي الدالي، وحازت على الطباعة ثلاث مرات آخرها في العام 2009م.[38]

([37])الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان، مرجع سابق، ص160-210

([38])الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة للنشر، الطبعة الثالثة، 2009.

تناول المؤرخ مؤلفه هذا بتقسيمه وفق الجوانب الحياتية الثلاثة السياسية والاجتماعية والثقافية.

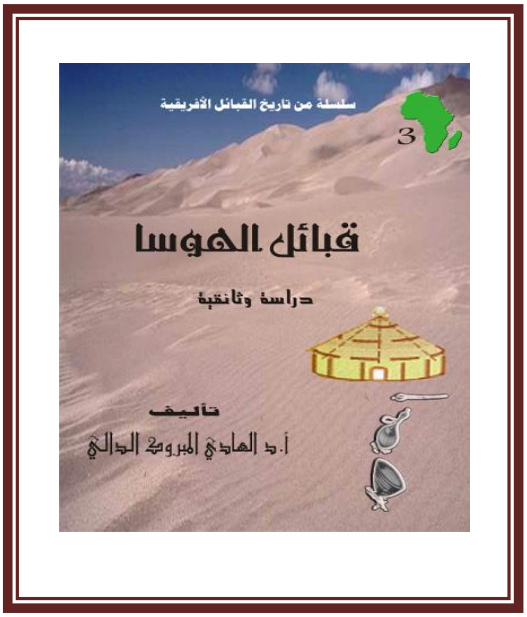

أفرد الفصل الأول للحياة السياسية لقبائل الهوسا، ضمنه تحديدًا لمواطنهم، وتسميتهم وأصولهم. مع عرض لدول بلاد الهوسا منها (كانم برنو، مالي الإسلامية، دولة سنغي، دولة باقرمي) وأقاليمها، وأبرز سلاطينها.

وخلص إلى أن قبائل الهوسا تنتشر على مساحات واسعة بغرب إفريقيا وشمالها وبالسودان. وأنهم انشئوا ممالك وسلطنات ذات مكانة متميزة، وحازوا على ثقل سياسي بين ممالك إفريقيا.

أما الفصل الثاني فكان للحياة الثقافية التي يفرد لها المؤرخ في كل كتاباته مساحات كبيرة للوقوف على مدى التطور الثقافي الذي وصله أبناء إفريقيا، وإبعاد الوصف الذي أطلق عنهم بأنهم متخلفون. فتناول مراحل التعليم لدى الهوسا، وصنفها في أربع مراحل بين فيها تطور التعليم عندهم من بدايته بمدارس تعليم القران الكريم، والتي تكون عادة تحت الأشجار أو في الخيام أو المساجد، وصولا إلى مرحلة التعليم العليا والتي يحظى بها الطلاب بمكانة مرموقة عند الملوك والسلاطين.

وجاء في مبحثه الثاني بعرض للمراكز الحضارية والتي شملت جامعة سنكري، وعدد من المساجد والزوايا. وبطبيعة الحال الجانب الثقافي لا يكون مستوفي إلا بالعلماء لذلك عمل المؤرخ رصدًا لواحد واربعين عالما مع تناولهم بالتوضيح.

وبحث أيضا في لغة الهوسا وأثر اللغة العربية عليها، مبينا نقطة اللقاء في الأصوات بينهما.

من خلال دراسة المؤرخ للحياة الثقافية لقبائل الهوسا تمكن من الكشف على أن مراحل التعليم لديهم كانت مرتبة، وإن لهم علماء متميزين ساهموا في بناء الحركة العلمية في إفريقيا وخارجها، يمتلكون مراكز حضارية كانت نقاط إشعاع للعلم حتى خارج إفريقيا.

وحلل الفصل الثالث الحياة الاجتماعية فكانت في سبعة مباحث شملت الوضع الاجتماعي بطبقاته المختلفة عندهم، والمناسبات والاحتفالات الأسرية والدينية، والحرف والصناعات التي مارسوها بالإضافة إلى الفنون والآلات الموسيقية التي عرفوها. ولم يغفل المؤرخ الأمثال والحكم لديهم وبعض الطقوس التي انفردوا بها منها طقوس الدفن.

وبقراءته لحياتهم الاجتماعية تبين بأن مجتمع الهوسا له رقي حضاري وأخلاقي رفيع، وهذا الرقي لم يقف عند حدود دولتهم فقط بل تعداها إلى خارجها فوصل إلى شمال القارة والسودان.[39]

([39])الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، مرجع سابق، ص291.

رابعًا: قبائل الطوارق

أخذت قبائل الطوارق المرتبة الرابعة في سلسلة دراسة القبائل الإفريقية، صدرت طبعتها الأولى في العام 2006م، تميز الغلاف بصورة تعبيرية لشباب من الطوارق يرتدون لثامهم الذي تميزوا به، ويمتطون الجمال.[40]

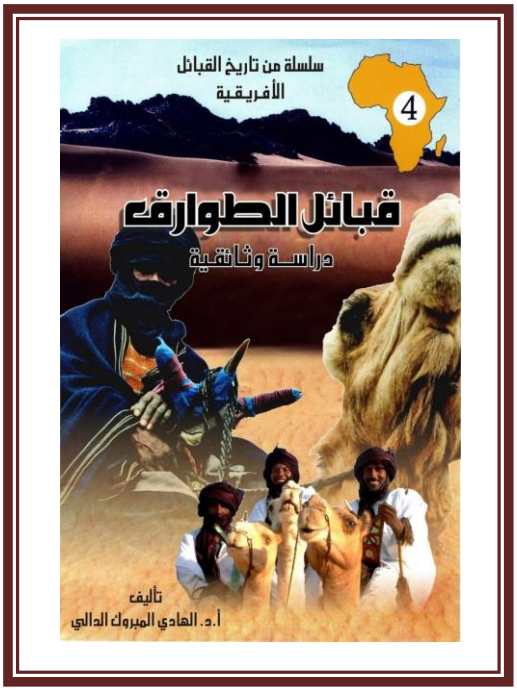

كما جرت عليه العادة في تدوين المؤرخ تاريخ القبائل الإفريقية، بتناول جميع مظاهر الحياة للقبيلة، جاء الفصل الأول في هذه الدراسة متضمنا للحياة السياسية عند الطوارق (الموطن والتسمية والأصول)، ومن خلال البحث توصل المؤرخ إلى أن أصول الطوارق تعود إلى قبائل صنهاجة وجدالة ولمتونة ومسوفة، ويتواجدون في إحدى عشرة دولة بنسب متفاوتة.

وأسسوا العديد من السلطنات استعرض منها المؤرخ ثماني سلطنات، مُعرفا بأبرز سلاطينها والقبائل التي تضمها، وكذلك أبرز قادتهم.

([40]) الهادي المبروك الدالي، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، إصدارات القيادة الشعبية الاجتماعية للجماهيرية العظمى، الطبعة الأولى، 2006م.

ولبيان دورهم في مقارعة الاستعمار تناول انتفاضتهم وجهادهم ضده مع ذكر العديد من المجاهدين الطوارق والمجاهدات.

والفصل الثاني عرف المؤرخ به حياة الطوارق الثقافية، فتناول التعليم عندهم موضحًا حروف التيفناغ والتطور الذي وصلت إليه، والشعر وأغراضه مع بعض القصائد لأبرز شعرائهم كاشفًا أن لأدباء ومثقفي الطوارق أشعارًا وآدابًا ورسائلًا رفيعة المستوى.

أما حياتهم الاجتماعية فتضمنها الفصل الثالث، وذلك من خلال بيان تنظيمهم الاجتماعي والطبقات التي عرفوها.

وحظيت الأسرة الطارقية بمناسباتها واحتفالاتها المختلفة، والبيت الطارقي بكل مكوناته على اهتمامات المؤرخ واستعرضها بتوسع، وكذلك الفنون الموسيقية والأمثال والألغاز.

وتوصل المؤرخ ببحثه الجانب الاجتماعي للطوراق إلى مدى الترتيب الذي عرفه مجتمعهم، مبينا

روح التضامن السائد بين أفراده، والمكانة المتميزة للمرأة الطارقية داخل الأسرة والمجتمع.وأيضا مراحل العلم المتطورة التي وصلوا إليها في مجال الطب وتمكنهم من علاج الكثير من الأمراض التي كانت تنتشر عندهم.

أرفق المؤرخ كل ذلك بصور ورسومات معبرة عن البيت الطارقي، وملابسهم، وأدوات الطبخ عندهم. **(41)**

([41])الهادي المبروك الدالي، قبائل الطوارق، مرجع سابق، ص370-406.

خامسًا: قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا.

قبائل الزغاوة آخر ما خطه المؤرخ الهادي المبروك الدالي في سلسلة القبائل الإفريقية.

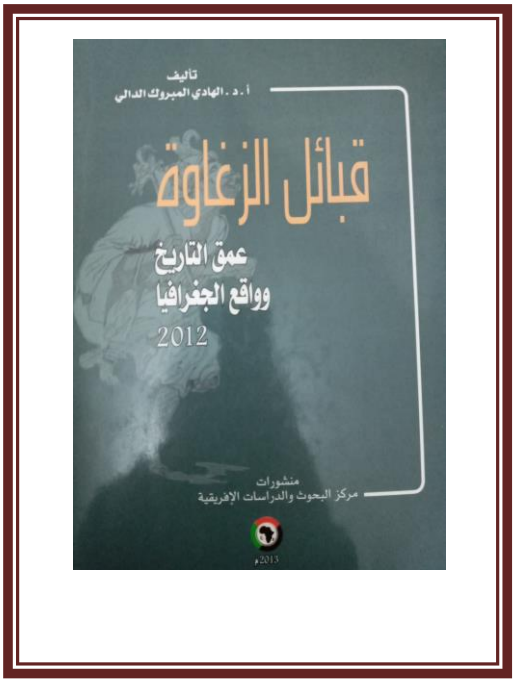

كانت طبعته الأولى في العام 2013 م، بعدد صفحات وصلت 304 صفحة.[42]

بحث المؤرخ في أصل قبيلة الزغاوة وتسميتها ومواطنها في الفصل الأول ليصل إلى أن الزغاوة قبائل عرب موطنها الأصلي اليمن والجزيرة العربية دخلت مصر ومنها إلى ليبيا حيث استقر بها المقام هناك، ومنها هاجر البعض إلى السودان والبعض الآخر إلى تشاد. وقد وضح المؤرخ أماكن تواجدهم بهذه الدول بخرائط بين عليها انتشارهم فيها.

كما تمكن المؤرخ من الكشف بأن أساس الزغاوة ثلاث قبائل فقط، وفيما بعد تفرعت منها قبائل أخرى.ووثق المؤرخ ذلك برسم شجرة النسب لهذه القبائل،والتي كان لها دور فعال في تأسيس مملكة قوية ومترامية الأطراف

(42)الهادي المبروك الدالي، قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا 2012، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، 2013.

وهي مملكة وادي.[43] والتي برز بها عدد من السلاطين والأعلام السياسيين والعسكريين الزغاوة.

أما حياتهم الثقافية فتناولها المؤرخ من كل جوانبها،كاشفًا عن مدى تقدمهم في مجال الطب وعلم الفلك وفي التعليم، فكان تعليمهم متميز يتخذ نظام المجالس العلمية، ويشترك في هذه المجالس أبناء الأغنياء والفقراء. عرفوا أدب الرسائل وبرعوا فيه.

كما بين أن لهم لهجات خاصة رئيسية وثانوية، وأن لغتهم صنفت من اللغات النيلية الصحراوية.

كل هذه الجوانب الثقافية المتطورة انبثق عنها علماء وشعراء وقصاصون نالوا المراتب في التاريخ الحضاري لإفريقيا.

حازت أيضا حياة الزغاوة الاجتماعية على مساحة مناسبة من بحث المؤرخ الهادي الدالي، حيث قسمها في خمسة مباحث. الأول خصه للمرأة الزغاوية ودورها في الحياة الاجتماعية، وتناول فيه زيها، ومراسم الزواج وعاداته عند الزغاوة، والثاني عرض فيه الأسماء والكُنيات بالمجتمع الزغاوي، بالإضافة لبيان الحِرف التي كانوا يمارسونها، والأدوات التي يستخدمونها فيها. والمناسبات التي يحتفلون بها، وأنواع الأكل عندهم في المناسبات والأيام العادية.

وبدراسة هذا الجانب خلص المؤرخ إلى أن المجتمع الزغاوي له من العادات والتقاليد التي تدل على رُقيه، وأن له حس فني متطور والدليل في ذلك الآلات الموسيقية المختلفة التي صنعوها وأنواع الرقص المختلف التي أشار

([43])المرجع السابق، ص262-271

إليها المؤرخ بصور معبرة عنها. أما ثروتهم من الأمثال والحكم الشعبية فهم يشتركون فيها مع غيرهم من القبائل.[44]

تدوين المؤرخ الهادي المبروك الدالي تاريخ القبائل الإفريقية تميز بما يلي:

أولا: الإهداء الذي قدمه المؤرخ الهادي المبروك الدالي في مدوناته للقبائل الإفريقية خص به سلاطين وعلماء ومشايخ وأبناء هذه القبائل.

ثانيًا: كتابة المؤرخ تاريخ القبائل الإفريقية بأسلوب تشويق وترغيب بداية من المقدمة إلى الخاتمة.

ثالثًا: تقديم قصائد وأمثال وحكم شعبية تشد انتباه القاري، وتكشف مدى الثراء اللغوي لأبناء القبائل الإفريقية.

رابعًا: تدعيم هذه المدونات بخرائط قام المؤرخ بتصميمها ووزع عليها القبائل حسب اطلاعه الشخصي.

خامسًا: في توضيح للقبائل وتفرعاتها قام المؤرخ بتصميم شجر نسب لكل قبيلة موضحاً عليها حتى آخر فرع تسنى له الوصول إليه.

سادسًا: الثناء في مقدمة كل مدونة للقبائل الإفريقية على أبناء القبائل في المساهمة للوصول للمعلومة سواء عن طريق المقابلات الشفوية أو مده بالوثائق.

سابعًا: الزيارات الميدانية لمواطن القبائل الإفريقية التي تناولها المؤرخ في مدوناته لهم، ومشاهدته عن كثب لكثير من معالمهم الحضارية، جعل منه عند المحاكاة عنها يبدو وكأنه أحد أبناء المنطقة، وفي ذلك يقول عنه عبد

(44)المرجع السابق، ص241.

الهادي التازي* " إنه كان لا يهزم أمام المصاعب والمتاعب في سبيل إعداد بحثه...كان يحرص على أن يجعل قراءه في الصورة الكاملة كما كان يستمتع بها هو عند الوقوف عليها، وقد أتحفنا بدراسات نافعة جدًا تمثلت في أعماله المنشورة، وفي سلسلة متتابعة من تاريخ القبائل الإفريقية". [45]

ثامنًا: عند التعثر في عدم الحصول على صورة تعبيرية عن أي جانب من الجوانب الاجتماعية (ملابس أو أدوات زينة أو طبخ أو ألآت موسيقية) فإن المؤرخ كان يلجأ للرسم التعبيري لأجل إيصال الصورة أوضح للقاري.

تاسعًا: يرى المؤرخ ومن خلال كتاباته للقبائل الإفريقية وتناوله لتاريخهم، أنهم يملكون قوة وقدرة على تخليص القارة الإفريقية عامة وغرب إفريقيا خاصة من الكثير من الأزمات التي تعصف بها، ولن تقف عاجزة عن حل أي مشاكل تتعرض لها، لأنها هي التي قارعت الاستعمار الفرنسي والإيطالي والإنجليزي منذ القدم. وفي ذلك يقول المؤرخ "إن قبائل الزغاوة هي الفيصل والمؤثر في قضية دارفور وبيدها حل الأزمة إذ ما أرادت فهي مثل قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى، فهي سيدة الموقف وبيدها الحل والربط". [46]

*عضو أكاديمية المملكة المغربية.

([45])أدم بن محمد العطار الغدامسي، الإعلان بتاريخ كانو، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2007م.

([46]) الهادي المبروك الدالي، قبائل الزغاوة ، ص6.

الخاتمة والنتائج

قدمت هذه الدراسة جزء يسير للتعريف بما أنجزه المؤرخ الهادي المبروك الدالي- رحمة الله عليه- في مسيرته العلمية، والتي هدف من خلالها التعريف بأبناء القارة الإفريقية- والتي كان عازمًا أن يشمل بها كل القبائل ولكن مشيئة الله سبقت- ووضعها أمام الباحثين للإطلاع عليها، والاستفادة منها في دراساتهم الإفريقية. وضعها أمام من يجهلون التاريخ الإفريقي لتتكشف لهم الحقائق التي حاول كثيرون تغيبها، لإدراك ما تمتلكه القارة الإفريقية من ثروة بشرية لها من العلم والقدرة ما تضاهي به الشعوب الأخرى.

وأخيرًا خلصت الدراسة إلى الأتي:

- المؤرخ ساهم بما لا يدع مجالا للشك من خلال مدوناته عن القبائل الإفريقية في إبراز تاريخهم ودورهم في التاريخ الحضاري الإفريقي.
- حب المؤرخ لإفريقيا وأبنائها وإعجابه الشديد بهم، وحرصه على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عنهم، والتي أرخها بعض المؤرخين كان من دوافع تدوينه لتاريخ القبائل الإفريقية.
- اعتماد المؤرخ عند تدوينه تاريخ القبائل الإفريقية على مصادر أولية من رواية شفوية، ومقابلات شخصية، ووثائق ومخطوطات تمكن من الحصول عليهم، وأيضًا زيارته لمعظم معالمهم الحضارية.

المراجع

أولا: الكتب والمخطوطات

1- أحمد بلعراف التكني، تاريخ علماء التكرور والصحراء وشنقيط (من خلال مخطوط إزالة الريب والشك والتفريط)، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، الطبعة الثانية، 2009م.

2- أدم بن محمد العطار الغدامسي، الإعلان بتاريخ كانو، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2007م.

3- علي الكوراني العاملي، وعبدالهادي الربيعي ، قبيلة حمير، د.ر.ن، الطبعة الأولى، 2010.

4- عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، 1968م.

5- محمد محمود الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم أ. د. الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، الطبعة الأولى، 2009م.

6- الهادي المبروك الدالي، آفاق لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مارس2001م.

7- .....، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، إصدارات القيادة الشعبية الاجتماعية، الطبعة الأولى، 2006م.

8- .....، قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، 2013م.

9- .....، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 2009م.

10- ..... ، قبائل البرابيش دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2008م.

11- .....، قبائل الفلان دراسة وثائقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 2009م.

12- .....، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1999م، ص239-240.

13- .....، تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء دراسة وثائقية ، مركز الدراسات والبحوث بأمانة مؤتمر الشعب العام، الطبعة الثانية، 2008م.

14- ..... ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 13-15م، الزاوية: مطابع الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1999م.

ثانيا: شبكة المعلومات الدولية

1- أحمد عسكر، الصراعات القبلية واثرها على التحول الديمقراطي وطبيعة النظم السياسية في إفريقيا. كينيا نموذجًا، قراءات إفريقية، 27-8-2018، على الموقع www.giaatafrican.com.

2- الطيب النقر، جناية مؤرخي أوروبا على تاريخ إفريقيا والسودان، صحيفة راي اليوم، 29 سبتمبر 2019م، على الموقع www.raialyoum.com

3- علي يعقوب ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، عقبة بن نافع الفهري وانتساب القبائل الفلانية إليه..دراسة تقويمية، نقلا عن عبد الله بن فوديو، مسألة أصل الفلانين، مخطوط في مكتبة الباحث، ورقة 1. قراءات إفريقية، 2018/8/26 م. على الموقع www.qiraatafrican.com

مساحة انتشار غبار مصانع الإسمنت بشمال غرب ليبيا (مصنعي لبدة وزليتن نموذجاً) باستخدام برنامج SPSS الإحصائي ونظم المعلومات الجغرافيةGIS

■ **د/ عمر إبراهيم المنشاز**

عضو هيئة تدريس، كلية التربية، جامعة المرقب

■ **د. فرج مصطفى الهدار**

عضو هيئة تدريس، كلية التربية، جامعة المرقب

مقدمة ومشكلة البحث:

تنفث مصانع الإسمنت بشمال غرب ليبيا الغبار والغازات مما أدى إلى تلوث المناطق المحيطة بها، وتؤثر على الإنسان والنبات والحيوان والبيئة ككل بشكل مباشر، وبشكل غير مباشر حيث تسهم في تحفيز مشكلة الزحف الإسمنتي على الأراضي الزراعية، إضافة إلى مشكلة المياه من حيث استهلاكها وتلويثها لها.

إن مما يزيد من أثر هذه المشكلة هي المواقع التي تتواجد فيها هذه المصانع، فهي تتواجد في الشريط الساحلي،وهي المنطقة الحيوية الرئيسية في ليبيا التي تضم أغلب سكان ليبيا، ومساحاتها الزراعية، فعندما نبتعد قليلاً عن

هذا الشريط تواجهنا الصحراء التي يقل ويندر فيها السكان والمساحات الزراعية.

يعتمد مدى تركيز مساحة انتشار الغبار الإسمنتي على العديد من العوامل الطبيعية والبشرية في تحديد هذا المدى، وبمعرفة مساحة الانتشار يمكننا تحديد المناطق المتأثرة بها الغبار، وتحديد تركيزاته بشكل دقيق، وبهذا التحديد يمكن تشخيص المشكلة بشكل كمي حتى يتمكن أصحاب القرار من اتخاذ الإجراءات المناسبة لعلاج هذه المشكلة.

حدود البحث:

يقع مصنعي الإسمنت في الشمال الغربي من ليبيا، حيث يقع مصنع لبدة بالحدود الإدارية لبلدية الخمس حيث يمثل موقعه نقطة تقاطع(14ْ.326160 و32ْ .521283)، أما مصنع زليتن فيقع ضمن نطاق الحدود الإدارية لبلدية زليتن، ويمثل موقعه نقطة تقاطع (14ْ .485307 و32ْ .423610)، كما هو موضح بالشكل رقم (1).

فرضيات البحث:

1- كلما اتجهنا بعيداً عن مصنعي الإسمنت في (الاتجاه الشمالي، الاتجاه الشرقي، الاتجاه الجنوبي، الاتجاه الغربي) كلما قل تركيز الملوثات.

2- تؤثر الرياح في انتشار وتركيز الغبار في المناطق المحيطة بالمصنعين.

الشكل رقم (1) الموقع الفلكي لمصنعي الإسمنت

المصدر/ من عمل الباحثين

ولتحديد مساحة الانتشار تم جمع الغبار ووزنه من على أوراق شجر الزيتون لتواجده وانتشاره في منطقة الدراسة بواقع عشر أوراق لكل مجموعة في الاتجاهات الأربعة الرئيسة، وعلى مسافات من كل مصنع، وفيما يلي النتائج المتحصل عليها كما هو موضح بالجدولين رقم (1) (2).

جدول رقم (1) متوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة بالجرام حول مصنع لبدة

مسافة بالمتر	شمال المصنع	شرق المصنع	جنوب المصنع	غرب المصنع
500	0.060	0.050	0.050	0.050
1500	0.050	0.040	0.050	0.040
3000	0.040	0.030	0.035	0.030
4500	0.035	0.020	0.025	0.015
6000	0.020	--	--	--
المجموع الكلي	0.205	0.140	0.160	0.135
المتوسط العام	0.041	0.035	0.040	0.034

المصدر: الدراسة الميدانية.

جدول رقم (2) متوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة بالجرام حول مصنع إسمنت زليتن

مسافة بالمتر	شمال المصنع	شرق المصنع	جنوب المصنع	غرب المصنع
500	0.045	0.050	0.055	0.040
1500	0.035	0.035	0.040	0.030
3000	0.030	0.035	0.035	0.025

4500	0.025	0.030	0.025	0.020
6000	0.020	0.015	0.025	0.020
المجموع الكلي	0.155	0.165	0.180	0.135
المتوسط العام	0.031	0.033	0.036	0.027

المصدر: الدراسة الميدانية.

المناقشة والنتائج:

المبحث الأول/ التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS:

للتحقق من الفرضية التي تقول:" كلما اتجهنا بعيداً عن مصنعي الإسمنت في (الاتجاه الشمالي، الاتجاه الشرقي، الاتجاه الجنوبي، الاتجاه الغربي) كلما قل تركيز الملوثات"، نحسب معاملات الارتباط والانحدار بين متغيرات الفرضية لكل مصنع في كل اتجاه على حده:

1: مصنع لبدة للإسمنت:

للتحقق من الفرضية:" كلما اتجهنا بعيداً عن مصنع لبدة في (الاتجاه الشمالي أو الاتجاه الشرقي أو الاتجاه الجنوبي أو الاتجاه الغربي) كلما قلَّ تركيز الملوثات"، نحسب معاملات الارتباط والانحدار بين متغيرات الفرضية في الاتجاهات الأربعة الرئيسة:

أولاً: معاملات الارتباط:

نحسب معامل الارتباط بين المسافة ومتوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة في جميع الاتجاهات حول المصنع، وباستخدام برنامج SPSS الإحصائي أمكن الوصول إلى النتائج التالية:

جدول رقم (3) يبين علاقة الارتباط بين المسافة ومتوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة

معاملات الارتباط	الاتجاه الشمالي	نوع العلاقة	الاتجاه الشرقي	نوع العلاقة	الاتجاه الجنوبي	نوع العلاقة	الاتجاه الغربي	نوع العلاقة
بيرسون	-0.985	عكسية قوية جداً	-0.99	عكسية قوية جداً	-0.97	عكسية قوية جداً	-0.99	عكسية قوية جداً
كندال	-1	عكسية كاملة	-1	عكسية كاملة	-.913	عكسية كاملة	-1	عكسية كاملة
سبيرمان	-1	عكسية كاملة	-1	عكسية كاملة	-.949	عكسية كاملة	-1	عكسية كاملة

المصدر/من عمل للباحثين.

ثانياً: معاملات الانحدار:

1- الاتجاه الشمالي:لتحليل معامل الانحدار تم رسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(2).

شكل رقم (2) معامل الانحدار بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة شمال مصنع لبدة

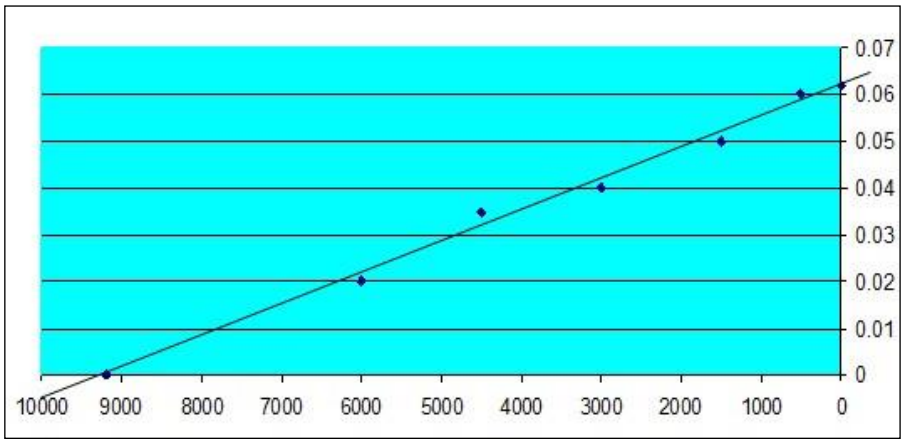

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البيانيفي الشكل رقم (2) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **9200م** بعيداً عن مصنع لبدة في الاتجاه الشمالي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X)، وهذا يعني أن النباتات والإنسان والحيوان وباقي مركبات البيئة تعاني من خطره في هذا المحيط.

2- الاتجاه الشرقي:تم تحليل معامل الانحداربرسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(3).

شكل رقم (3) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة شرق مصنع لبدة

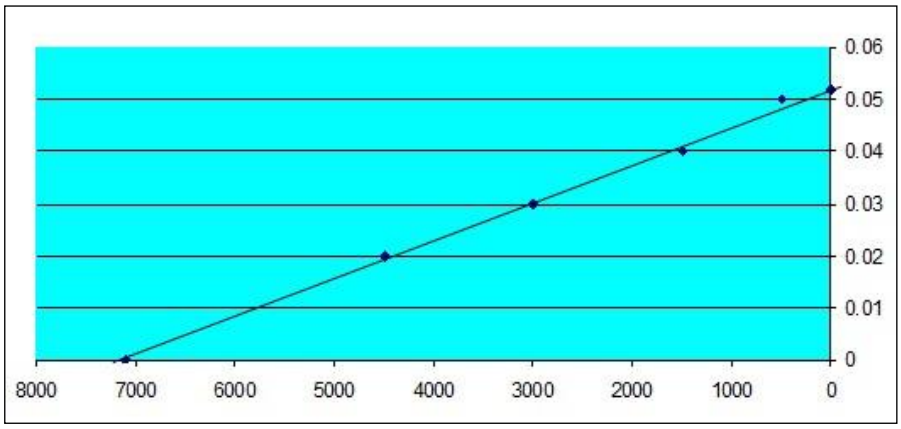

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني في الشكل رقم (3) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **7100م** بعيداً عن مصنع لبدة في الاتجاه الشرقي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X)، وهذا يعني أن الكائنات الحية وغير الحية في هذا النطاق معرضة لخطر الغبار الإسمنتي.

3- الاتجاه الجنوبي:تم تحليل معامل الانحدار برسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(4).

شكل رقم (4)معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة جنوب مصنع لبدة

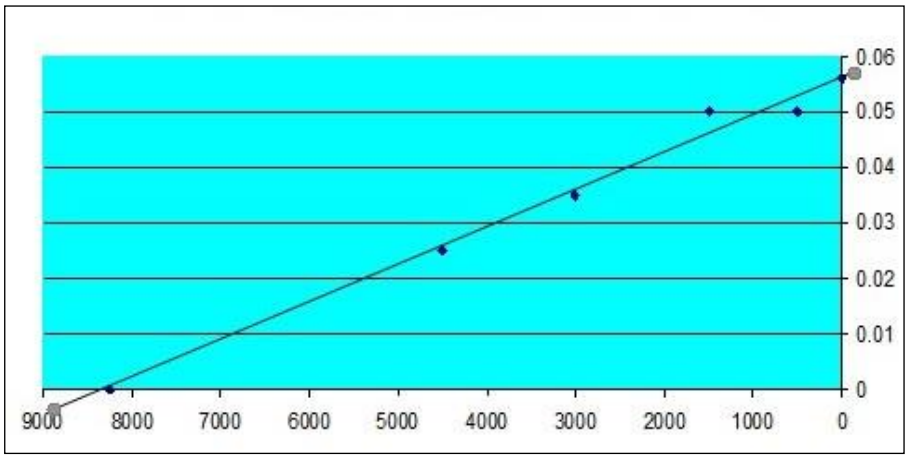

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني في الشكل رقم (4) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **8250م** بعيداً عن مصنع لبدة في الاتجاه الجنوبي.

4- الاتجاه الغربي:لتحليل معامل الانحدار تم رسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(5).

شكل رقم (5) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة غرب مصنع لبدة

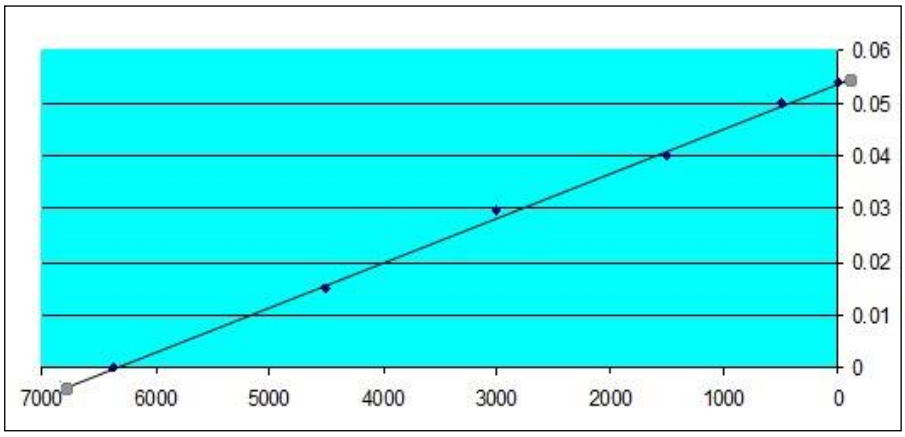

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني في الشكل رقم (5) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **6375م** بعيداً عن مصنع لبدة في الاتجاه الغربي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X).

من خلال تنبؤات خطوط الانحدار، والبيانات المقاسة يمكننا رسم وردة التلوث لمصنع لبدة للإسمنت، وذلك بتقسيم المنطقة حول المصنع إلى أربعة أقسام رئيسة تمثل كل منها اتجاه من الاتجاهات الأربعة الرئيسة (انظر الشكل رقم(6)).

شكل رقم (6) وردة التلوث لمصنع لبدة للإسمنت بناءً على تنبؤات خطوط الانحدار

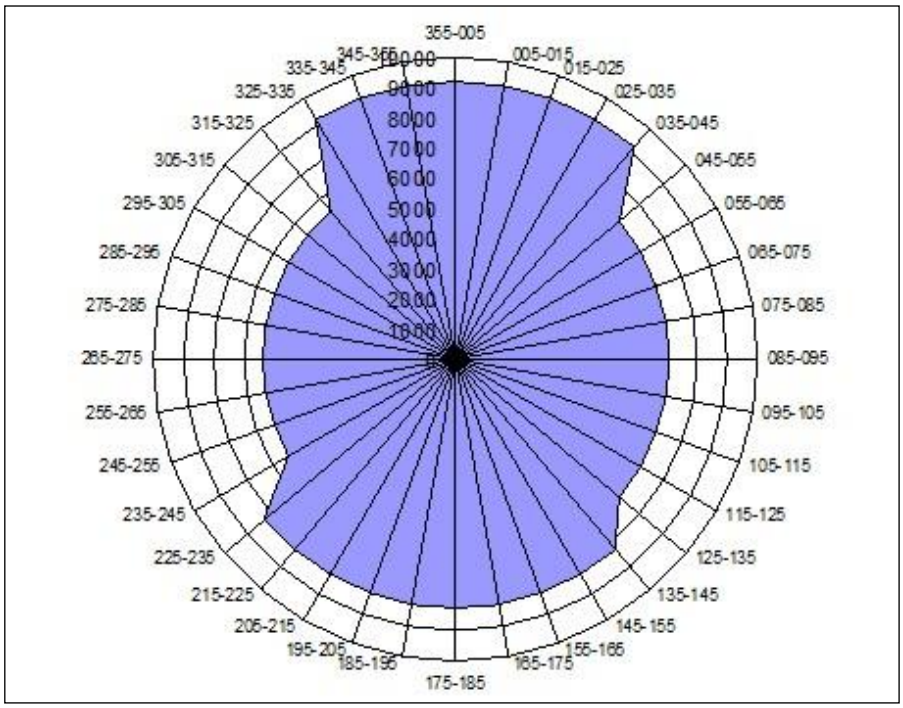

المصدر: الدراسة الميدانية.

وباستخدام نظم المعلومات الجغرافية يمكن حساب مساحة انتشار الغبار وتركيزاته بالمنطقة المحيطة بالمصنع، وذلك باستخدام تحليل نطاق التأثير كما هو موضح بالشكل رقم (7)، حيث يعتمد هذا الأسلوب في التحليل المكاني على دراسة موقع المصنع ومدى انتشار الغبار بالاعتماد على عنصر المسافة التي تم أخذ العينات منها كما هو موضح بالجدول السابق رقم (1)، فعند تطبيق هذا التحليل على مسافة 500م بلغت مساحة التأثير حول المصنع 785.40 كم^2، أما عند مسافة 1500م بلغت هذه المساحة 7068.58 كم^2، أما عند 3000م فبلغت مساحة التأثير نحو 28274.33 كم^2، وعند 4500م بلغت 63617.25 كم^2، أما عند بلوغ 6000م فكانت مساحة التأثير حول المصنع 113097.11 كم^2.

الشكل رقم (7) مدى انتشار الغبار حول مصنع لبدة

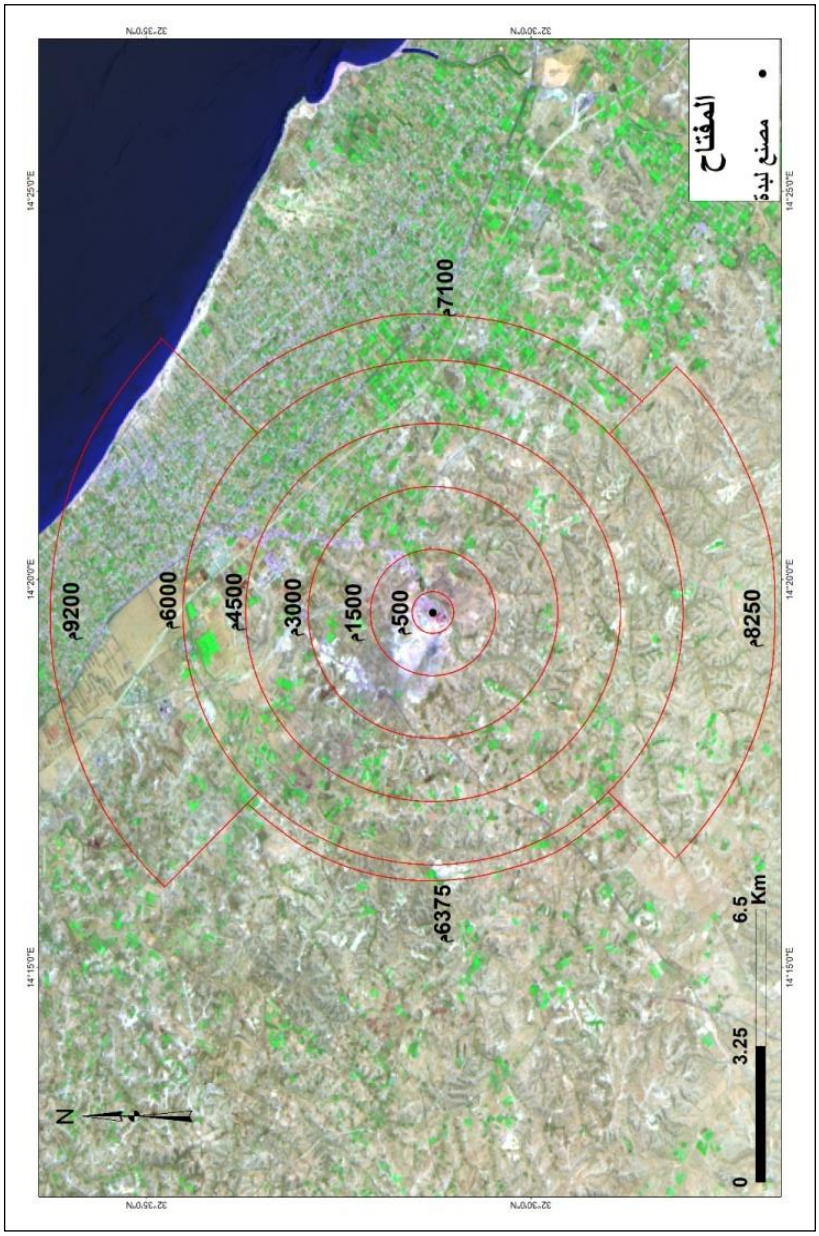

المصدر/ من عمل الباحثين

2: مصنع إسمنت زليتن:

للتحقق من الفرضية:" كلما اتجهنا بعيداً عن مصنع زليتن في (الاتجاه الشمالي أو الاتجاه الشرقي أو الاتجاه الجنوبي أو الاتجاه الغربي) كلما قلَّ تركيز الملوثات"، نحسب معاملات الارتباط والانحدار بين متغيرات الفرضية في الاتجاهات الأربعة الرئيسة.

أولاً: معاملات الارتباط:

نحسب معامل الارتباط بين المسافة ومتوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة في جميع الاتجاهات حول المصنع، وباستخدام برنامج SPSS الإحصائي أمكن الوصول إلى النتائج التالية:

جدول رقم (4) يبين علاقة الارتباط بين المسافة ومتوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة

معاملات الارتباط	الاتجاه الشمالي	نوع العلاقة	الاتجاه الشرقي	نوع العلاقة	الاتجاه الجنوبي	نوع العلاقة	الاتجاه الغربي	نوع العلاقة
بيرسون	-0.97	عكسية قوية جداً	-0.934	عكسية قوية	-0.95	عكسية قوية	-0.92	عكسية قوية جداً
كندال	1	عكسية كاملة	-0.949	عكسية قوية	-0.949	عكسية قوية	-0.949	عكسية قوية

سبيرمان	1	عكسية كاملة	-0.975	عكسية قوية جداً	-0.975	عكسية قوية جداً	-0.975	عكسية قوية جداً

المصدر/من عمل الباحثين.

ثانياً: معاملات الانحدار:

1- الاتجاه الشمالي:لتحليل معامل الانحدار تم رسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(8).

شكل رقم (8) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة شمال مصنع إسمنت زليتن

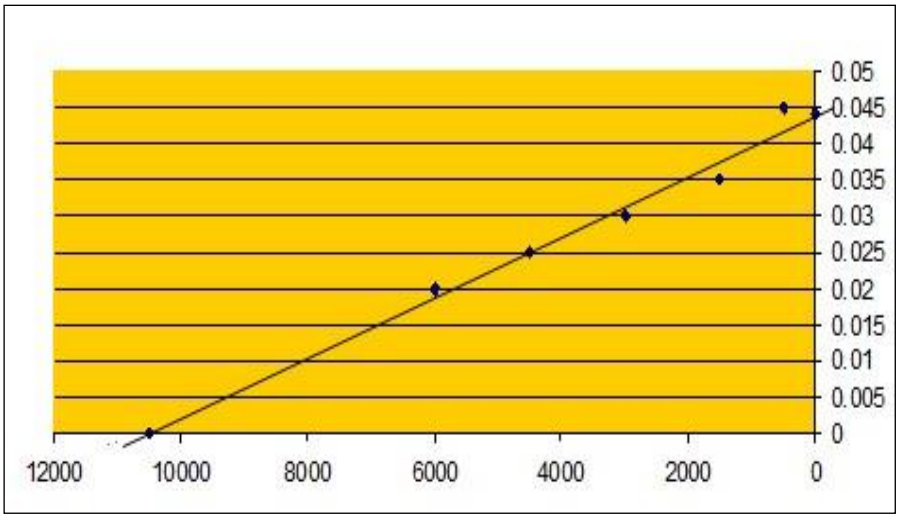

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني والشكل رقم (8) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **10500م** بعيداً عن مصنع زليتن في الاتجاه الشمالي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X).

2- الاتجاه الشرقي: لتحليل معامل الانحدار تم رسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(9).

شكل رقم (9) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة شرق مصنع إسمنت زليتن

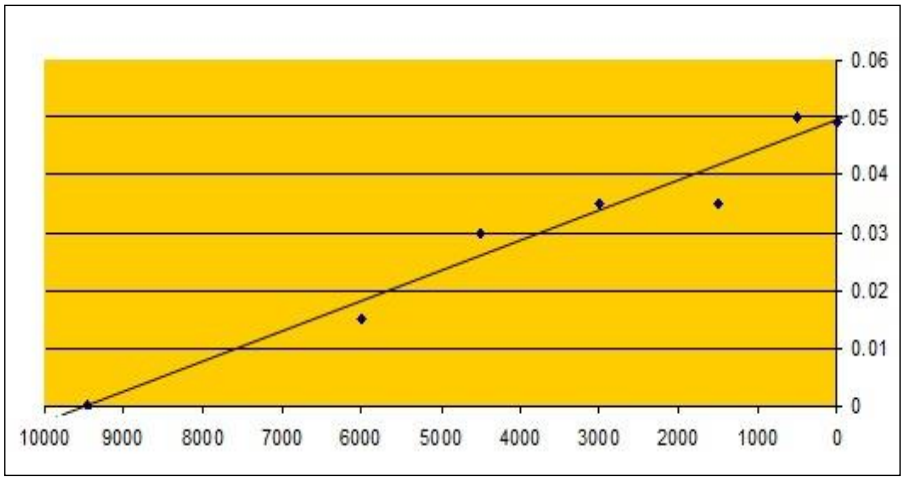

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني في الشكل رقم (9) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **9450م**

بعيداً عن مصنع زليتن في الاتجاه الشرقي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X)، وهذا يعني أن النباتات والإنسان والحيوان وباقي مركبات البيئة في هذا النطاق معرضة لخطره.

3- الاتجاه الجنوبي:لتحليل معامل الانحدار تم رسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(10).

شكل رقم (10) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة جنوب مصنع إسمنت زليتن

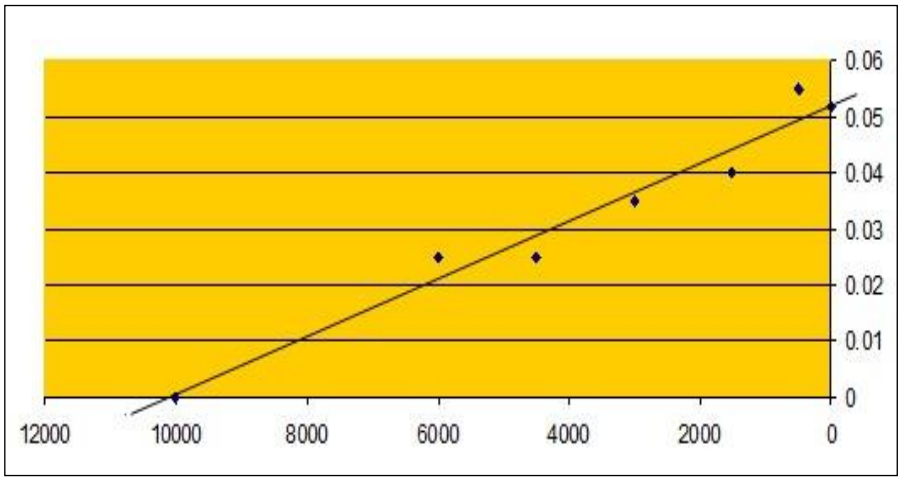

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **10000م** بعيداً عن مصنع زليتن في الاتجاه الجنوبي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X)، ومن الجدير بالذكر هنا أن 500م جنوب مصنع زليتن هي نفسها 3000م

شمال غرب مصنع البرج، و3000م جنوب مصنع زليتن تمثل نقطة 2000م غرب مصنع البرج، وبالتالي فإن لمصنع البرج تأثيراً في هذه العينات.

4- الاتجاه الغربي: تم تحليل معامل الانحدار برسم وتحديد النقاط للمتغيرين (X,Y)، ورسم أفضل خط مستقيم يمثل الاتجاه العام للعلاقة بين (X)،(Y) كما نلاحظ من الشكل رقم(11).

شكل رقم (11) معامل الانحدار للعلاقة بين المسافة ووزن الغبار على الورقة الواحدة غرب مصنع إسمنت زليتن

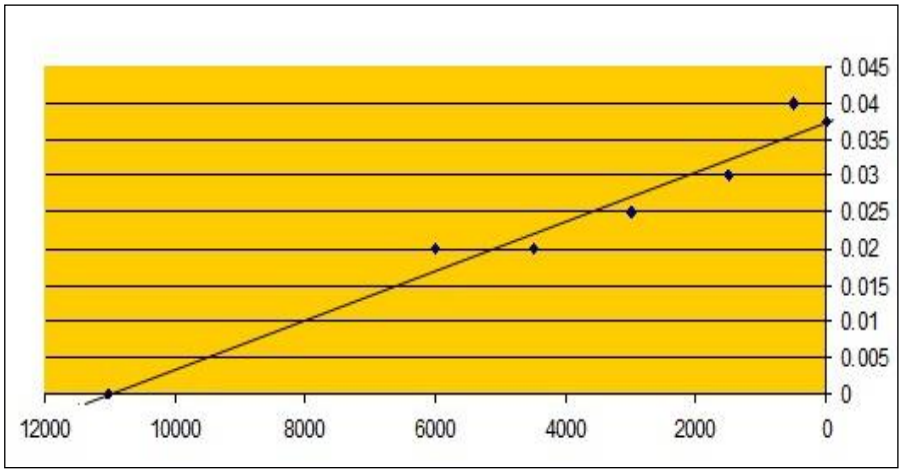

المصدر: الدراسة الميدانية.

من خلال الرسم البياني السابق رقم (11) ومعادلة الانحدار يمكننا أن نتنبأ أن وزن الغبار على الورقة الواحدة سيصل إلى **صفر** عند مسافة **11030م** بعيداً عن مصنع زليتن في الاتجاه الغربي، وذلك باستكمال خط الانحدار(Y) إلى أن يتقاطع مع (X)، وبالتالي فإن النباتات والإنسان والحيوان وباقي مركبات البيئة في هذا النطاق معرضة لخطره.

من خلال تنبؤات خطوط الانحدار، والبيانات المقاسة يمكننا رسم وردة التلوث لمصنع إسمنت زليتن، وذلك بتقسيم المنطقة حول المصنع إلى أربعة أقسام رئيسة تمثل كل منها اتجاه من الاتجاهات الأربعة الرئيسة (انظر الشكل رقم (12)).

شكل رقم (12) وردة التلوث لمصنع إسمنت زليتن بناءً على تنبؤات خطوط الانحدار

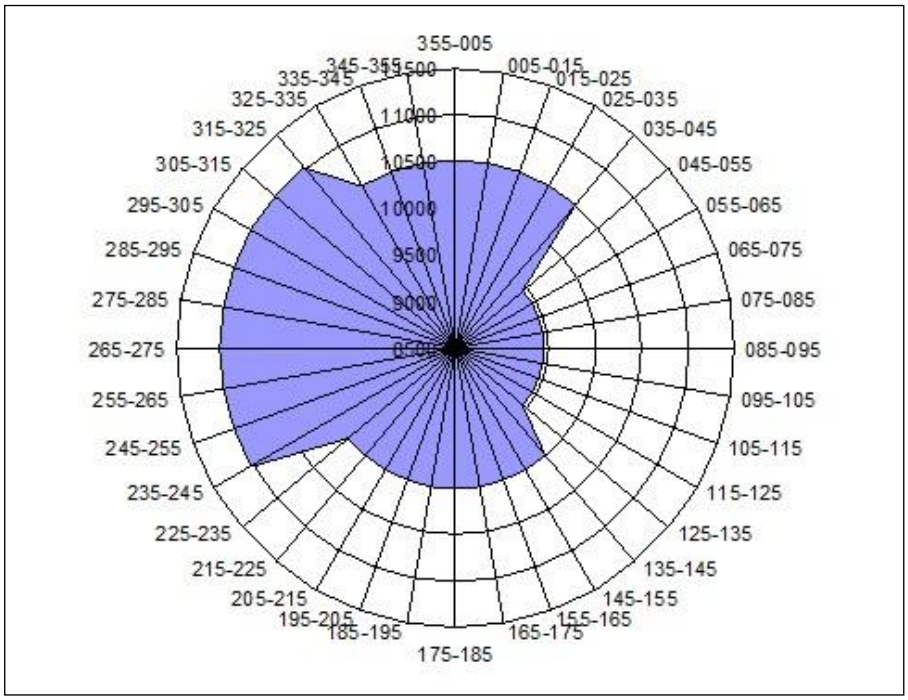

المصدر: الدراسة الميدانية.

وباستخدام نظم المعلومات الجغرافية يمكن حساب مساحة انتشار الغبار وتركيزاته بالمنطقة المحيطة بالمصنع باستخدام تحليل نطاق التأثير كما هو موضح بالشكل رقم (13)، ويعتمد هذا الأسلوب في التحليل المكاني على دراسة موقع المصنع ومدى انتشار الغبار بالمنطقة المحيطة، ولتحديد هذا الانتشار تم الاعتماد على عنصر المسافة التي تم أخذ العينات منها كما هو موضح بالجدول السابق رقم (2)، فعند 500م بلغت مساحة التأثير حول المصنع 785.40 كم^2، أما عند 1500م بلغت 7068.58 كم^2، وعند 3000م بلغت 28274.33 كم^2، وعند 4500م بلغت 63617.25 كم^2، أما عند بلوغ 6000م فكانت مساحة التأثير حول المصنع 113097.11 كم^2.

الشكل رقم (13) مدى انتشار الغبار حول مصنع أسمنت زليتن

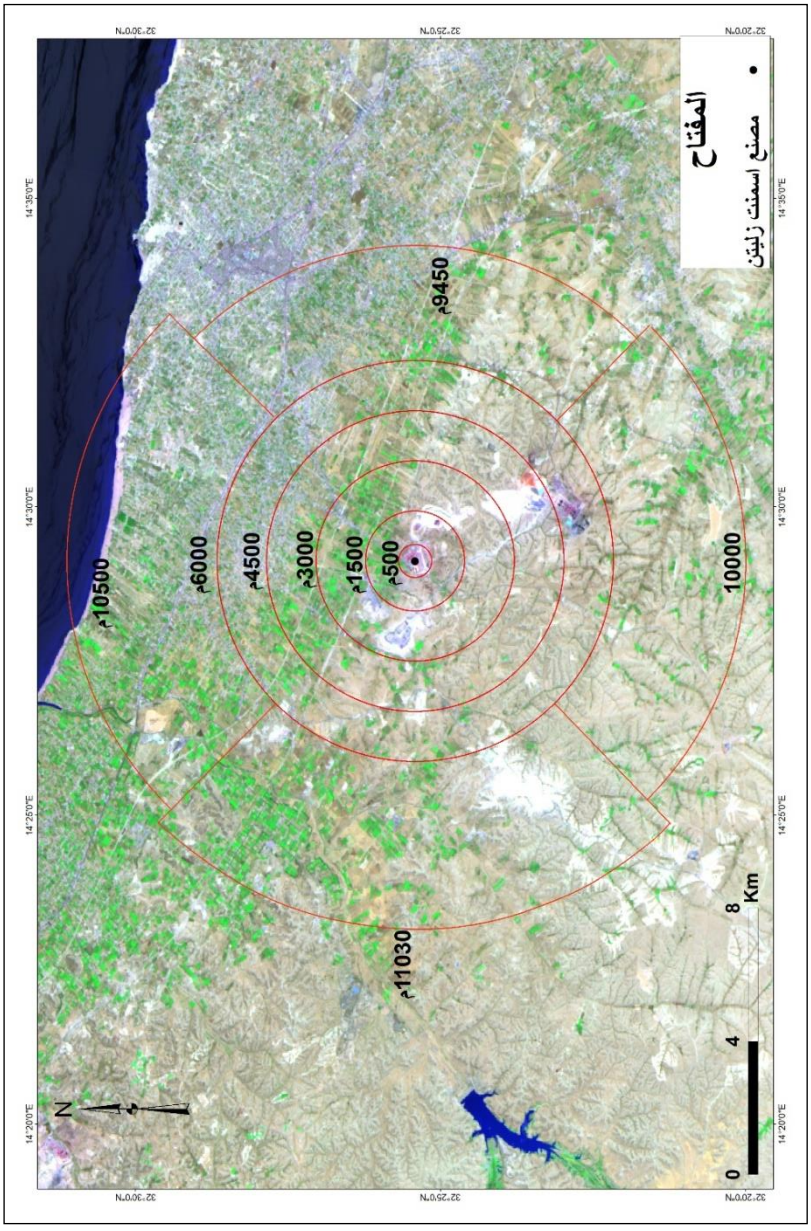

المصدر / من عمل الباحثين

المبحث الثاني/ أثر العوامل الطبيعية والبشرية في انتشار وتركز الملوثات

إن انتشار وتركيز الملوثات في مساحات متفاوتة حول المصانع يتحدد بالكثير من العوامل هي:

أولاً/ العوامل الطبيعية:

1- التضاريس:

تعمل التضاريس على حجز أو بعثرة أو توجيه انتشار الملوثات الخارجة من مصانع الإسمنت، حيث يؤدي ارتفاع التضاريس إلى انتشار الملوثات، فكلما كان المرتفع أعلى كلما عمل على حجز الملوثات أكثر، ويزيد دور الارتفاع عندما يزيد ارتفاع التضاريس عن مداخن أفران مصانع الإسمنت، والمداخن القلوية لهذه المصانع.

كما يعمل قرب المرتفعات أو بعدها عن مصانع الإسمنت دوراً في مدى تأثيرها على حجز أو بعثرة أو توجيه انتشار الملوثات، فكلما كانت المرتفعات أقرب كان تأثيرها أكثر، فالمرتفعات القريبة العالية تعمل على حجز وتوجيه انتشار الملوثات على عكس البعيدة التي لا تؤثر كثيراً على انتشار الملوثات.

يضاف إلى ذلك شكل المرتفعات واتجاهها، حيث يؤدي اتصال المرتفعات وعدم وجود فجوات إلى حجز كبير للملوثات وتركز في منطقة المصنع، ويؤدي اتجاه المرتفعات المواجهة للرياح السائدة إلى الإقلال من تركز الملوثات وانتشارها في الأماكن التي تقع وراءها، أما المرتفعات الموازية فإنها تلعب دوراً أقل حيث لا تستطيع حجز إلاَّ القليل من الملوثات، ولكنها تؤثر في توزيع تركزها في هذا الجانب فقط.

إن جميع العوامل السابقة الذكر لعبت دوراً مهماً في تركز أو انتشار الملوثات في مصنعي الإسمنت، حيث وجد من خلال الدراسة الميدانية، والتحليل الإحصائي لبيانات هذه الدراسة أن:

- أن مصنع إسمنت زليتن يقع في منطقة سهلية زراعية عدا بعض المرتفعات التي توجد على مسافة منه في الاتجاه الجنوبي الشرقي، وبذلك فإن تأثيرها قليل في حجز الملوثات وفي بعثرتها وتوجيهها إلاَّ بشكل نسبي، وقد يرجع طول المسافات المتنبأ بها إلى هذا السبب، حيث بلغ طول المسافة المتنبأ بها في الاتجاه الشمالي 10500م، وفي الاتجاه الشرقي 9450م، وفي الاتجاه الجنوبي 10000م، وفي الاتجاه الغربي 11030م.

- أما مصنع لبدة فمحاط بالمرتفعات إلاَّ من الناحية الشمالية الأمر الذي أدى إلى تركز الملوثات في حوض المصنع بشكل نسبي لأن هذا الحوض مفتوح من الناحية الشمالية، وعلو المرتفعات المجاورة (100م) لا يرتفع كثيراً عن علو مداخن المصنع (70م ارتفاع المدخنة القلوية و75م ارتفاع مدخنة الفرن) الأمر الذي أدى إلى التخفيف من حدة التركز في الحوض، ونقلها إلى مناطق التركز السكاني في الشمال، وبخاصة أن وجود وادي بندار، والمرتفعات الموازية لهذا الوادي حتمت اتجاه الرياح في هذا الوادي، وعملت على انحراف وتغير اتجاه الرياح[1]، ونلاحظ هذا من خلال دراسة طول المسافات المتنبأ بها، حيث لا تطول مسافة انتشار الغبار في الاتجاه الشمالي إذا

([1]) عمر إبراهيم المنشاز، مصنع لبدة للإسمنت وأثره على البيئة المحيطة، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة السابع من أبريل، ليبيا، 2000م، ص178-180.

ما قورنت بباقي المصانع المحيطة، على الرغم من أنه يفوق بكثير باقي الاتجاهات في المصنع نفسه ، وقد يرجع ذلك إلى أن الرياح التي تنقل الغبار إلى الاتجاه الشمالي هي في كثير منها عبارة عن رياح انحرفت من اتجاهات أخرى، وبالتالي ستفقد بعض من قوتها عند الانحراف الأمر الذي يعمل على انخفاض سرعتها، وعدم ذهابها بعيداً في الاتجاه الشمالي، وعند مقارنتنا لطول المسافة المتنبأ بها في الاتجاه الشمالي مع باقي الاتجاهات الأخرى نجد أن المسافة المتنبأ بها عن طريق حساب معادلة وخطوط الانحدار في الاتجاه الشمالي أطول (9200م) و(7100م في الاتجاه الشرقي، 8250م في الاتجاه الجنوبي، 6375م في الاتجاه الغربي)، وقد يرجع ذلك إلى إحاطة المرتفعات بالمصنع من جميع الاتجاهات عدا الاتجاه الشمالي بشكل يعمل على الحجز النسبي للملوثات.

2- الرياح:

تنقسم الرياح إلى رياح سائدة، وهي رياح تسود أغلب أيام الشهر أو عدة شهور، ورياح تتحرك نتيجة الظروف المحلية مثل نسيم البر والبحر، ويعتمد تركز وانتشار الملوثات بوساطة الرياح على عاملين هما السرعة والاتجاه:

أ) الاتجاه: تحمل الرياح الملوثات باتجاه هبوبها الأمر الذي يجعلها تلعب دوراً مهماً في تركز الملوثات في جانب دون آخر حسب استمرار اتجاه الرياح نحو جانب معين دون غيره نتيجة العوامل الطبيعية سواءً كانت تضاريس أو عوامل مناخية.

تعمل الرياح السائدة ذات الاتجاه الواحد على تركز الملوثات وانتشارها في المكان التي تهب عليه؛ وذلك لتكرار هبوبها أغلب أيام الشهر إذا كانت هذه الرياح سائدة خلال شهر واحد، أو تكرار هبوبها أغلب الأيام في عدة شهور إذا كانت الرياح سائدة لعدة شهور، وتكمن خطورة هذه الرياح في تكرار وطول مدة الهبوب على منطقة واحدة مما يؤدي إلى نقل كميات كبيرة جداً من الملوثات إلى هذه المنطقة فتنتشر وتتركز فيها هذه الملوثات؛ لذا فدراسة الرياح السائدة هي الأهم والأجدر بالدراسة عند إقامة أي مؤسسة صناعية ومنها مصانع الإسمنت.

جدول(5) يبين اتجاهات الرياح الشهرية السائدة(بالدرجة)في الفترة من1961-2014

المحطة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	الفترة الزمنية
الخمس*	-260	-260	-080	-350	-350	-350	-350	-080	-080	-080	-350	-350	25 سنة
مصراتة	-260	-260	-330	-080	-080	-350	-350	-350	-350	-350	-170	-260	52 سنة

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس.

*محطة منطقة الخمس في الفترة من 1991 حتى 2014م؛ لأنه لا توجد لها بيانات قبل سنة 1991م.

شكل رقم (14) تكرار اتجاهات الرياح السائدة في محطات منطقة البحث (رسم اتجاه الرياح حسب درجات الدائرة)

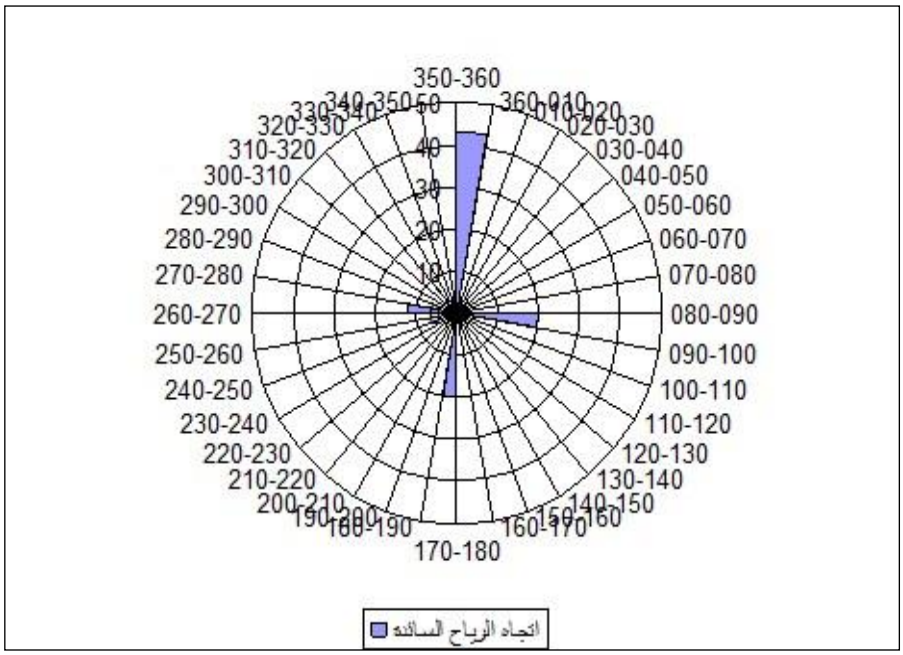

المصدر: من عمل الباحثين

يتميز اتجاه الرياح في منطقة البحث بالتغير وعدم الانتظام نتيجة وقوع الساحل الليبي في منطقة تصارع الكتل الهوائية إضافة إلى المؤثرات المحلية التي تلعب دوراً في حركة الرياح واتجاهاتها، ومن الجدير بالذكر هنا أن تكرارات اتجاهات الرياح على مدى عدد كبير من السنين من شأنه أن يخفي التغير وعدم الانتظام في اتجاه الرياح؛ لأن الذي سيبقى هو الاتجاهات السائدة على مدى عدة سنين. أما اتجاهات الرياح المحلية والرياح ذات منشأ الظرف المناخي الخاص فلن تظهر في مثل هذه الجداول.

من العوامل والمقومات التي يجب أن تراعى إضافة إلى الجدوى الاقتصادية هي العوامل الطبيعية المؤثرة في انتشار الملوثات لمعرفة المؤثرات التي سيسببها المشروع الصناعي، وقيمة وتأثير ذلك اقتصادياً واجتماعياً وصحياً، ولكن يلاحظ على مصنعي الإسمنت محل الدراسة أن هذا الجانب مغفل تماماً، ومما يثبت عدم الاهتمام بتأثير العوامل الطبيعية كالرياح في انتشار الملوثات عند إنشاءها، وعدم دراسة هذه الجوانب أن الرياح السائدة والتي تتحكم بشكل رئيس في انتشار الملوثات غالباً ما تكون متجهة نحو المناطق السكنية والحيوية كما في مصنع لبدة.

بلغ متوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة في الاتجاه الجنوبي على مسافة 500م في مصنع إسمنت زليتن 0.055غ، أي أنه أعلى تركيز حول هذا المصنع مقارنة بالاتجاهات الأخرى في المسافة نفسها (الاتجاه الشمالي 0.045غ، الاتجاه الشرقي 0.050غم، الاتجاه الغربي 0.040غ)، وقد يرجع ذلك إلى أن 50% من الرياح السائدة في كل من محطتي الخمس ومصراتة- اللتان يمكننا من خلالهما معرفة مناخ المصانع الواقعة في نطاقهما، ومصنع إسمنت زليتن من ضمنها- تهب على منطقة المصنع من الاتجاه الشمالي نحو الجنوب وبذلك تسهم في الرفع من تركز الملوثات، وانتشاره أيضاً حيث بلغت المسافة المتنبأ بها في هذا الاتجاه نحو 10000م بعيداً عن المصنع في الاتجاه الجنوبي.

وعموماً فإن الاتجاه الغربي يتفوق على الاتجاه الشرقي في أغلب مصانع الإسمنت في غرب ليبيا في طول المسافات المتنبأ بها بوساطة خطوط الانحدار، حيث بلغ متوسط المسافات المتنبأ بها في الاتجاه الغربي 10283م

بينما بلغت هذه المسافات في الاتجاه الشرقي 8478م فقط، وقد يرجع ذلك إلى أن الرياح التي تهب من الشرق إلى الغرب تمثل نسبة 20% من الرياح السائدة التي تهب على منطقة البحث، في حين تمثل الرياح السائدة التي تهب من الغرب إلى الشرق لتسهم في نشر الملوثات فيه نحو 15% فقط من الرياح السائدة التي تهب على منطقة البحث.

إن وقوع مصنعي الأسمنت بمنطقة الدراسة قريباً من البحر، ووجود المرتفعات حول مصنع لبدة أو قريباً منها ينشط دور الرياح المحلية من نوع نسيم البر والبحر، حيث تحدث هذه العملية مرتين بشكل دوري ومنتظم.

ينشأ نسيم البر نتيجة للتبرد السريع لليابس أكثر من الماء، فيرتفع الضغط الجوي على اليابس، أما الضغط الجوي على الماء فيبقى منخفضاً لأن الماء لا يفقد حرارته بسرعة، فينشأ من ذلك اختلاف في الضغوط، ولأن الرياح تنتقل من الضغط المرتفع إلى الضغط المنخفض فإن الرياح تهب من البر إلى البحر ناقلة معها ملوثات المصانع إلى المناطق التي تقع بينها وبين البحر، وإلى البحر أيضاً فتؤدي إلى ضرر الأحياء البحرية به، ومما يزيد من خطورة هذا النوع من الرياح أنها تتميز بتحركها قريباً من سطح الأرض نتيجة للكثافة العالية للهواء المبرد الأمر الذي يضاعف خطورتها على الأحياء وعلى رأسها الإنسان إضافة إلى باقي المكونات البيئية غير الحية بالمناطق التي تمر عليها هذه الرياح.

أما نسيم البحر فإنه ينقل الملوثات من المصانع إلى المناطق التي تقع عكس اتجاه البحر (الاتجاه الجنوبي)، ولكن تأثيره محدود لأنه لن يتعمق كثيراً في الاتجاه الجنوبي لأن وجهته هي المرتفعات التي تقع في الغالب قريباً من

المصانع، وبالتالي فإن هذه الرياح تفقد أغلب قوتها وسرعتها فتصل ضعيفة إلى المرتفعات.

إن وقوع أغلب مصانع الإسمنت في غرب ليبيا بجانب المرتفعات أو قريباً منها يضعها تحت تأثير الرياح المحلية من نوع نسيم الوادي والمرتفع الذي يحدث يومياً في مثل هذه المناطق، فأثناء النهار يتحرك النسيم من الوادي إلى المرتفع لأن أشعة الشمس تسخن المرتفع أولاً، فينخفض الضغط هناك الأمر الذي يعمل على تحرك الهواء من الوادي ذي الضغط المرتفع إلى المرتفع ذي الضغط المنخفض، ولأن المصانع موجودة في أحواض المرتفعات، أو في الأراضي المنبسطة قريباً منها، أو بجانب الأودية وهو الأغلب، فإنها تتأثر بهذه الحركة حيث ينقل نسيم الوادي معه الملوثات ويصعد بها إلى المرتفعات، فيسهم بذلك في نقل الملوثات التي قد لا تعود إلى الوادي نفسه وتنتقل من المرتفعات إلى جهات أخرى نتيجة لنسيم المرتفع الذي يتحرك ليلاً من المرتفعات إلى الأودية والأراضي المنخفضة فينقل معه الملوثات إلى أماكن أخرى، ويتميز نسيم الوادي والمرتفع بأنه يتحرك أيضاً قريباً من سطح الأرض وبالتالي فإن تأثيره خطير على كل مكونات البيئة.

إن تأثير الرياح السائدة على انتشار الملوثات واضح، ولكن تأثير الرياح غير السائدة غير واضح لأن لغة الأرقام في الجداول والبيانات المناخية ذات المدة الطويلة لا توضحها، وإنما توضحها البيانات الخام أو معرفة آثارها، فالرياح المحلية (القبلي) تهب لعدة أيام متتالية ثم تختفي لتعاود الكرة من جديد، وبخاصة في أواخر الربيع وأوائل الخريف، ولكنها لا تكون رياح ذات اتجاهات سائدة، وعلى الرغم من هذا فهي تؤثر في انتشار وتركز الملوثات إضافة إلى

تأثيرها في مناخ ليبيا من رفع لدرجة الحرارة، وانخفاض الرطوبة، وتغيير لاتجاه الرياح، وتغليب الأثر الصحراوي الذي يستمر تأثيره بعد توقفها، وإثارتها للغبار الذي يختلط مع غبار مصانع الإسمنت فتنقل ملوثات المصانع إضافة إلى الغبار الطبيعي، فتسهم في انتشاره في مناطق أوسع تبعاً لسرعتها وشدتها، كما أنها تلعب دوراً في تركز الملوثات في أماكن دون أخرى حسب اتجاه هبوبها.

ب) السرعة: نلحظ من خلال المقارنة بين سرعة الرياح، واتجاهات الرياح، وتنبؤات خطوط الانحدار في مصنعي الإسمنت أن متوسط سرعة الرياح عندما تهب الرياح شرقية بدرجة من 80-100 في محطة أرصاد الخمس هو: 6.3 عقدة، وهو متوسط عالٍ بالنسبة لأغلب متوسطات سرعة الرياح في محطات منطقة البحث، وبخاصة أن متوسط سرعة الرياح يهذب التطرفات فلا يسجل الأيام التي تأتي بها سرعات عالية للرياح بل تختفي مع المتوسطات.

إن هبوب الرياح الشرقية بسرعة عالية سبب في انتشار الملوثات في الاتجاه الغربي إلى مسافة أطول، وبخاصة في مصنع إسمنت زليتن الذي يقع في نطاق محطة أرصاد الخمس حيث يصل إلى 11030م.

أما مصنع لبدة للإسمنت فإن إحاطته بالمرتفعات والعوازل عمل على الحد من سرعة الرياح، مما سبب في قصر المسافات المتنبأ بها مقارنة بالمصانع الأخرى، حيث راوح من 9200م إلى 6375م، في الوقت الذي نلاحظ فيه أيضاً تركز الملوثات فيه مقارنة بمصنع إسمنت زليتن، حيث يصل متوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة على بعد 500م من مصنع لبدة

(0.060غ في الاتجاه الشمالي، 0.050غ في الاتجاه الشرقي، 0.050غ في الاتجاه الجنوبي، 0.050غ في الاتجاه الغربي)، في حين يصل متوسط وزن الغبار على الورقة الواحدة على بعد 500م من مصنع إسمنت زليتن (0.045غ في الاتجاه الشمالي، 0.050غ في الاتجاه الشرقي، 0.055غ في الاتجاه الجنوبي، 0.040غ في الاتجاه الغربي)، وبهذا فإن بطء سرعة الرياح يعمل على تركز الملوثات قريباً من المصنع (فرضية رقم 2).

جدول(6) يوضح معدل سرعة الرياح بالعقدة 1976-2014م

Mean Wind speed

اسم المحطة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	المعدل السنوي
الخمس	5.8	7.2	6.2	6	5.4	6	6.2	6.3	6.6	6	5.2	5.6	6
مصراتة	4.3	4.2	4.9	4.9	4.5	4.1	3.5	3.3	3.3	3.4	3.5	4.1	4.3

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس.

3- الحرارة:

يؤدي انخفاض درجة الحرارة على السطح إلى تركز الملوثات وعدم انتشارها، ففي ليالي الشتاء الباردة ذات السماء الصافية من السحب، مع انعدام أو قلة حركة الهواء، وتوفر الرطوبة، يتسرب الإشعاع الأرضي سريعاً إلى طبقات الجو العليا لعدم وجود سحب تمنع فقدان حرارة الأرض، ومن ثم يبرد

سطح الأرض سريعاً أكثر من الطبقة التي تعلوه، مما يجعل الحرارة ترتفع بالارتفاع عن سطح الأرض، وهذه هي الظاهرة المناخية المعروفة باسم الانقلاب الحراري، وفي هذه الحالة يكون الضغط الجوي مرتفعاً عند السطح الأمر الذي يعمل على تركز الملوثات بالقرب من مصادرها، فلا تنتقل لا أفقياً ولا عمودياً نتيجة لاستقرار الهواء، والكثافة العالية للهواء الموجود على السطح، مما يعمل على نشوء تكاثف على شكل ندى ملوث يستقر على الأسطح القريبة من سطح الأرض، كالمباني وأعمدة الكهرباء... وغيرها، وإذا ما وجدت مناطق سكنية قريبة من مصانع الإسمنت، فهذه الليالي خطيرة جداً على السكان، إذ يتراكم الغبار والغازات في طبقة هوائية على السطح ولا تتحرك هذه الكتلة لسكون الهواء، أو حركة خفيفة جداً، فيعمل بقاء هذه الطبقة حتى الصباح إلى تركز الملوثات داخل جسم الإنسان، الأمر الذي يعمل على الضرر الصحي الأكيد بشكل مباشر أو غير مباشر، كما تضر بباقي المكونات الحية وغير الحية للبيئة المحيطة.

4- الرطوبة:

ترتفع الرطوبة النسبية في كامل منطقة البحث، ويرجع ذلك إلى أن محطات منطقة البحث قريبة للبحر، وبالتالي فإن الرطوبة النسبية عالية في أغلب الأوقات الأمر الذي يعمل على إعاقة انتشار الملوثات، ويقلل مساحة انتشارها، ومن ثم يؤدي إلى تركزها، حيث تتفاعل ذرات بخار الماء مع ملوثات مصانع الإسمنت لتكون ملوثات سمية خطيرة منها أكاسيد الكبريت والنيتروجين...الخ، لتتركز في مناطق المصانع بوساطة الندى والضباب التي تشكل ذرات الغبار أحد العوامل المهمة لتكونهما، حيث تمثل ذرات الغبار

نويات التكاثف لبخار الماء، الذي يتكاثف بيسر بوجود النويات، فلا ضرورة للوصول إلى حالة التشبع بالرطوبة لحدوث التكاثف، حيث يمكن أن يتشكل الضباب عند بلوغ الرطوبة النسبية 70% فقط عند توفر من 300 إلى 500 نوية تكاثف في كل سم^3[(2)].

يحدث الضباب والندى كثيراً في جميع منطقة البحث نتيجة لارتفاع الرطوبة في أغلب فصول السنة، وتوفر نويات التكاثف، وتكراره يزيد من الأثر الفعلي للملوثات؛ لأن هذا يحدث قريباً من سطح الأرض مما يزيد من خطر الملوثات وشدة سميتها على القاطنين بالقرب من المصانع، وكلما زاد تكرار هذه الحالات كلما زاد تركز الملوثات وعدم انتشارها، الأمر الذي يقلل أو يعدم عمليات التنقية الذاتية للهواء.

5- الأمطار:

تنتج المصانع ذرات الغبار التي تمثل نويات تكاثف – كما أشرنا سابقاً- إضافة إلى وجود الرطوبة بنسبة عالية في أغلب مناطق مصانع الإسمنت في غرب ليبيا، لذا عندما تنخفض درجة الحرارة وتصل إلى درجة التكاثف، يتساقط المطر مسقطاً معه ملوثات المصانع إلى سطح الأرض ليتحول من تلوث هوائي إلى تلوث تربة ومياه...الخ، أما بالنسبة لعدم وجود الأمطار التي تعمل على تنظيف الهواء يعمل على بقاء الملوثات في الهواء الجوي إلى أن تترسب بعيداً عن مصدر التلوث (المصانع) حسب سرعة واتجاه الرياح.

(2) الصطوف: عبد الإله، التلوث البيئي، منشورات جامعة سبها، 1991م، ص351.

ثانياً/ العوامل البشرية:

1- المباني:

يلعب ارتفاع واتجاه وشكل وعدد المباني دوراً كبيراً في مدى اعتراض وترسيب الملوثات، وبالتالي في مدى انتشارها أو تركزها. حيث تؤدي المباني ذات الجدران التي تتعامد مع اتجاه الملوثات إلى ترسبها، وبخاصة إذا كانت هذه المباني مرتفعة فتعمل على حجز الملوثات وترسبها على الحوائط لتسقط إلى أسفل، ويلعب ارتفاع الرياح المحملة بالملوثات دوراً في ذلك، حيث يزداد دور المباني عندما تكون الرياح سطحية ومنخفضة إلى أسفل.

كما تلعب المباني دوراً أكبر في حجز وترسيب الملوثات إذا كان لها زوايا أكثر، ومتعامدة مع اتجاه الرياح السطحية المحملة بالملوثات، فتترسب وتتركز الملوثات في الزوايا والأركان. إضافة إلى ما سبق فإن كثرة المباني وازدحامها لها دور منع انتشار الملوثات إلى مسافات أطول لأنها تعمل على حجز أكثر للملوثات.

ويتضح أثر المباني في حجز الملوثات في التركزات السكانية التي تجاور مصانع الإسمنت، وفي المناطق السكنية المزدحمة مثل مدن الخمس، وزليتن، وسوق الخميس نلاحظ وبوضوح تغير لون الجدران المواجهة للرياح المحملة بغبار مصانع الإسمنت المجاورة لها أكثر من الجدران غير المواجهة.

2- الغطاء النباتي:

تعمل النباتات وبخاصة الأشجار المزروعة في منطقة البحث كمصدات للرياح، وإذا كانت هذه الرياح محملة بالغبار وسطحية تعمل على إعاقة وإرساب بعض من غبارها بوساطة جذوع وأوراق الأشجار، ويبقى الغبار

عالقاً في هذه الأشجار مما يؤدي إلى تركزها في المكان التي توجد به الأشجار، وكلما كانت الأشجار أكثف كلما استطاعت حجز وترسيب الملوثات أكثر، وبخاصة إذا كانت الأشجار عالية. أما إذا كانت الأرض جرداء فإن الرياح المحملة بالغبار ستكون سرعتها أكثر ومسافة انتشارها وتأثيرها أطول؛ لهذا ينصح بزراعة غطاء غابي غير مثمر حول المصانع ليعمل هذا الغطاء على حجز الملوثات وإرسابها، ويقلل من مسافة انتشار تأثير الغبار.

3- الطرق المفتوحة:

تزيد سرعة الرياح في الطرق المفتوحة لعدم وجود العوائق، فتجتذب إليها مزيداً من الرياح المحملة بالملوثات، فتعمل على زيادة انتشارها إلى مسافات أبعد عن المصانع مما يجعلها تسبب في زيادة انتشار الملوثات، مثل ما يحدث في الطريق الساحلي المفتوح بجانب المرتفع الذي يقع شمال وشمال شرق مصنع المرقب للإسمنت، فتجتذب هذه الطريق الملوثات، الأمر الذي يعمل على زيادة انتشار الملوثات في الاتجاه الشرقي، حيث وصلت المسافة المتنبأ بها في هذا الاتجاه إلى 10760م.

وعموماً فإن تأثير العوامل البشرية محدود في تركز وانتشار الملوثات إذا ما قورنت بالعوامل الطبيعية، فالمباني والغطاء النباتي ليس لهما ارتفاع المرتفعات، وقدرتها على تحريك الملوثات وتوجيهها، ومع كل ذلك فالمصانع التي تخرج الملوثات هي في حد ذاتها عمل بشري، والغطاء النباتي مثلاً يمكنه أن يؤدي دوراً أكثر أهمية إذا ما كان غطاءً غابياً وقريباً من المصانع ليعمل على حجز وإرساب أكثر لغبار المصانع، وهذا ما هو غير موجود بجوار مصانع الإسمنت حالياً.

4- ارتفاع مداخن المصانع:

تخرج الملوثات من مداخن مصانع الإسمنت مرتفعة الحرارة فتصعد بداية إلى أعلى إلا إذا كانت هناك حالة انقلاب حراري- كما تطرقنا إلى ذلك سابقاً- حتى تتساوى أو تقترب درجة حرارتها من حرارة الهواء المحيط بها، وذلك من خلال انتقال حرارة الكتلة الخارجة من المداخن إلى الهواء المحيط، واكتساب هذه الكتلة درجة حرارة الهواء المحيط بها، وفي هذه الحالة تصل إلى مستوى تستقر فيه هذه الكتلة وتبدأ في الانحراف إلى أي اتجاه حسب اتجاه الرياح في ذلك الوقت، فتنتقل إلى المنطقة المحيطة بالمصانع، ومن هذا المنطلق نجد أن علو المداخن يلعب دوراً مهماً في مدى انتشار أو تركز الملوثات، فكلما كانت المداخن أعلى كلما توزعت الملوثات في مناطق أوسع[3] ولكنها أقل تركيزاً.

الخاتمة:

لقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي:

1- يتزايد وزن الغبار على الورقة الواحدة من أوراق أشجار الزيتون كلما اقتربنا من المصنع، ويتناقص كلما ابتعدنا عنها في كل العينات التي أخذت حول مصنعي الإسمنت إلا إذا كان هناك غبار من مصنع مجاور كما في مصنعي زليتن والبرج للإسمنت القريبان من بعضهما، وهذا التزايد بالاقتراب والتناقص بالابتعاد عنها يثبت أن المصانع هي المسبب لهذا التلوث.

---

[3](Prodan & Bachofen(1998), Cement and concrete, Op.cit, P28.

2- يلعب اتجاه الرياح دوراً فعالاً في التباين المكاني لانتشار الغبار حول المصنعين.

3- تؤثر التضاريس على شكل انتشار الملوثات المنبعثة من مصنعي الإسمنت، كما في مصنع إسمنت زليتن الذي سبب ابتعاد المرتفعات عنه إلى انتشار الملوثات إلى مسافات أطول، فمن خلال التحليل الإحصائي للدراسة الميدانية دلَّت خطوط الانحدار على أن وزن الغبار سيصل إلى (صفر غرام) في الاتجاه الشمالي على بعد 10500م، وفي الاتجاه الشرقي 9450م، وفي الاتجاه الجنوبي 10000م، وفي الاتجاه الغربي 11030م.

4- بعض الظواهر الطبيعية لها دور واضح في زيادة خطر ملوثات المصانع وهي:

أ- ارتفاع نسبة الرطوبة أغلب أوقات السنة مع وجود الملوثات يعمل على تفاعل ذرات بخار الماء مع ملوثات المصانع لتُكوِّن ملوثات سمية خطيرة مثل أكاسيد الكبريت والنيتروجين لتتركز في مناطق المصانع بوساطة الندى والضباب، وبذلك تكون هذه الملوثات أخطر على العاملين في هذه المصانع، والسكان القاطنين قريباً منها.

ب- ينقل نسيم البر الملوثات قريباً من سطح الأرض نتيجة للكثافة العالية للهواء المبرد، الأمر الذي يضاعف خطورة الملوثات على الأحياء وعلى رأسها الإنسان، إضافة إلى باقي المكونات البيئية غير الحية بالمناطق التي تمر عليها هذه الرياح.

ج- تسبب حالة الانقلاب الحراري عدم انتقال الملوثات أفقياً ورأسياً مما يعمل على تركزها بشكل كبير في أماكن خروجها الأمر الذي يسبب خطورة كبيرة على حياة الإنسان وبخاصة العاملين بها.

د- تعمل رياح القبلي المحملة بالغبار الطبيعي على إثارة غبار مصنعي الإسمنت، الأمر الذي يسبب صعوبة التنفس في هذه الأجواء للعاملين في هذه المصانع، وفي تعبئة جهازهم التنفسي بالغبار، مما يسبب التهاب ومرض هذه الأجهزة في ذلك الوقت أو مستقبلاً بالتأثير التراكمي المتواصل، كما تزيد رياح القبلي من حجم الغبار المنقول إلى المناطق المجاورة للمصنعين من أراض زراعية ورعوية وسكنية مما يزيد من الأثر الفعلي للتلوث.

ر- الاتجاه الشمالي هو الأكثر تركيزاً في الغبار مقارنة بالاتجاهات الأخرى في مصنع لبدة للإسمنت، ويدل هذا على وجود عوامل قوية أدت إلى هذا التركز في هذا الاتجاه وبهذه الحدة بحيث تظهر فوارق ذات دلالة إحصائية، وهذه العوامل تتمثل في إحاطة المرتفعات بهذا المصنع من كل الاتجاهات عدا الاتجاه الشمالي، ووجود وادي بندار مع هذه المرتفعات الموازية له حتمت اتجاه الرياح في هذا الوادي، وعملت على انحراف وتغير اتجاه الرياح نحوه، إضافة إلى بطء سرعة الرياح الناتجة عن انحراف الرياح والمرتفعات التي عملت على الحد من سرعتها.

ه- يلاحظ من خلال الخرائط التي تبين مساحة انتشار الغبار اتساع المناطق المتضررة بشدة من خطر غبار المصانع، وامتدادها في بعض الاتجاهات أكثر من غيرها؛ الذي قد يرجع إلى منظومة طبيعية متكاملة لعلَّ أهمها الرياح وخاصة سرعتها، والتضاريس.

و- عدم مراعاة أماكن الازدحام السكاني، والمناطق الزراعية، وأثر العوامل الطبيعية في انتشار الملوثات عند تحديد مواقع مصانع إسمنت غرب ليبيا.

التوصيات والمقترحات:

1- الاهتمام بالتخطيط المتكامل لكل الجوانب عند إقامة أي مشروع صناعي أو تحديد مكانه، فأي قصور في دراسة أي جانب يؤدي إلى أضرار غير محسوبة، لذلك لابد من الاهتمام بدراسة العوامل الطبيعية المؤثرة والجوانب البيئية والعلاقات المكانية، والنواحي الاجتماعية، إضافة إلى دراسة الجوانب الاقتصادية.

2- تغرس حول مصانع الإسمنت أشجار من جميع الاتجاهات، ويعتمد اتساعها حسب اتجاهات الرياح وطبيعة الأرض والطرق الموصلة للمصانع، أي أن الاتساع يتناسب مع مساحة انتشار التلوث المرسومة للمصانع مع الامتداد لهذه الأشجار مع الطرق الموصلة للمصانع، أو التي تستخدمها المصانع في جلب المواد الأولية، ولابد لهذه الأشجار أن تكون غير مثمرة ومن النوع الذي يتلاءم مع الظروف الجافة والملوثة.

3- استخدام الضغط الإعلامي والتربية البيئية في خلق وعي بيئي لدى جميع السكان.

المصادر والمراجع:

1- رزق: هلا عدنان، الإدارة البيئية في إطار المشروع الصناعي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق، 2000م.

2- الشيخ: عوض، دراسة تأثير غبار مصنع إسمنت بنغازي على خصوبة الأرض الزراعية بمنطقة الهواري، (رسالة ماجستير غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا فرع بنغازي، ليبيا، 2008م.

3- عبد الكريم: خليفة، دراسة تأثير مصنع إسمنت بنغازي على أشجار الزيتون بمنطقة الهواري، (رسالة ماجستير غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا – فرع بنغازي، 2007م.

4- المنشاز: عمر إبراهيم، مصنع لبدة للإسمنت وأثره على البيئة المحيطة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، 2000م.

5- أبو حاتوغ:علياء- أبودية: محمد حمدان، علم البيئة، دار الشروق، 1993م.

6- أبو خشيم: ابريك(الغلاف الحيوي)، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995م.

7- برعي: فائق ، تقنية الإسمنت، الجزء الأول، بنغازي، 1992م.

8- جامعة الدول العربية، دراسة تشخيص الآثار البيئية لشركة عدرا لصناعة الاسمنت ومواد البناء في سوريا، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 1997م.

9- الحناوي: عصام، دليل الإرشادات لتشخيص الآثار البيئية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 1995م.

10- رسول: أحمد حبيب ، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية، 1985م.

11- الصطوف: عبد الإله، التلوث البيئي، منشورات جامعة سبها، 1995م.

12- غريه: برنار، طرق الإحصاء، (ترجمة: هيثم لمع)، الكتاب للنشر والتوزيع، 1989م.

13- المجلة الوطنية للإدارة، تحديد سياسة التوزيع المثلى للإسمنت في ليبيا، العدد 12، 2005م.

14- مصلحة الأرصاد الجوية، محطتي أرصاد الخمس ومصراتة.

15- European Integrated Pollution Prevention and Control bureau (EIPPC) (2001), Reference document on best available Techniques in the cement and lime Manufacturing Industries, Seville.

16- Final Report on compition well.no.3,for cement factory in Suk Alkhamis, Prepared by m. Wilezewski.

17- Hanaa Youssef,(2005), The cement industry in Egypt, Cement international performance, Application industrial professionals.

18- Morghoml.O., Karid.N.A., Sreiweel.H.A. and Soliman.y.A (2000) Effect of Volatile Cement Dust on the Soil Properties Surrounding the Area around Cement Factories. International Cement Conference, Tunis.

19- Prodan & Bachofen(1998), Cement and concrete, in Jeanne Magerstellman(ed), Encyclopedia of Occupational Health and Safety, Fourth Edition, Geneva, International Labour Office.